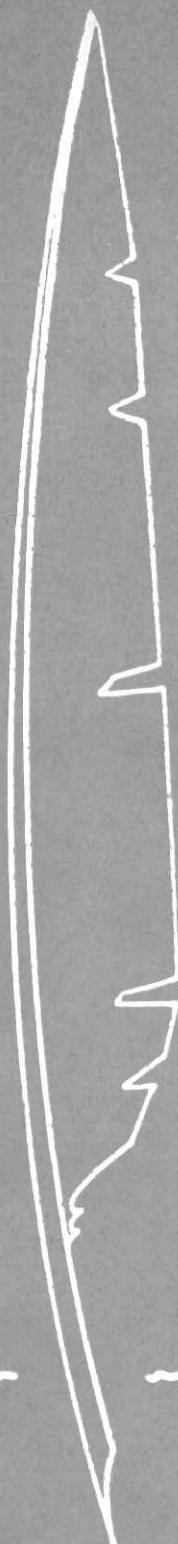


المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

العدد السادس - عدوان

أب ١٩٦٢



—العرفة—

دمشق . العدد السادس

١٩٦٢ آب

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها وزارة الثقافة والتراث القوي

رئيس التحرير

فؤاد الشايب



الكتاب والمواضيع

ثورة على التاريخ العربي

الدكتور عزة النص

كيف تعرب الإسبان

وتفريح المسلمين

محمد جليل بيهم

المجمع العلمي العربي

لحات من تاريخه واعماله

جعفر الحسني

الصدقة والصديق

لاني حيان التوجدي

ظافر القاسمي

المجتمع العربي

الدكتور أحمد شوكت الشطبي

عندما يعرض الأطباء

الدكتور صبري القباني

مكتبة الحكم الثاني

الدكتور خالد الصوفي

عام ١٩٨٤

جورج أوروبل والانسان الآلة

عرض وتاريخ أورخان ميسنر

أوقات الفراغ

تحقيق عالمي مترجم عن الفرنسية

العلوم الاجتماعية

ثورة على التاريخ العربي

الدكتور: عزة النص

نحو و تاریخنا

لأملك إلا أن أذكر قارئنا على النحو
المسطور به كلاماً ذكرت قوله (نيقولا برداييف) :
الوصف الجردي لحوادث التاريخ المجزأة
والشخصيات المنفردة لا ينتهي عنه إلا جنة هيبة
التاريخ .. واني لأحسن في أغوار اليقين
باللامنطقية البليدة بين ما نصفه على قوميتنا
العربية من أبجداد ومكارم ومآثرات وبين ما نتفق
عليه في كتب قارئنا من مجازر وأذانيات
وتناقض ومنازعات ..

وأهreu إلى القول بأن تواريخت الأقوام
الآخرى لا تتجو من مثل هذه المجازرو الأنانيات
والتنافر والمنازعات ، بل لعل تاريخنا في واقعه
أقل هذه التواريخت زحمة بالمحاري والمساوئ ،

ولكن الذين دونوا توارييخ أمههم من غير العرب عرّفوا أن يحصروا المثالب في إطارها الضيق ، ويتحررّوا من الحوادث الجزئية والخصوصات المهامشية ، ليرتفعوا إلى مستوى التاريخ الحق ، تاريخ التجارب والافكار والاتجاهات التي يتّسّع من امتدادها وتساوقها مسار المجتمعات البشرية من حياة الفطرة إلى حياة الحضارة، ومن كهوف الانطواء والتحاجز إلى مجالات التشارك والتمازج .

وانه لمن تردّد البديهيات في عصرنا هذا ، القول مع (كارل ياسبرز) بأن للتاريخ مغزى يتسامى فوق الاحداث الموضوعية المحدودة في نطاق الزمان والمكان ليصل إلى الوجود الانساني المطلق ، في محیطته الشاملة وفي تسلسله الحضاري المتكامل .

وبهذا المعنى وحده لا يكون للتاريخ قديم وحديث ، بل يكون كلاماً متصلّاً ، ماضيه يعيش في حاضره ، وحاضره يشف عن مستقبله . وبهذا المعنى وحده ينقلب التاريخ من مقبرة موحشة إلى جنة يسرح فيها الخلدون . وهو بذلك يستحقّ منا عناية البحث والدرس ، ونفيّد منه عبرة وطنية وتجربة إنسانية . وما الوطنية والانسانية في جوهرها الا صيل سوى التضامن بين الأحياء والأموات على الوفاء لمغزى التاريخ وحمل أعباته . وعلى هذا النحو ندرك ماعنه (موريس باروس) حين قال : أيها الأموات كم انت أحياء ..

فليتساءل — نحن العرب — عن امواتنا ، هل هم احياء في نقوسنا ؟ وبمعنى آخر ، هل تاريخنا المدون يبرز مالنا من رسالة في هذا العالم ، نحملها عن أجدادنا جيلاً بعد جيل ، نتواء بها حيناً ، وتنعثر تحت وقرها حيناً آخر ، او تنهض بها على يسر ؟

تلّكم الرسالة هي « النوعية التاريخية » لكل امة وشعب . فما هي نوعية تاريخنا على تراخي أبعاده وتقادم أحقياته ؟

ان مرؤوة المنطق تدفع الى القول بان المدون من تاريخنا هو اولاً تاريخ افراد لاتاريخ جماعات ، وبتعمير آخر ، هو تاريخ الحكم لاتاريخ الشعوب ، وهو ثانياً تاريخ حروب وغزوات لاتاريخ مبادئ وثقافات حضارات ، وهو ثالثاً سجل جزئيات شتيدة وهنئيات عابرة لانظام لها ولا تتضاد في خط مستقيم يبرز معه الصوی الثابتة والمعالم المتغيرة في تطور بلادنا ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، وهو بهذا الوصف ينأى عن الشمول ويبتعد عن الكليات ويتجرد من التسلسل المقطعي ويتأبه على التحليل والتعليق العاديين .

وأخيراً لانجد في مطولاً تنا التاريجية ، على ضخامتها وكثافتها ، تحديداً بينما لم ضمننا من العالم الخارججي وإحاطة بأحداثه وتفاعلاته ، فلا يستهونا ذلك الا بالقدر الذي يسوقنا اليه غررونا هذا العالم او تعرضه لنا . وبتعمير آخر يكشف تاريخنا عن جهلنا بما كان يحيط بنا ويعاصرنا من دول وامم وشعوب ، لها ايضا نوعية تاريجية في تنظيمها السياسي وقوامها الاجتماعي وبنيتها الروحية والثقافية . والمهم في التبصر التاريجي تلك المقارنة والمقابلة بين امة وآخر وبين نظام وآخر .

واذن فان معرفتنا التاريجية بالغير لا تتعدى ايضاً شؤون السطوة وال الحرب ، واما تعدد ذلك فهي لاتجاوز مواطن اثيل والننم والانتقاد .

وقد حمل كل هذا بعض الورعين من علمائنا الأوائل على تحرير تدوين التاريخ ، والنهي عن دراسته وروايته . ذلك انهم اعتبروه غيمة واغتياباً وتعريضاً بالغير وذكر ملساوىء الأموات وفضحها للعيوب والسوءات .

وفي الواقع ان تاريخنا على الشكل الذي نقله اليانا الرواة يعكس صورة شعب افعالي المزاج ، وفي دوماً لعدم الوفاء .. فهو يتراجح بين قطي الخير

والآخر ، وينقاد للغرائز البدائية أكثر مما يلود بالألفة وتحكيم العقل ، ويهجم على الرغبات الآنية أكثر مما يضغط حريته في قالب الحصافة والاتزان . وهو بعد مجتمع متقطع لا يرتقي إلى الامتداد الأفقي المتصل ، أعني انه مجتمع متخلخل الروابط تعجب عليه المصييات الضيقية بدلاً من التكافل الاجتماعي الواسع .

وإذا طبقنا معايير علم الطياع على محمل الوصف الذي يتكشف عنه تاريخ الفرد العربي اضطررنا إلى تصنيفه في زمرة (النموذج الحرفي) او (نموذج المريخ) المتميز بحب المكافحة وسرعة الغضب وحدة الطبع والاندفاع والتميّز والتحرّيض ..

وحسينا أن نمسك بأحد كتب التاريخ العربي المشهورة ، ونغير " بصر ناعي " فهرسه لنقف على محتواه المبثوث بالفنون وحركات الوئب والخروج والانتقام والاستفار والثورة والتمرد والتنازع والاختلاف والقتل والقتال . وقد كتب الحافظ الذهبي ثبتاً بالذين راموا الخلافة وحاربوا عليها بنى امية آل العباس فأخصى منهم واحداً وأربعين .. ووجدنا انه مقصّر في هذا الاحصاء ..

ولسنا هنا في مقام الحديث عن عدد الخلفاء الذين خلعوا أو اغتيلوا ، وكذلك الامراء والولاة والوزراء والقادات الذين نكلوا أو نُكل بهم ، والذين ابتزوا اموال الرعية ، والذين أفسدوا الحكم بالجور والسلط وابتلاع ..

ونحن اليوم ، حين نخشى العزائم لم البلاد العربية في مصير سياسي موحد ، نصر على التذكير بأن وحدة العرب السياسية كانت امراً واقعاً ، وان الاستعمار الدخيل هو الذي مزق تلك الوحدة وفرق الشعوب العربية الى دول متشرّطة متخاصمة . وحين نقول ذلك ونؤكده ونجرم به لا يخطر لنا ببال ان كتب التاريخ العربي المبذولة لأبنائنا في المدارس تعلم تقىض مانؤكده ونجرم به . تعلمنا هذه الكتب ان اول موج استعماري ارتفع نحو ارض العرب بعد الاسلام ، وغير جزءاً من وطنهم ، هو المد الصليبي الذي بدأ عام ١٠٩٦ م . ولم يحدث قبل

هذا التاريخ أن سيطر أجنبي على تراب عربي ، فيما عدا الغارات البيزنطية التي كانت تجري على خط التغور في شمال بلاد الشام ، بغاية السطوة ثم الانكفاء ، والتي وصلت عام ٩٦٩ م حتى انطاكية ، وتوغلت عام ٩٧٥ م حتى بحيرة طبرية .

وإذن فإن الحملات الصليبية كانت أول انتهاص لسيادة العرب المسلمين ؟

فهل وجدت هذه الحملات على أرض العرب دولة موحدة سياسياً وعسكرياً ؟

لو وجدت ذلك لما ظفرت بذرة رمل واحدة من الغراء العربية .

تارخنا بالذات ، وبالصورة المحفوظة في بطون الأسفار ، يروي كيف دفع الأمويون ملوك الشام الهمينة العربية إلى أقصى مداهـا ، رغم ملاحمهـا من معارك هامشية على الأرض التي ورثها عن الراشدين ؟ فلما آل السلطان إلى العباسيين تهافت بناء الدولة السياسي واستشرى التمزق العربي ، في المشرق والمغرب ، حتى لقد استقلت المدن في القطر الواحد بعضها عن بعض .

ويعتبر عام ٦٣٣ م بداية تأسيس الكيان العربي خارج حدود الجزيرة العربية ، وهو العام الذي انطلقت فيه جيوش الخليفة الصديق نحو تحرير العراق من سلطان الفرس ثم نحو بلاد الشام لاجلاء البيزنطيـن عنها . وتنـبت موجات الفتوح المظفرة في كل الاتجاهـ إلى أن استنـفذـت عملية التوسيـع جذـوها سـنة ٧٣٤ م على أرض الفرنـجـة .

وبعد ذلك بدأ الانكماش والارتداد ؟ ثم وقعت التجزئـة على نحو

متـسارـع عجـيبـ ،

واذـنـ فـانـ الامـبرـاطـوريـةـ العـربـيـةـ الـاسـلامـيـةـ الـكـبـرـىـ دـامـتـ زـهـاءـ قـرنـ منـ اـزـمـنـ ،ـ يـقـافـيـ ذـلـكـ السـنـوـاتـ الـتـيـ اـسـتـازـمـتـهاـ شـؤـونـ القـطـعـ ،ـ وـخـلـالـ ذـلـكـ الـقـرنـ لمـ تـعـرـفـ الـامـبرـاطـوريـةـ الـوـسـيـعـةـ الـطـمـائـنـيـةـ وـالـاسـتـقـرارـ ..

بهـذاـ يـتـحدـتـ تـارـيخـنـاـ الـمـكـتـوبـ .ـ يـتـحدـثـ دونـ تـحـليلـ أوـ تـمـيلـ ،ـ وـدونـ انـ

يُقابس و يُقابَر . وهو إذ يتحدث يضع نزوات الأفراد في وزن أقدار الشعوب ، ويغفل عشرات الملايين من كرام الناس ليشير بالحرف العريض إلى نفر من الطغاة والطفام والبسهام .

هذا التاريخ بالذات لا يهمه في شيء أن يبرز المعجزة العربية التي بدت بالاسلام شعوب آسية وأفريقية في أعمق أعماقهم ، وجعلت منهم أمّة خيرة مفتوحة العقل والضمير ، انه يوجه الضوء ، كل الضوء ، إلى التغرات السياسية الدائمة أو الموقوتة التي فتحها في كياف تلك الشعوب بعض الحكماء الظاهرين .

الوحدة النقيّة في الروح والوجدان والثقافة والسلوك ، والروعة المذهلة في الابداع والاشاعر والنضج والاكمال .. ، كل ذلك يجب أن نلتمسه في غير كتب التاريخ العربي ، أو نلقطه من خلال السطور التائمة في ذلك التاريخ . أما الفرقـة الظاهرـية والخصـومـات الطـارـئـة والأـنـاـنـيات النـاـيـة فـهي تـحـتلـ المـكـانـ الرـحـيبـ في أـسـفـارـناـ التـارـيـخـيـةـ المـعـتـبـرـةـ .

نعود إلى قصة التجزئة السياسية لنقول أن تاريخنا المقوء يجعل منها المحور الذي يدور عليه . وهو اذ يسلك هذا النهج المضلّل يشكك الأجيال العربية بما فيها العظيم ، ويبحث منها حافر العمل في سبيل آخر أعظم .

وليس ادعى إلى الاسف من ان تكون هذه التجزئة قد حدثت بالفعل ؟ ولكن الاصرار على متابعة مجرها وحدتها ودوعها تبصير وتمييز يجعل من تاريخنا غباءً تافهًا ومؤذياً .

يسقط لنا تاريخنا المدرسي ان حكم الأمة الخوارج قد ظهر في عمان منذ عام ٧٥٣ م ، واستمر في سبيله المستقل إلى العصر الحاضر .

وفي اليمن تتالت دول المدن المستقلة منذ عام ٨١٨ م (الزيدية ، اليعفورية ، الرسمية ، النجاحية ، الصليحية ، الزريعية ، الهدمانية ، المهدية ، الرسولية ،

الطاهورية الخ .. وفي القرن السابع عشر ظهر أمّة صنفاء الذين يحكموں اليمن
الى اليوم)

ومنذ عام ٨٦٨ م شق الطولونيون عصا الطاعة على الخلافة العباسية في مصر، ثم
كان الاخشيديون والفاتميون والأيوبيون والملك العثمانيون وآل محمد علي ...

وفي سوريا الشمالية كان حمدانيو حلب ينفردون فعلاً بالسلطة منذ عام
٩٣٣ م ، ويتساجلون الحرب مع الاخشيدية والفاتميين .. وبعد اقرار اضمهم في
مطلع القرن الحادي عشر تزقت بلاد الشام بين شيوخ القبائل (صالح بن مرداس ،
ستان بن عليان ، حسان بن المفرج) ، ثم كان المند والجزر في عهود السلاجقة
والأتاكمة والأيوبيين والملك العثماني ..

والعباسيون بدأوا شكيمتهم بالضمور في العراق في القرن العاشر للهجرة
وان ظل خلفاؤهم يحكموں بالاسم . فنشأت دولة الحمدانيين بـ الموصل (٩٢٩ م)
ثم الدولة العقيلية (٩٩٣ م) ، ودام العهد الديلي المسير للخلافة بين ٩٤٤ م
و ١٠٥٥ م ، ثم سيطر السلاجقة منتصف القرن الحادي عشر . وفي القرن
الثاني عشر والثالث عشر نجد الأتابكة في الموصل وسنجار والجزر . واحتل
هولاكو بغداد عام ١٢٥٨ م ولم تقم في العراق بعدها دولة هولاكو اليلخانية والدولة الجلائرية
المغولية ، ثم قام فيه العهد التركاني فالعهد الصفوي الفارسي فالعهد العثماني ..
والتمزق العربي ظهر في غرب الامبراطورية العربية في الوقت ذاته الذي تفرق
فيه الشرق العربي سياسياً إلى دوليات وامارات مستقلة .

فمنذكر أن عبد الرحمن الأول - صقر قريش - قد دخل الاندلس عام
٧٥٦ م ، ومنذ ذلك التاريخ خرجت اسبانيا من يد الخلفاء العباسيين . وبعد بني
آمية في الاندلس بل في او اخر أيامهم انفصلت اسبانيا العربية الى حكومات

مراهقة في قرطبة وغرناطة ومالقة ودانية وسرقسطة وبلنسية وأشبيلية
وطليطلة الخ . . .

وفي مراكش قام حكم الادارسة منذ عام ٧٨٨ م ، وتلاميذ المرابطون
والموحدون والمرinيون وبني وطاس والأشراف السعديون ثم العلويون المالكون
إلى اليوم .

وفي تونس حكم بنو الأغلب منذ عام ٨٠٠ م ، وبعد الفاطميين استقل
بها بنو زيري ، ثم خضعت للموحدين فالحفصيين ، وخضعت للحكم التركي عام
١٥٧٤ ، واستبدل قواد الفرق التركية (الدايات) في شؤون الحكم منذ ١٥٩٠ م ،
وقامت حكومة الباليات المرادية منذ ١٦٤٠ م ثم الباليات الحسينيين منذ ١٧٠٥ م ،
وفي عهدهم سقطت فرانسا حمايتها على البلاد (١٨٨١ م) .

وفي الجزائر أيضاً نشأت دولات عديدة ولما يستقر فيها الحكم العربي
الإسلامي ، فالدولة الرسمية الخارجية في (تاهرت) عاشت بين ٧٧٦ - ٩٠٨ م ،
ثم سيطر أنصار الفاطميين على الجزائر ، وبعد حقبة طويلة من التزاع بين قبائل
البربر خضعت الجزائر لدولة المرابطين ثم الموحدين ، وانشطرت بعد ذلك إلى قسم
شرقي يملكه الحفصيون التونسيون ، وقسم غربي شكل دولة تاهستان ، حتى سيطر
المهانيون على البلاد في آخر القرن السادس عشر ، واحتلوا الفرنسيون من عام
١٨٣٠ حتى عانينا هذا المبرور .

وحصيلة هذا العرض الذي يقصه علينا تاريخنا شيء كثير من الأفاضة
والدقة والتنطس إننا أمّة هشيمة الأوصال منذ عهد بعيد . بل إن النتيجة المنطقية
التي لا بد وأن نستصلحها من تاريخنا المؤثر هي أن وحدتنا التي أحكمتها عروبة
الإسلام لم تدم إلا الزمان القصير من عمرنا المديد ، وإن التفرقة في ماضينا هي
الأصل والوحدة هي الحادث العارض ، وإن الاستعمار التركي هو الذي أبقى وحدتنا

من جديد ، وقد عُمرت الوحدة العثمانية دهرًا أطول من عمر الوحدة العربية المستقلة ... إن غرائزنا الفردية المشاكسنة التي يُضخّمها تاريخنا تترافق إذن مع فرتنامن تقبل الدولة الموحدة .

ويقف العربي في حيرة ولوعة ودهشة ليتساءل : إذا كان هذا كل مضمون تاريخنا ؟ فمن نهض بالحضارة الإنسانية في العصور الوسيطة ؟ ومن أقام في الدنيا واسع العدالة والأخوة والحق ؟ من عمر المدن وحمل مشعل النور وصعد بالبشرية إلى قم المعرفة والفضيلة ؟ من غرس في الإنسان ، كل إنسان ، كبريات الكرامة ، وألهب في صدره عنفوان العزة ؟!

لقد أفردت مؤلفات موفرة عن المدينة العربية المتالقة ومشاركتها الخصبة في دفع التقدم العالمي . غير أن المشكلة تظل قائمة في الذهان : هل يعقل أن يصف التاريخ العربي الفرد والمجتمع العريين على النحو الذي وصفهما به من هزال وتفكك ومحاسدة ومنازعة ، وأن يكون لهذا الفرد ولذلك المجتمع حضارة خالدة تعزز بها الدهور ؟

فإما أن يكون التاريخ العربي قد زيف صورة العرب ، أو أن تكون الحضارة العربية زعمًا موهمًا واتحalaً مكذوباً .
وفي حل هذه المشكلة ، وفي تعليل هنا التناقض ، تبدو نوعيتنا التاريخية على حقيقتها الأصيلة .

حقيقةنا التاريخية

لإنغراري في أن الحقيقة التاريخية يجب أن تدون كما هي ، دون تحرير أو تزييف . ولكن الصعوبة كل الصعوبة هي في الثبور على هذه الحقيقة ، ثم في أسلوب عرضها كاملة مع ملابساتها وعللها وآثارها .

والكثرة من مؤرخينا دونوا جزءاً من الحقيقة ، وهو الجزء

المتصل بالحكم والسياسة ، وكانوا في اصطافائهم للحوادث أشبه بن يؤرخ
لعصر ما بالاستناد الى سجلات الشرطة وما فيها من وقوعات سطوة
واجرام .. وبالطبع فان ألاف الالوف من المتعبدين في بيوت الله وألوف
الالوف من ارباب المهن والتجار الطيبين لا ذكر لهم في سجلات الشرطة
ودوائر القضاء ...

وهكذا فان كتب تاريخنا لا تكشف عن مجتمعنا الا في نقاطه الالية
والمتهاوية ، واذارمنا الصورة التي تعكس هذا المجتمع في قوامه المتراكب وفي تطلعاته
إلى الخير وانطلاقاته نحو التسامي يجب ان تضع حوادث التاريخ في إطارها الشامل.

إن كتب الفقه والعقائد والحديث والتفسير والفلسفة والتصوف والأخلاق
والحسنة واللهم والادب والعلم تعطي عن المجتمع العربي بالتأكيد فكرة أعمق
وأقوم مما تعطيه صحائف التاريخ . بل ان المقدار الضخم من مؤلفاتنا المنوعة في
الصور المختلفة هو وحده دليل على أن السياسة قد شغلت أصغر حيز ممكن في
اهتمامات اجدادنا القدماء . وفي هذه المؤلفات ، التي لا يحصيها عد ، نجد أنفسنا ،
نجد نوعيتنا التاريخية ، نجد رسالتنا في هذا الكون .

معاجلنا اللغوية وحدتها — إرثنا اللفظي ووعاء عبريتنا — تؤرخ لمفاهيمنا
في الحياة وأنمط معيشتنا أكثر من محتوى كتب التاريخ كلها .

رسالة واحدة في الأخلاق والواجبات — إرثنا الروحي — من جملة
آلاف التصانيف التي خلفها لنا الأوائل في السلوك الانساني ، تفوق في نظرنا ألف
كتاب في التاريخ ، ومن الناحية التاريخية بالذات . ذلك لأنها فتح بصيرتنا على القيم
المثالية الخالدة التي ارتفعت بالمجتمع العربي الاسلامي وكفلت وجوده فوق موج
النوايا والنكبات .

انتشار حركة التعرّف العجمية في البلاد المفتوحة ، واستجابة الحشود

المتكاثرة لدعوة الاسلام العربي في سرعة بزوج الفجر - وحتى في البلاد التي لم تدخلها جيوش المسلمين — كل ذلك هو التاريخ العربي الحق ، تاريخ الجماعات المؤمنة المسترشدة برسالة العروبة .

إن أصلة العرب لا تمثل قطعًا في الحروب التي خاضوها والبلاد التي دوّخوها ؛ فمن قبلهم عرفت البشرية حرباً مهلكة وتأسست امبراطوريات عربية . أصلتهم هي ، على التحقيق ، في تحديد أسس السلام الدائم ، السلام النابع من باطن الفرد ، أي منوعي الضمير ، لا السلام المفروض من الخارج ، أي بالقوة القاهرة .

وما ندعوه (بالسلام الروماني) صنعه الجنرال العسكري ، بينما ارتكز (السلام العربي) الى الوازع الفردي والترابط الانساني . وهكذا فان أقول قوة الرومان عن أرضنا لم يختلف وراءه سوى أو ابد صخرية متداعية ، وحين تراخت قوة الحكم العربي تركت فوق الأرض التي سادتها ؛ من الجزيرة الى الحيط ، ثقافة ولغة وتشريعاً ومبادئه سلوك استدامته الكيان العربي الى اليوم . واذا ظلت القومية العربية واقعاً حياً في نفوسنا ، رغم هافت الحكم الذي صنعها فالمأثرة في ذلك تكمن اولاً وآخرأ في ترسخ الشعور العربي الاسلامي .

واذا أخذنا بأسلوب (ياسبرز) في التحرير عن محاور التاريخ نجد محوراً قدماً قدم الانسان على الأرض ، وجديداً دوماً في ارتکاسته المباشرة على مصائر البشر . هذا المحور عماده اصطلاح الدول والشعوب على امتلاك سبل التجارب بين الشرق والغرب ، وهو ما ندعوه بصطلاح العصر : طريق الهند

هذا المحور التاريخي الجغرافي كان له الأثر المحموم في ايقاد الحروب بين شعوب العالم القديم ، وحول البحر المتوسط على وجه التخصيص . والوطن العربي يؤلف عقبة أساسية في هذا الشرidan الدافق ، وهو بهذا الوصف كان مرمي للأطعاع ومسرحاً للحروب .

والعرب في جزيرتهم كانوا يستمدون جل كسبهم من التجارة على محور التبادل العالمي ، حتى لقد قيل (ومن لم يكن تاجرًا ليس عندهم شيء) . وفي ذلك يستوي مجتمعهم المستقر و مجتمعهم المتحرك : الحضر يسهمون في التجارة بأموالهم ، والبدو يشاركون في نقل السلع وقيادة القوافل .

وحين أراد الله للإسلام أن يتلألأ ضياؤه كانت المقابلة على الطريق البرمائي الذي تحدث عنه قد تركت بين الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين (غالب الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيعذبون في بضع سنين) . وكان قدر الشعوب المنتشرة على طوال هذه الطريق — ومنهم العرب — فلقاً مترجحاً .

وكان لذلك الطريق ذاته ، أو لوصلة منه ، قيمة حيوية أخرى بالنسبة إلى شعوب الشرق الأدنى كلها ، تلك الوصلة التي دعاها الأميركي (جيمس هنري برستد) منذ عام ١٩١٦ **بالملاك الخصيب** . وهو قوس دائري متقارب من المرض تكونـه بقاع خصبة مروية ، يمتد في شمال شبه الجزيرة العربية بين خليج البصرة والبحر الأحمر ، ويضم طرفة الشرق سهول العراق بينما يتأنف طرفه الغربي من مجموعة جبال وسهول ووديان تنتهي فوق سوريا حتى الحجاز ، ويلتعم طرفاً القوس في العقدة الجبلية الارمنية .

وميزة هذا القوس أنه مروري بالأمطار القادمة من البحر المتوسط ؛ وهي تخلق فيه شريطاً مخضلاً من الغراس والزروع والاعشاب ، يفصل ما بين الصحاري الجدببة لشبه الجزيرة العربية وبين هضاب ايران والاناضول القاحلة . وعصب هذا الشريط الحيوي مجرى انهار دجلة والفرات والماسي والميطاني والأردن .

ولم يكن يستغرب أن يتحدى هذا الفردوس النضر جشع الشعوب المحرومة المتاخمة له ، فتفتحمه غازية أو تهدى إليه متسللة . فكان ذلك أيضاً سبباً في غزوات لانهياً لها .

وفي داخل الجزيرة العربية لم تكن الحياة الاجتماعية قبل الاسلام على قدر كبير من التلاقي والتمازج . فالعصبيات القبلية والعاديات الاقليمية كانت من خصائص الحياة البدوية ونصف الحضرية . وعلى الرغم من التقدم الملموس في مضمار التألف والتحالف ، والاتجاه اليهودي نحو تصفية الضفاف والاحقاد ، فإن رواسب المنازعات الجاهلية كانت تشوب العلاقات العامة ، فتجعل من حياة العرب حينذاك خليطاً غريباً يجمع بين أشكال الحضارات الصحراوية وأحط مظاهر التفكك والانحلال .

* * *

مهمة ضخمة ، وأهداف صعبة بعيدة ، كانت مرتبطة إذن من البعث الاسلامي أوّلها وألحّها بناء السلام بين الشعوب المتنافسة على التجارات المرجحة ، وبين أولئك الذين كانوا يصطرون على مواطن الماء ومنابت الغذاء ، وبين القبائل العربية التي ألغت الفزو والمناجزة .

وبالجملة كان الاسلام في حقيقته الاولى دعوة سلام للعالم أجمع .

ولم يكن السلام في نظر الاسلام مجرد تحالفات ومعاهدات تعقد بين الارهاط أو الحكومات ، فذلك سلام مؤقت مزيل الاركان . ومن أراد القضاء على الحروب فيجب أن يجتنبها من جذورها ، أي من غرائز الناس ومطامعهم واهوائهم . ولذا كانت رسالة الاسلام العربي تقويض المجتمع العالمي من قواعده وبنائه من جديد على أساس المشاركة والاخوة والمحبة والتضامن والمعدل والمساواة ، دون تفريق في العرق والعنصر واللغة والدين .

ومن هنا كان ذلك الفيض الغدق من السنان والتشريعات التي تنظم الحريات الشخصية وال العامة ، وتحدد الواجبات والحقوق ، وترسم خططاً دقيقاً مكتتملاً للالحاق الفردية والعائلية والاجتماعية والمدنية .

ولسنا هنا في مقام التقصي لarkan الدين العربي ، وأغا اردا ان نسوق الامثال على نهج البحث التاريخي الذي يروز الحوادث ويصنفها ، ويقارنها باشباهها وأغيارها ، ويرجحها الى نسبتها ويسير معها الى غايتها ، ويستخلص منها القيم الموجهة ويسجل توجاتها واستحالاتها من خلال التنفيذ .

ومن قبيل النموذج ايضاً التركيز على بعض الأسناد المكتبة التي صمدت في بنية الخلق العربي ، وعرفت عنه في سمع الارض وبصرها ، وكانت في نشأتها ردة فعل طبيعية لآفات العصور القاتمة وآلامها .

ونحن هنا نعد ولا نحصي ، فنذكر مثلاً رعاية العربي لحرية الديانات ، ومقته المجنون على القل ، وعدم تمييزه بين العناصر والاجناس والالوان ، ورفضه مبدأ تقسيم الناس الى اسياد وربابة وعبد ، وتحسسه العميق بالظلم ، ومقاومته الصنمية وتآلية البشر ، وحرصه على المساواة ، وأريحيته في الاخذ من ماله ورده على الفقير والحتاج .

جميع ذلك اقنية سلوكية جرى فيها الطبع العربي عبر الاجيال وخلفتها مؤلفاتنا المفوعة على صور مواعظ ووقائع وشواهد . ولكن القليل منها ، بل الشاذ عنها ، هو الذي عني به مؤرخونا رحمهم الله ..

ان سيرة (القديس يوحنا الدمشقي) مثلاً ، ومقامه عند الخلفاء الامويين وسماحهم له بالرد على المذهب الرسمي للدولة في (المحاورة بين مسلم ومسحي) ، لأدل على واقع المجتمع العربي — الذي صان الكنائس والبيع كما صان المساجد — من سير الخلفاء في قصورهم . ولو كان المجتمع في ذلك العهد على الصورة المتحلة التي يرسمها التاريخ لحياة البلاط ، لما كان هنالك فتح لاسبانيا في ذلك الحين من الدهر .

والمرتبات الكبيرة التي عينها الامويون بالذات للعناصر غير العربية ،

والوظائف التي وضعوها بين أيديهم ، لتدحض معظم الحوادث الافرادية التي دونها البعض عن سوء معاملة الاميين للمواли قبل ان يبدأ هؤلاء حملتهم الشعوية الملعونة .

واننا حين نذهب لاستمرار شيء اسمه الوجود العربي إثر غارات المغول والصلبيين ، لا يزيل دهشتنا ، بل يضاعفها ، ما يقع عليه في كتب التاريخ عن دسائس القصور في عهد الملك ، ولكن دهشتنا تتجه حين تمعن في سيرة الإمام ابن تيمية ونعاشه في سجونه ، ونستوعب كتبه وأراءه ، فنستخلص منها أن المجتمع العربي بجماليه كان بخير . ورسائل هذا العربي العالِم ، في العبودية والواسطة ورفع الملام عن الأئمة الأعلام ، وشرحه لحديث أبي ذر عن رسول الله فيما يروي عن ربه انه قال : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محراً عليكم فلا تظلموا (إلى آخر الحديث) ، كل ذلك يصور لنا عصوب الجماعة العربية في عصر الملك ، الصورة التي تشرف وتطمئن .

ولنقل بصرامة وجرأة أن حكام العرب لم يكونوا في جميع مراحل التاريخ العربي في مستوى القيادة والأسوة .. وبالتالي فإن نوعاً من الانقسام بين الشعب وحكامه يضفي على تاريخنا الشيء الكبير من اللبس وقد انالا نسبجام.

ذلك ان الرسول العربي شاء ان يخلق امة يكتب لها البقاء ولم يشاً ان يخلق طبقة حاكمة يكتب لها السلطان، فهو إذ لم يعین احداً من بعده اعتمد على ایان الجمارة ووعيرها وقدرتم على اختيار قادتم باطريقة الشورى والتمسك بما عاشه الجماعة.

وهكذا اكتفى الرسول العربي بان يقول للمواطنين : كيما تكونوا
يولى عليكم ؟ وأرفق ذلك بحملة ارشادات تصلاح لأن تكون نبراساً في الحكم
والادارة (أحسنوا إذا وليتم . كل راع مسؤول عن رعيته . أياها رجل استعمل
رجالاً على عشرة وقد علم أن في العشرة من هو أفضل منه فقد غش الله والرسول وجماعة
المساهين . أياها والـ ٰولي شيئاً من أمر أمتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم كمنصيحته
وجهده لنفسه كبيه الله على وجهه يوم القيمة في النار . الخ ..)

ولكن الحكم الاسلامي ، بعد أن بارح الحجاز ، أصبح إرثاً ملكيّاً على
غرار الروم في دمشق والفرس في بغداد . وطبعي ان يحدث الانقسام بين الحكم
والمواطن حين تناهى الحكم عن الاسلوب الديمقراطي السوي .

وليس من شك في أن أثر الكثير الكثير من ملوك العرب كان شيئاً في
رعايهم ، وبالتالي في استقرار الحكم العربي واستمراره ؛ وذلك ان الرعية لابد
وان تتأنس براعيها .

ُروي في بعض الاخبار أن الوليد بن عبد الملك كان يحب العمran ،
فكان الناس في عهده يتسائلون بينهم عن العمran ويتنافسون فيه ، وكان أخوه
سليمان ذات رغبة في الاكل ، فكان حديث الناس في عهده عن الطعام ، وكان عمر بن عبد
العزيز من أولي الصلاح والتقوى ، فكان الناس على أيامه يتسائلون عن العبادة والقرآن ...

ولا نرتاب أيضاً في أن اسلوب الحكم المركزي الذي سار عليه الملوك
لضمان عروشم قد حرك نسمة رعاياهم ومهد السبيل للحركات الاستقلالية ، التي
دعمها من جهة ثانية اعتماد ملوك بني العباس على التطوعة والمرتزقة من طغام الاجناس
في حكم الامة العربية ، ودعمها من جهة ثالثة الوضع الجغرافي الخاص الذي يجعل
من الاقطاع العربي وحدات اقليمية تبعد بينها المفاوز والصحراءوات ضمن الاطار
ال الطبيعي الشامل .

فإذا كان للتجزئة العربية سياسياً من سر ، فهذا سرها ...
أما بقاء الوجود العربي في الحيز المحسوس سليماً معافى رغم التجزئة ،
 فهو يعود أولاً وأخيراً إلى الوجود في حيز الروح والوجودان ، روح الشعب
ووجودانه ، اللذين صنعتهما القرآن حين صنع العرب من جديد وإلى الأبد .

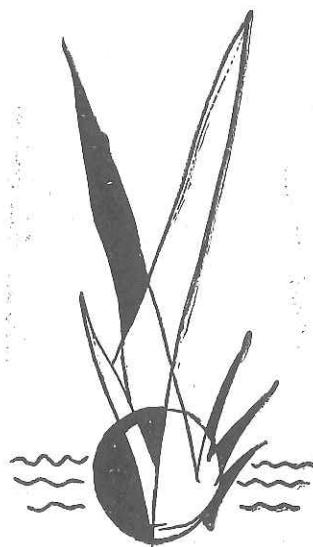
كيف نكتب تاريخنا

في ضوء ما تقدم لا يعز علينا أن نعيد كتابة تاريخنا على وجه معقول ومحبوب .
يجب أولاً وقبل كل شيء ان نعطي الجماهير نصيتها من التاريخ .
ويجب ثانياً ان نستخدم الحوادث الهامة لنجردتها من جزئيتها ونظمها في خطوط ومبادئ مستمرة . فما كل قاطع طريق بشائر ؟ وثوراتنا قد تكون أخلاقية تهدف إلى تقويم انحراف الحكم ، او شعورية تتبعني تقويض الحكم أو أنانية تطمح في الاستيلاء على الحكم .
ويجب ثالثاً ان لا نفصل بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي ، فالتاريخ حياة ، والحياة كل .

ويجب أخيراً ان نختلف الحوادث العربية في إطارها الخارجي ، تاريخيناً وجغرافياً ، بحيث تكتسب من المفزي بقدر ما تكتسب من الوضوح .

ولعلنا نستطيع أن نتبين قيمة التاريخ المقارن اذا وازنا بين التيارات والنظم العربية وبين أمثالها عند غير العرب . فالإنجليز مثلاً عندما احتلوا أمريكا في العصور الأخيرة سحقوا الحضارة الهندية السابقة لهم كما سحقوا أهلها . أما العرب فقد قدسوا حرمة الإنسان، أي إنسان ، في البلاد التي بسطوا سلطتهم عليها، وتقاعلوا مع كل حضارة أخذوا وعطاءً ، في نطاق الجوهر الإسلامي . والعرب ملكوا الأرض من كان يفلحها ، ولم يقتصبو مال الغير إثماً وعدواناً . والعرب عرفوا في الإنسان طبيعة الأنسي ، فلم يخرجوا به إلى آفاق الملائكة او يدبوا به مع

الحيوان . والمال في شر عنا فضل الله تعالى ، وهو رحمة وخير وحسنة ، وهو فوق كل شيء جزاء الأعمال . والمال أيضاً فتنة وغواية ومنحدر ازلاق واداة سيطرة . والانسان السوي في نظر العربي هو الوسط في كل شيء . ومن هنا نستطيع أن ننطلق الى تحديد الشخصية العربية وذبذباتها على مسار التاريخ ، تحديداً يميزها عن الطغيان الجامح والانطواء المهزوم .



كيف تعرّب الأسبان وتفرنج المسلمين؟

بقلم: محمد جميل سليم

تأثير الحضارة الاندلسية
على شبه جزيرة ايبيريا ..
وتأثير الأسبان على أصحاب
الحضارة الاندلسية

حكم العرب وال المسلمين في شبه جزيرة ايبيريا طوال ثانية قرون (٥٧١ - ١٤٩٢ م) فصبغوها بصبغتهم لغة وأخلاقاً وعادات ، وأخذوا عن الأسبان مثماً أعطوا ، فأصبحت عروبة قرطبة تختلف عن عروبة بغداد التي تعاصرها . لقد صار للعروبة وقىئذ لونان : لون اندلسي قوطي ، ولون عراقي فارسي . أما العروبة نفسها والحضارة التي اقامتها هنا وهناك فانها وان اختفتا في الظاهر إلا ان حافظتا على الوحدة من حيث الجوهر .

القارب بين بلاد الشام وأسبانيا قبل الفتح

كانت البلاد التي تحيط بالبحر المتوسط ، عند الفتح العربي ، ذات حضارة تكاد تكون واحدة ، وهي حضارة اليونان والروماني ، على ان بلاد الشام وشبه جزيرة ايبيريا لم تكونا تجتمعان تحت لواء هذه الحضارة فحسب ، بل كانت وحدة المصير في التاريخ ، ووحدة الدين تقاربان أيضاً بينها : فالفينيقيون اللبنانيون أقاموا المستعمرات في اسبانيا ، كما ان اليونان الذين حكموا سوريا أنشأوا كذلك فيها المستعمرات . ثم بسط القرطاجيون من ابناء لبنان حكمهم على اسبانيا ، وظلوا

فيها حتى أجlahم عنها الرومان سنة ١٣٣ ق.م . وبالرومان اجتمعت بلاد الشام بشبه جزيرة ايبريا مرة أخرى ، لأن هؤلاء والروم البيزنطيين كانوا يحكون سوريا حتى الفتح العربي . زد على ذلك ان الشعوب البربرية الثلاثة التي خلفت الرومان على اسبانيا واتحدت بملكة الفيزيقوط سنة ٤١٩ م تلك المملكة التي حكمت هناك حتى الفتح العربي ٧١١ م ، ان هذه الشعوب لم تكن غريبة عن حضارة البحر المتوسط .

والى هذا فقد اجتمعت اسبانيا ببلاد الشام وسائر الشرق الادنى في نطاق العقيدة ، فقد اخذت عن سوريا النصرانية واليهودية . فكانت وحدة المصير السياسي في كثير من الأزمان ووحدة الدين عاملين كبيرين للانسجام بينهما في التقاليد والأخلاق بالإضافة الى تشابه طبقة البلدين في المذاهب . على ان كل هذا التشابه لا يدو جلياً إلا إذا قابلنا بين اخلاق البلدين ، وبين مثيلاتها عند أمم أخرى كالأندلس سكون والجر من .

وكان من عواقب كل ذلك ان العرب وان اعتبرهم الاسبان اعداء حينما اجتازوا العدوة وعدوهم غرباء لما أقاموا الدولة الاموية بقرطبة (٤٢٢ - ١٣٨ هـ) إلا ان وحشة الاسبان منهم لم تثبت ان انقلبت الى استئناس ، ثم الى تآف ، وذلك قبل نشوء الحروب الصليبية بالأندلس في عهد ملوك البربر .

تطور الحضارة الاندلسية .

كانت اسبانيا بعد الفتح تابعة لأمويي دمشق . ولما قام العباسيون في بغداد ونكبو الأمويين ، وطاردوهم هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى مصر ، ثم الى شمالي أفريقيا . وقد بايعه في الاندلس اليهانية فانتقل اليها . ولما استقام له الأمر استقر في قرطبة وقطع الخطة على العباسيين (١٣٨ - ١٧١ هـ) ، وقد نشر العلم وعني بشؤون العمران بالإضافة الى عنایته بالجيش والأسطول ، وخلفه ابنه هشام (١٧١ - ١٨٠ هـ) فثار على الاهتمام بشؤون العامة والثقافة

ونشر اللغة العربية الى ان قامت في جوانب الأندلس مقام الانسان اللاتيني . اما عهد ابته الحكم الاول (١٨٠ - ٢٠٧ هـ) فكان عهداً الحروب بينه وبين شارلمان ففترت العناية بالعلم والأدب ، غير انها لم تثبت ان استعادت نشاطها في أيام عبد الرحمن الثاني (٣٣٨ - ٢٠٧ هـ) ، وكان معاصرًا للأمامون في بغداد ، ومنافسًا له في رعاية الفلسفة . ثم قامت قرن داخلية وحروب متواصلة صرفت بداعياً محمد الأول والمنذر الأول ، وبعد الله الأول ، عن الشؤون الادبية والثقافية حتى اذا تسمى العرش بعدهم عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) عوض ما فات ، وكان عهده فاتحة المسر الذهبي الذي حفلت به الاندلس في خلافة ابته الحكم الثاني (٣٦٥ - ٣٥٠ هـ) اذ كان هذا العاشر علماً عمرانياً فلم يدخل وسعًا في نشر الثقافة حتى أصبحت قرطبة ، على روایة خوسيه رویث مورالیس مدير العلاقات الثقافية في مدريد « مرکز الثقافة في الغرب ، واضحت المدينة الاكثر علمًا فيه دون استثناء روما . »

غير أن انصراف الحكم بكليته الى الناحية الثقافية ، وأهماله الجانب السياسي والناحية الأخلاقية أفضى باتالي لأن يكون عهده بداية انحطاط الدولة الأموية . وصادف أن صارت الخلافة بعده لولده هشام (٣٩٣ - ٤٠١ هـ) وكان صبياً فطمع الطامعون بها ، وثارت الثورات في عهده وعهد خلفائه ، فكانت نهاياتهم الأليمة سنة ٤٢٣ هـ ، وكانت بداية ملوك الطوائف وقد أشار اليهم شاعرهم ابن الخطيب بقوله :

حتى اذا سلك الخلافة انتثر
وذهب العين جيئاً والأثر
قام بكل بقعة مليك
وصاح فوق كل غصن ديك

كان ملوك الطوائف يريدون ان يشدوا حاضرهم عاصي الخلفاء فتنافسوا في التشبه بهم ، ولا سيما في تعزيز العلم والأدب وأهلهما ، وذلك على غرار منافسة أموري الأندلس لمعاصريهم العباسيين ، فأعطت هذه المنافسة أكلها الطيبة في المهدى.

وبفضل الحرية التي منحها ملوك الطوائف الفلاسفة وعلماء الدين ارتفع مستوى الثقافة ، وانتشرت العلوم والآداب حتى لم يبق بالأندلس ولا أمري ، على قول دوني ، وحتى ان المخانث ساهموا في الادب ووضعوا فيه المؤلفات ، ونشأ وقشتذ الشعر الشعبي ، وبرز في ميدانه ابن قzman .

وكان من المفروض ان يغدو عهد سلاطين البربر في الاندلس (٤٧٩ - ٨٦٩ هـ) المرابطين ، والموحدين ، والمرinيين .. ان يغدو عهدهم عصر ذبول الحضارة لقرب هؤلاء من البداؤة ، ولأن أيامهم كانت حافلة بالحروب . ولكن الحضارة الأندلسية ظلت في الواقع ترداد ازدهاراً ذلك لأنها كانت منذ بداية القرن الثاني عشر للميلاد ، قد أدركت من المناعة والقوة جداً جعلها لا تتأثر بالعوارض ، ولا تحتاج لرعاية أولياء العهد . هذا إلى أن فريقاً من سلاطين هذه الدول لم يأْل جهداً في محاراة أسلافه من العواهلي في تعزيز العمل وأهله . فإذا بالآفذاذ من علماء وفلاسفة وحكماء الحضارة الأندلسية ييرزون تباعاً كأبن رشد ، وأبن الطفيلي ، وأبن ميمون اليهودي ، والأدرسيي وذلك خلال القرن الثاني عشر ، ثم مسلمة المجريطي ، وأبن زهر ، وعازار كيـال الطليطي ، وسواهم من الذين ارتفعت الحضارة الغربية على سوادهم في القرون التالية واشهر في تلك الأيام أصحاب الموسحات كالحفيد بن زهر ، وأبي بكر بن زهر وأبن باجة ، وأبن سهل ، والأعمى التطيلي .

وكان المسلمون ، خلال نصوح حضارتهم في الاندلس ، يجلون تباعاً عنها مهزومين الى ملجهنهم الاخير عند سيف البحر : الى غرناطة عاصمة بني الاحمر (٦٢٩ - ٨٩٧ هـ) . وكان بين المهاجرين العلماء والادباء والصناع وغيرهم ، فامتلأت هذه البقعة الصغيرة باصحاب الموهبة ، ولا سيما بعد سقوط قرطبة (١٢٣٨ م) وشبيلية (١٢٤٨ م) فانقضت غرناطة من جراء ذلك بهضة كبيرة

كانت بقية انتفاضة الاحضار بالنسبة لحضارة الاندلس ، وحسب تلك الحقبة أن كان على رأس مشاهيرها لسان الدين بن الخطيب ، وابن خلدون ، وابن سعيد الغريبي . وقد أصابت الموشحات خلال ذلك نصيباً من الازدهار ، وكان يحمل العلم فيها إلى جانب ابن الخطيب ، أبو عبد الله بن زمرك ، وأحمد بن علي الخامني .

الاسبان يتغوبون ويساهمون في بناء الحضارة

لا أدرى ما هو نوع الجاذبية التي كانت للعرب ، أبان الفتوح ، والتي كانت ألمى من الحسام في اخضاع الشعوب ، وفي حملها على الانصهار بهم ؟ فاليونان والدول المتفرعة عنهم ، وكذلك الرومان ، بسطوا سلطانهم قبل العرب على كثير من الامصار التي دخلت في حوزة هؤلاء وأثروا علينا ، ولكنهم لم يستطيعوا سبلاً للقضاء على قومياتها بينما أن العرب ما كانوا يحتلون مصرأً من الامصار حتى تشاءعروبة ، ثم تنفذ إلى صميمه فيساهم ذلك البلد في بناء حضارة العرب بلغة العرب .

صحيح أن الاسلام يرجع اليه الفضل في هذه الجاذبية بما أمر من انصاف الصعفاء على الاطلاق وبما وضع من حقوق للذميين ، ولكن علينا أن لا ننسى ما كان للعرب أنفسهم من الاثر في هذا الشأن . فهم فضلا عن التزامهم عند الفتح أحکام الاسلام ، كانوا يتخلقون بأخلاق فطرية دعو قراطية تزيل وحشة الشعوب المغلوبة ، وتجعلهم قربان من قلوبها . إن العربي الاصيل خلق بفطرته لا يعرف النظام الطبقي الذي كان عند الرومان والصين وغيرهما ، وهو لا يزال حتى الآن يتسم بهذه الاخلاق فلا يرتفع الامير عن عبيده ، وإذا ناداه أحد منهم ناداه « يا عممي » فتلك الاحکام ، وتلك الاخلاق حملت الاسبان ، كما حملت غيرهم في البلاد الأخرى ، على الاقبال على الاسلام ، وكانت حافزاً للذين احتفظوا باديانهم للتعرّب ، وللمساهمة في بناء المدنية العربية ، ولا سيما اليهود منهم .

لقد شاهد الاسبان في بلادهم انتفاضة عظيمة عمرانية وثقافية ترافقت العهد

العربي الجديد ووجدوا انفسهم تجاه وحدة في المصالح مع الفاتحين فما وسعهم بعد ذلك الا الاعتراف بالأمر الواقع ، وتفقا على الافادة والاستفادة من هذه الاتفاقية ، فتعلموا اللغة العربية وترجموا الى لغتهم آدابها وقصصها فتطورت وظهرت بظهور ثري جديد ثم اقبلوا على مدارسها وجامعاتها ، وقلدوا أصحاب الدولة بالاسماء والازiae والتقاليد ، فإذا بهم بعد حين لا يختلفون عن العرب ، ولا يختلفون في شيء . بل أن شهرة جامعات قرطبة ومستشفياتها كانت تحمل بعض ملوك أوروبا وأعيانها على قصدها . وكان بين هؤلاء Gerbert الافرنسي الذي تسمى من بعده ، كرسي البابوية باسم سلفسترو الثاني (٩٩٠ - ٩٩٩ م) .

واكثر من ذلك فان مجاوري الاندلس لم يلبوا أن تأثروا أيضاً بالعروبة فقلدوا الاندلسيين بالفروسيّة وأخلاقها ، وتأثّرُوا بالاغاني ونظم الشعر ، ونقلوا عنهم القصص والامثال والحكم . وعلى رواية جوانان وقان كافر في كتابهما «العالم» فماعد الملامح العربية فان اساقفة ثغر ما كانوا ضربوا نقداً خط بالکوفی على أحد وجهيه الشهادتين ، وعلى الوجه الآخر رسم الحكم واسميه . ويروي ايضاً ابن جبير أنه شاهد النصرانيات ، في مدينة بالرم ، عاصمة صقلية ، خارجات في زي المسلمين في عهد التورمان .

أثر إسبانيا في الحضارة الاندلسية وفي أخلاق المسلمين

اذا زرعت حفنة من القمح الايطالي الممتاز بحجمه وجودته في غوطة دمشق أعطى في العام الاول قمحاً لا يختلف عن البذار . ولكن اذا كررت الزرع من نفس الانتاج فلا تثبت بعد سنتين قليلة ان تحصد حبساً لا يختلف عن امثاله من حبوب الشام . وهكذا فان المحيط الإسباني الذي عاش فيه المسلمين أحياً وأحياناً لم يثبت ان اعطى مثلما اخذ . ورغم القول المأثور : «الناس على دين ملوكهم» فإن التاريخ ارانا ان الدول الفالية تتأثر بشعوبها المغلوبة فالمسلمون في شبه جزيرة

أيروا تأثروا في لقهم العامة ، وفي ازيائهم وعاداتهم ، وفي أخلاقهم حتى في ملائمهم فاللغة العامة أصبحت بعد حين غير لغة بغداد وسواءاً لأنها استعارت كلمات إسبانية وتعابير وعربياً بينما ان لغة بغداد العالمية ، حتى الفصحي امتلأتا بالألفاظ والمعاني الفارسية والتركية . وقد أتيح لي ان اشاهد بنفسي الأزدواج بين لغة الاندلس العربية وبين لغة الإسبان معاصرتها : في رحلة الى الامريكتين دعيت في مكسيكو الى تناول الطعام في دار وجيه لبناني مثقف ، ولما تطرق الحديث الى مخلفات اللغة العربية في اللغة الإسبانية نهض مضيق و جاء بقاموس إسباني قرأت في مقدمته ان ١٨ في المائة من مفرداته هي عربية . وكان هذا المعجم كما ذكر واحدة منها يدرجها بالأحرف العربية الى جانب الإسبانية ثم يفسرها يد اني سرعان مالاحظت ان الكلمات التي اشار اليها المعجم باسم عربية هي اعجمية بالنسبة لنا ، وادركت انها كلمات إسبانية الاصل استعارها المسلمين هناك واصبحت عندهم عربية، دون ان يعرفوا اصلها.

وأما تأثير إسبانيا على أخلاق المسلمين فقد استبان جلياً في عهد ملوك الطوائف وما يليه ، اي في أعقاب الخلافة الاموية . في تلك العصور قامت مقاييس واعتبارات لا تتفق مع مقاييسهم القومية ، ولا مع مفاهيمهم الدينية . وأظهرها ما كان يتعلق بالمرأة فقد أخذت المرأة فيها أخذ الرجل من لهو وترف ، وجاذبية انواع المرح والزهو . فانطلقت في حريتها الى مثل ما انطلق اليه من تهتك ، وقالت ما لم يكن يقوله غيرها ، من تنزل وتخالع ، بل قالت ما يقوله الان صاحبات الادب المكشوف . انظر الى الاميرة الولادة بنت المستكفي ، وهي من سلالة الامويين فقد كانت تنقم بالذهب على الطراز الأعنى من عصافتها :

أنا والله أصلاح المعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيارا

ونقمش على الطراز اليسير :

أمكنا عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشهيها

وعلى غرار ولادة كثيرات من حرائر الاندلس أطلقن لأنفسهن زمام الحرية الواسعة على أن هذه الحرية التي أدركتها نساء الاندلس ان دلت على شيء فانما تدل اولا على استعداد المجتمع لها ، ولو لا ذلك لما تجرأت امرأة على تجاوز المألوف، وتدل ثانيا على الاقبال الاخلاقي الذي حدث هناك نتيجة لتبدل المعاييس بتأثير المحيط .

واما تبدل الملامح العربية فهذا طبيعي وللأندلسيين أسوة بغيرهم من العرب الذين سكروا البلاد الأخرى وقد أشار محمد رضا الشبيبي الى ذلك بقوله : « فمن ينزل من العرب فرغانة لا يستطيع تمييزه عن أهلها في السجنة واللون وال الهيئة، ومثلهم من نزلوا في غير فرغانة » من بلاد الترك .

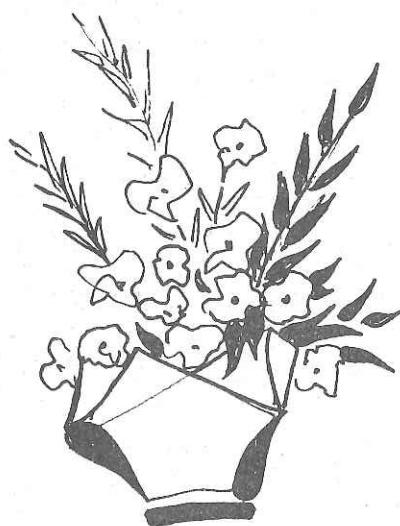
تفريح المسلمين بإسبانيا وضياع ملكهم

حدث كل ذلك إبان ما كان العرب في الاندلس يتبوأون عرش الرعامة ، ولما تخلوا عن هذا العرش إلى الأسبان صار الاندماج العربي بالظاهر للإسبانية والمواد ، طبعاً مألفاً . وكان أول من سن طريق الفلو في التشبيه بهم محمد بن سعيد بن مرديش أمير شرق الاندلس في أواخر القرن الرابع عشر أشار إليه ابن الخطيب في كتابه (الاحاطة بأخبار غرناطة) وقال : « كان يزيبي بزي النصارى من الملابس والسلاح والاجم والسرورج ، وكاف بمسائهم » .

وقرر لهذا الموضوع عبد الله عفيفي في الجزء الثالث من كتابه (المرأة العربية) وذكر أن ابن هود ملك الاندلس كان يسير في أشتات بلاده حاسراً الرأس وعلى هذا الطريق كان بتو الأحمر ينبحون . وأشار أيضاً إلى أن علماء الاندلس كانوا يرخون ذوائهم ، ولم يكن يسمح لغيرهم أن يفعل ذلك سيراً على سنته الفرج في رجال الأدب والفنون، كما أشار إلى أن النساء الاندلسيات لبسن الناطق الإسبانيولية واعتمرن بالقبعات، وخرج الفتيات حواسِ الرؤوس كواشف الصدور.

زد على ذلك ان مسلحي الاندلس ما ان غلبوا على أمرهم حتى ابتدأوا من القرن الخامس عشر يتعلمون اللغة الاسبانية ويستسيغون أدبهما الجديد ، ولا سيما المسرحيات . ولما نزحوا الى شمالي افريقيا وغيرها نقلوا معهم كتبهم ومسرحيتهم .

وهكذا فثليما عرب المسلمين الاسبان في بداية الأمر فان المحيط ساعده على صبغ حضارة المسلمين بصبغة اوروبية ، ثم استكملت في التالي الاحوال السياسية تبدل المسلمين حتى تفرنجوا . وما ان تفرنجوا حتى طردوا من الفردوس المفقود .



المجمع العلمي العربي

بقلم : جعفر هنفي

جلت الدولة العثمانية سنة ١٩١٨ عن الاقطارات العربية التي كانت خاضعة لنير سلطانها ، وفساد ادارتها ،
خلفة في تلك الاقطارات أوزارها وآثار تآمرها على القومية العربية ، وقد حاولت خلال حكمها نزع اقدس
خصائصها القومية ، ومقوماتها الشخصية ، والقضاء على اللغة العربية وتزييف أهلها . وأصاب الترك بعض النجاح ،
وتقادوا في غيهم عندما وجدوا ميدان العلم خاليًا من فوسانه ؛ واللغة العربية في حالة الاحتضار ، فامعنوا
فيها تهديماً ليجهزوا عليها ولكي لا يقوم للعرب من بعدها
كيان .

لاقت سورية منذ انفصالها عن تركية ، واعلان استقلالها . معضلات ادارية وثقافية واقتصادية عديدة
الخل وكان أهم هذه المشاكل مشكلة تعریب التعليم ، ونقل
قوانين الحكومة وتنظيمها وسجلاتها الى العربية ثم تقويم

لغة الدواوين الرسمية ، الادارية منها والعسكرية فقد كانت العجمة تطغى عليها جيما ، مما جعل أول حكومة عربية سورية على معالجة هذا الموضوع في اهتمام كبير فالفت لهذا الغرض شعبة للترجمة والتأليف في خريف سنة ١٩١٨ ، ثم استبدلت بها ديوان المعارف ، واستندت رئاسته إلى الاستاذ المرحوم محمد كرد علي ، وضمت إليه خيرة أساتذة اللغة العربية وآدابها .

وافسم ديوان المعارف بعد ذلك إلى فرعين ، ينظر الأول منها في امور التعليم عامه ، ويعن الثاني بشؤون اللغة ، ودور الكتب والمتاحف . وقد استقل الفرع الثاني عن هذا الديوان في شهر حزيران عام ١٩١٩ وأطلق عليه اسم (الجمع العلمي العربي) ، والحق نظرياً بادئ ذي بدء بالجامعة السورية ثم انفصل عن الجامعة في سنة ١٩٢٦ ، واستقل بأموره المالية والادارية ، وفتح بشخصية معنوية على مثل ماتكون عليه معظم جامع العالم .

عهد برئاسة هذا الجمع ، منذ تأسيسه إلى المرحوم محمد كرد علي ، وسمي لعضوته من العلماء القديمين في دمشق الاسنانة : امين سعيد وانيس سلوم ورشيد بقدوس وسعيد الكرمي وسليم عنخوري وظاهر المبارك وعبد القادر المبارك وعبد القادر الغربي وعز الدين علم الدين وعيسى اسكندر الملعوف وفارس الحوري ومترى قنديل ومرشد خاطر . وانتخب الجمع من الاعضاء المراسلين اضعاف هذا العدد وكلهم من علماء الاقطار العربية ، وعلماء الشرقيات في البلاد الاجنبية ، فأفادوا بجادتهم العلمية ، وبأفكارهم النيرة .

وحددت أغراض الجمع العلمي بالأمور التالية :

١ - المحافظة على سلامة اللغة العربية ، والحرص على وفائها بطلاب العلوم

والفنون الحديثة ، وجعلها لغة حية نامية .

٢ - وضع المصطلحات العالمية والعمل على توحيدها في البلاد العربية .

٣ - احياء تراث السلف في العلوم والأداب والفنون .

٤ - تنشيط التأليف والتعريب والبحث والتحقيق .

وانتخذ الجمع منذ تأسيسه المدرسة العادلية الكبرى مقرًا له ، بعد ان رممتا وجدد بعض اجزائهما وخصوص التحف باكثر قاعاتها .

ان المدرسة العادلية هي بقية مثاث من المدارس كانت عامرة في القرون الوسطى ، يشع منها نور العلم في هذا البلد ، وهذه المدرسة تاريخ مجيد في نشر الثقافة على أنواعها ، وقد درس فيها زمرة من أعاظم الرجال من فقهاء ومحدثين ومسررين ومحفوظين ولغوين ومؤرخين وأدباء .

ووضع فيها المدحبي تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين ، وفيها ألف ابن خلkan تاريخ وفيات الاعيان ، وتصدر منبرها خطيب دمشق الجلال الفزوي . وعلى باهرا كان يقف ابن مالك التحوي ، ويدعى الناس لحضور درسه ، مناديا هل من متعلم وهل من مستفيد . وفيها نزل ابن خلدون فيلسوف العرب ومؤرخها . وأراد الله ان لا يخل هذه المدرسة من علم ينشر وأدب يذكر ، فاختارها للمجمع مقرأً لكي يعود فيها سوق العلم والأدب الى الرواج بعد كسراد دام ستين طوالا .

وما كاد يذاع خبر انشاء المجمع العلمي العربي ، وتظهر باكرة اعماله ، حتى انهالت عليه رسائل التشجيع والتثبيط من علماء المشرقيات في مختلف الأمم ، وأعلنت الأندية العلمية سرورها بالمولود العربي الجديد الذي كان أول مجتمع من نوعه في الاقطار العربية . وأعلنت بعض الجامعات العالمية بتأليفه في اجتماعاتها الرسمية وابتهاج له أعضاؤها ، واعتبروه في ذلك الزمن أحدث مولد بين الجامع العالمية أو اللغوية ، وأعلنوا رغبهم في التعاون معه وفي تبادل العلاقات العلمية بينهم وبينه ، وبذكروا جميعاً جهود المجمع متمنين له التوفيق في احياء تراث العرب ، والنهوض باللغة العربية ، وربط الثقافة العربية القديمة بثقافة المدينة الحديثة .

ولم يكن علماء الاقطار العربية أقل حماسة من غيرهم فقد ابتهجوا لهذا الخبر ، واكبروا هذه الخطوة الجريئة المباركة .

باشر المجمع ، على قلة موارده ، وفي نشوة هذا الترحيب والتشجيع ، نشاطه العلمي واللغوي ، مدركا خطورة مهامه ، وشق بعاته نحوه في البلاد العربية التي عقدت عليه آمالاً جساماً في خدمة العلوم العربية وانعاشها .

وأصدر المجمع مجلته الشهرية (**مجلة المجمع العلمي العربي**) فجاءت فريدة في بابها في الاقطار العربية . اقتصرت أبحاثها على المواضيع اللغوية ، والأدية ، والتاريخية ، وعلى تقد الكتب الحديثة والتعريف بها ، وكتب فيها نخبة من علماء اللغة والمصطلحات والأدباء والباحثين فيتراثنا من عرب ومستشرقين . وما هذه المجلة الا صورة للمجمع العلمي وأثر من آثار نهضتنا الثقافية الحديثة .

تعرض المجمع في أول عهد الانتداب الى أزمات قاسية ، وحالات مفروضة ، كادت تتصف به وتنقضي على نشاطه . وكان بعض المترافقين للسلطات الحاكمة ، يتحينون الفرص ، كتنظيم ميزانية الدولة ، فيقتربون الغاء المجمع أو تقليل تقديراته ، ولكن اراده العناصر القومية المؤمنة بر رسالة المجمع كانت تقدس على الشعوبين كيدهم وتدعم المجمع في قوته وايان الى ان رست أركانه وثبت الى ماشاء الله كيانه . وقد تهيب الفرنسيون أمام الرأي العام العربي والغربي مغبة الاقدام على مثل هذه الاساءة الى العلم ، وهيكلذا أخذت الدسائси الحقيقة وتلاشت الاوصوات الضئيفة ،

وما كان هذا الصراع بين الخير والشر الا ليزيد المجتمع قوة وعزمًا حتى بلغ أشده ، واحتل مكانة عالمية مرموقة ، وأصبح قدوة لجامع أنشئتها بعض البلاد العربية على غراره .

ولم يقصر المجتمع نشاطه على فئة من الشعب دون غيرها ، بل وزعه بين الخاصة وال العامة ، ناشرًا في الفرقين الثقافة على أنواعها ، وذلك في محاضرات دورية ، كان يلقىها أعضاؤه وغيرهم من الأدباء ، والاطباء ، والمحفوظين ، والمهندسين ، والمؤرخين ، والإداريين وغيرهم ، وكان الاقبال على هذه المحاضرات عظيماً .

وأولى المجمع المكتبة الظاهورية عناليته بـ **بعد أن ضمها إليه** ، وكانت قبل ذلك تابعة لمديرية أوقاف دمشق ، وليس فيها الا نحو أربعة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع وكانت مصورة في قبة ضريح الملك الظاهر ، أما بقية بناء الظاهرية فكان فيها مدرسة ابتدائية ، توش على المطالع ، والباحث ، ولذلك كانت تضي الايمان دون ان يدخل المكتبة الا ناسخ لنسخ بعض المخطوطات ، أو زائر لشاهدة زخارف جدرانها الأثرية . وعمل المجتمع بعد جهد كبير على هدم المدرسة الابتدائية الى مكان آخر فاستقلت المكتبة بكمال البناء . وجعلت دار كتب عامة ، مجهزة بأفضل الأثاث ، ومزودة بأهم الكتب وال مجلات الحديثة والاجنبية . وأوفد المجتمع الى معهد تنظيم المكتبات في فرنسا طالباً للتخصص بهذا العلم ، فعاد حاملاً شهادة هذا الاختصاص . وتسلم ادارة المكتبة الظاهرية ، فأدخل عليها ما أمكن تحقيقه من التحسينات على أسلوب علمي عملي حديث ، وأصبحت المكتبة بعد ذلك دار مراجعة و مطالعة يومها الباحثون والقراء ليهوا من معينها . وتلك المكتبة على تواضع مظهرها ثروة طائلة من الكتب و تعدد من أغنى دور الكتب تقديم المخطوطات و نسخها . وقد ارتفع عدد الكتب المخطوطة فيها الى (٩٣٠٠) كتاب ، و الكتب المطبوعة الى (٩٠٠٠٠) كتاب و مجلة ونشرة باللغة العربية والاجنبية . وقد بلغ المعدل الشهري لروادها نحو (٣٢٠٠) قارئ . ولم تتخلف دار الكتب عن النهضة الثقافية الحديثة التي شملت البلاد ، بل جرتها في سيرها وفي تطورها المستمر فارتفع مستوى ا Humanity ، وازداد الاقبال عليها ، وأحرزت ثقة المواطنين ، فأهداها الكثيرون منهم خزائن كتبهم ، حتى صارت بعد كتبها وعد زائريها . وأسس المجتمع في مدينة حلب غرفة قراءة ، زودها بالكتب والمجلات فكانت نواة لدار الكتب الوطنية التي أسسها سنة ١٩٣٧ - ١٩٣٨ معالي الامير مصطفى الشهابي محافظ حلب في ذلك الزمن ورئيس المجتمع في أيامنا هذه .

وقد آلى المجتمع على نفسه منذ تأسيسه أن يأخذ بباب النهضة الحديثة وأن يستدولك ما فات في عصر الانحطاط ، فسمت همه الى انشاء

المتاحف ودور الكتب والى اقامة مهرجانات ذائمة ومعارض فنية تسمو في

الجمهور ، فيقبل عليها مستطلاً ويغادرها مزوداً بفوائد تلتفها في ساعات مما لا يتيسر له الحصول عليه في أشهر . وربما كان التبيان أفعى في الاذهان من سلطان البيان . وهذا مما جعل المجمع على انشاء متحف في دمشق وآخر في حلب ، عرض فيها من تراث السلف الآثار التي جمعها من الدواوين الرسمية ، او جلبتها من المناطق الارثية ، او استهدتها كرام المواطنين ، او ابتعتها من الاسواق التجارية . وأوفدت الحكومة محافظ دمشق الى فرنسة حيث تخصص بعلم الآثار الشرقية الفديبة ، وعهدت اليه بعد عودته بادارة متحف دمشق ، ولما بلغ المتحف رشده وضاقت المكان بغيره ضاقت ، افضل في عام ١٩٢٨ عن المجمع العالمي العربي ، وانتقل بعد ذلك الى بنائه الجديد ، حاملاً ثروة تاريخية وفنية يعتري بها الوطن . وكان انشاء المتحف في دمشق من اظهر اعمال المجمع .

وكان أمراً بارزاً من آثاره ، حضنه سنوات طويلة ، ووفر له اسباب الحياة والازدهار . ونظم المجمع في صيف عام ١٩٢٨ اول معرض قام في سوريا للصناعات الشرقية ، عرض فيه الطنافس النفيسة ، والتحاس المقوش ، والاخشاب الحنورة والاواني الزجاجية ، والاسلحة العربية ، وقائس الخطوط ، والصور ، وانواع النسوارات ، بغية تعريف الجمهور بهذه الصناعات الرائعة التي اشتهرت بها المدن السورية وغيرها من المدن العربية ، وبغية الحث على بيتها . واصاب المعرض نجاحاً فوق ما كان يرجي له ، واقبل عليه الجمهور من المدن السورية والاقطان المجاورة ، ليتمتع بروائع المعرفة والفنية ويطلع على نهضة البلاد الصناعية .

يؤمن المجمع العالمي العربي بان العناية باللغة العربية وهي بعد من مهامه الرئيسية والنهوض بها ونشر أدابها ، هي خير سبيل للم شعث الاقطان العربية التي شتتها الاستعمار وفرق وحدتها . ويؤمن بان هذه اللغة هي امضى سلاح يفسد على العدو ما ربه ، ويتحظى تحت سمعه وبصره الحواجز والحدود التي فرضها ، وينفذ الى اعمق الغوس حاملاً الى ابناء امتنا الدعوة الى وحدتهم والى عزتهم ، ويؤمن ايضاً بأنه لا بد لهذه اللغة الحالدة من ان تبقى كما كانت في ماضيها الحميد ، قطب الرحى ، تائف من حولها دنيا العرب ، وتحطم على صخرتها كل محاولة للفرق والبغاء ، وبانها ستبقى دائماً وابداً رسول العروبة الامين وحصناً المنيع .

لم يغفل المجمع عن اهتمام كل فرصة لتحقق اهدافه البعيدة في خدمة هذه اللغة ، فكرم من شاركوه من ابناء العروبة في اغراضه ، ورحب بالوافدين عليه من اعضائه ، وأشاد باعمال الراحلين منهم ، ونشط الأدباء والشعراء من الشباب الناشيء ، ونظم مهرجانات لذكرى الحالدين من السلف من شيدوا اللغة امتنا وآدابها مجدًا تالداً .

ومن جملة اعمال المجمع في زمن مضى انه أحتفل بثلاثة من اعضائه المؤسسين
كما واحد منهم من علم اعلام الشعر والأدب وهم : أمير الشعراء احمد شوقي ، وشاعر
النيل حافظ ابراهيم ، وشاعر القططين خليل مطران . فقد تجلت في هذا اللقاء
أصلحةعروبة في نقوس أبناء سوريا ، وتقديرهم العظيم لكل من خدم لغة القرآن الكريم ، وعمل
على إعلاء شأنها وسلامة كيانها . وأصاب هذا التكريم صرامة ، ولاقي في نقوس المختفي بهم
صداء ، فأشاد به أمير الشعراء بقصيده العصماء التي قال فيها :

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زدت ببني العباس بغداد

وأعرب حافظ ابراهيم عن تأثره وامتنانه بقوله :

شكترت جميل صنفكم بدمعي ودعم العين مقاييس الشعور
لأول مرة قدر ذاقت جفني على ما ذاقه دمع السرور

وخطاب خليل مطران يجعنا بقوله :
جزيت عنا الخير يا جمعنا

وحيى دمشق فائلاً :

ان تستعد من عزمهما مامضى وهي له أهل فهل من عجب

وكرم المجمع الشاعر المصري المعروف محمد الهراوي لما جاء الى دمشق حاملاً تحية شعراء
مصر وأدبائها وتحية النيل الى بردى ، نظمها بسحر يانه فقال :

هذا دمشق فحيّها بسلام أزكى التحية يا عروس الشام
إني آتيت إليك يدفعني الهوى شوقاً ، ويجدني إليك غرامي
وقدمت أحمل ود مصر وحبها وتشوق الفسطاط والاهرام

* * *

أدمشق يا أخت الكنانة في الهوى صلة الهوى في حومة وذمام
اختان في دين ، وفي نسب ، وفي أدب ، وفي أمل ، وفي آلام
فإذا تبعادنا ، فقد دنتا معـاً والقرب بالارواح لا الأجسام

وأقام المجمع في إحدى السنين حلقة مبتكرة في نوعها دعاها (حلقة تشبيط) كرم فيها

أربعة طلاب تفوقوا على أقرانهم في الأدب والشعر ، تنشيطاً لهم للمضي في هذا الطريق ، وهم السادة : زكي الحاسني ، وجليل سلطان ، وانور العطار ، وعبد الكريم الكريمي ، وكانوا جميعاً عند حسن ظن المجتمع بهم ، فلكل منهم اليوم منزلة في دولة الشعر والأدب .

ولم تكن الغاية من الحالات المختلفة التي كان المجتمع يقيمها للوافدين على دمشق تكريماً للعاملين بل كانت الغاية تأليف القلوب بين أدباء الشعوب العربية ، وفي ذلك ما فيه من خدمة لافتراض القومية العربية .

ولئن كرم المجتمع الاحياء من أعضائه ، فهو لم ينس واجبه نحو الراحلين منهم ، فقد أقام حلقات تأبين للمرحومين : الشيخ طاهر البزار ، وأحمد كمال باشا ، ومحمد رشيد رضا ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد شوقي . وكانت كل حلقة منها سوقاً اديباً ، تنافس فيه أدباء العرب وشعراؤهم ، وحلقوا في أجواء النشر والقريض ، مهرين باسم المجتمع واسم السوريين كافة عما خامر نفوسهم من الاسى على فقد هؤلاء الاعلام الراحلين .

ولم يصرفه تكريم المعاصرين عن احياء ذكرى الخالدين من علماء السلف وكتابهم وشعرائهم الذين خلدهم آثارهم ، وخلقوا لأتمهم مجدًا تباهى به على الامم طرائف ، فاقام في عام ١٩٣٦ مهرجاناً رائعاً بمناسبة مرور الف سنة على وفاة شاعر العرب الكبير أبي الطيب المتنبي . وأقام في سنة ١٩٤٤ مهرجاناً آخر بمناسبة مرور الف عام على مولد الشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري ، دام كل من المهرجانين أسبوعاً كاملاً اشتراك فيه جهور من أدباء العرب وشعرائهم وأفضل مستشرقين بلاد الغرب ، وتناولت أبحاثهم مختلف نواحي نشاط هذين العالدين الفنية ، والفلسفية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والتاريخية ، والدينية . وجمعت أبحاثهم القيمة ، ونشرت في مجلدات ليعلم بها ، وليطلع المخالف على عظمة السلف ، وليدركوا بمحاجتهم الغاية ومفاهيرها العابرة .

ولما رأى المجتمع تراجي الصلة بين أدبنا القديم وادبنا الجديد ، ورأى ضرورة الربط بينهما جاء إلى إحياء ما أهل من تفاصيص تراث السلف ، فنقب عنها في خزائن دور الكتب العامة والخاصة ونسخ طائفتها منها ، وحقق بعضها ، ونشر عشرات منها . وقد بلغت مجموع ما نشره من هذه النفائس (٥٦) كتاباً في مختلف المواضيع فيها في الاب نشور المعاشرة ، والمستجاد من فعارات الأجداد لا يلي على المحسن التنوخي ، ومنها كتاب الأشربة لابن قتيبة ، والتبصر بالتجارة للباحث ، والمتقدى من أخبار الأسمى لذمام الرببي ، وأخبار البحترى للصولي وأعتبر الكتاب

لابن الأبار ، وأخلاق الوزيرين لابي حيان التوحيدى ، والبيزرة لبازيل العزيز بالله الفاطمي . ورسالة الملائكة لابي العلاء المعري ، ومها في اللغة الموفي في النحو الكوفي لصدر الدين الكتغراوى ، واسرار العربية للانباري ، وتكلمة إصلاح ماتفاق به العامة للجواليق ، وبحر العوام في ما اصاب فيه العوام ابن الحنبلي الحلى ، وكتاب الابدال ، وكتاب الشنى ، وكتاب الاتباع لابي الطيب اللغوى ، وكتاب التوارد لابي مسحل عبد الوهاب بن حرب . ومن دواوين الشعر : ديوان الوليد بن يزيد ، وديوان ابن عنين ، وديوان علي بن الجهم ، وديوان ابن حيوس ، وديوان ابن الحياط وديوان الواواء الدمشقي ، وخریدة الفصر وجريدة العصر للمعاد الاصفهاني الكاتب ، وديوان ابن ابي حصينة . وفي التاريخ والسير والرحلات : تاريخ حكام الاسلام للبهقى ، والدارس في تاريخ المدارس للشبيخ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفضائل الشام لابي الحسن علي الربي ، واماراء دمشق للصفدي ، وترجم الانعيان من ابناء الزمان للبوريني ، وظرفة الاصحاب في معرفة الانساب للملك الاشرف اين رسول ، وتاريخ داريا لعبد الجبار الحولاني ، ورحلة ابن فضلان وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ، والثقافة الاسلامية في الهند لعبد الحمى الحسني النسوى . وفي الفلسفة : الرسالة الجامعية المنسوبة للمجريطي ، وكتاب النفس لابن باجة الاندلسي الخ .

ومهما يستخف بعض المعاصرين بمثل هذا التراث الكريم ، فسيظل ذلك التراث من أهم مقومات قوميتنا العربية ، كما سيظل اهم مرجع لكل كاتب ولكل اديب .

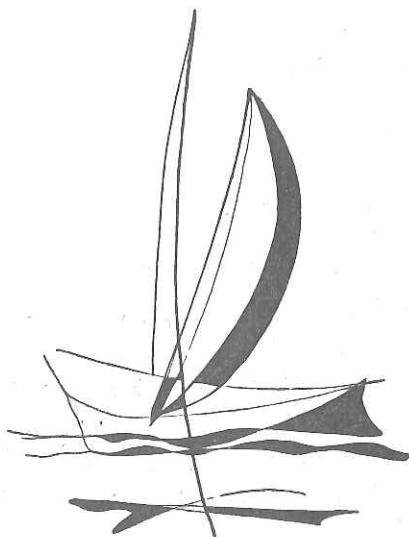
الخلاصة :

هذه لحة خاطفة عن أعمال المجتمع في الماضي وفي الحاضر . ومن الواضح ان تلك الأعمال كانت متنوعة يوم لم يكن في الدولة السورية أندية أدبية ، ولاردهات المحاضرات ، ولا متحاف ولا وزارة للثقافة والارشاد .

اما اليوم فقد قصر المجتمع عمله على ما تقوم به الجماعات الغوية والعلمية في العالم وهو فيما يختص بنا وضع المصطلحات العلمية العربية او تحقيقيها ، وتصحيح الأغلاط الشائعة . ومدارسة تراثنا اللغوي والعلمي والأدبي القديم ، ونشر المفيد من مخطوطاته ، وتشجيع الابداع بالملوكات ، والاتصال بالجامع والمؤسسات العربية والاجنبية في كل ما يخدم لغتنا وثقافتنا ، وفي كل ما يصل ماضينا بحاضرنا .

ومن الواضح ان هذه الأعمال لا توجه الى جماهير الشعب ، بل الى طبقة مخصوصة منه ،

وهذا هو الجواب عن تساؤل بعض الأفراد عن الأسباب التي جعلت المجتمع يكتف عن القاء المحاضرات ، وعن إقامة المعارض العامة . فالجتمع بعد انتشار الثقافة ومؤسساتها قد اقتصر على مهمته الأساسية وهي خدمة لفتنا وتراثنا القديم ، ولذلك قل اتصاله بالجماهير ، واقتصر على العلماء واللغويين والأساتذة والمدرسين وكبار الأدباء والصحفيين وأشخاصهم من يهتمون بتراثنا اهتمام بشؤون لفتنا ويجعلها صالحة لتعليم العالي وللتعبير عن حاجات المدينة الحاضرة . فهو لا يجيئ لهم صلة بالمجتمع وبمجلته وبنشراته . وهم يقدرون الفوائد التي يفيدونها منها .



الصافرة والصديق ..

لأبي حبان التوحيدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— الحلقة الأولى والثانية —

— 7 —

أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد) أحد جيابرة الفكر وأعلام العلم وعماقة الأدب ، الذين تركوا أثراً بعيد المدى عميق الجذور ، في حياة العرب العقلية وفي الثقافة الإنسانية ، سواء في العصر الذي عاش فيه أم في العصور التي أعقبته .

عاش حياته الطويلة ، التي جاوزت الثمانين ، في فاقه
الالية ، وحاجة مستديمة ، لم يبلغ الكفاف أكثر أيامه ، ولم
يبلغ ما يسد الرمق في ظنهن مقامه ، مع ما رزق من عقل نافذ
وعلم واسع ، ولسان فصيح ، وحسن في الأداء نادر ، لم يغف
 عنه مدحه وذمه ، ولا تزلفه وهجاوه ، ولا جفوته وقربه ،
لأصحاب الجاه والسلطان ، ومنهم من كان يرعى العلماء والأدباء
ويغدق عليهم أنواع العطايا ، وأخلاق الرزق .

صمت المؤرخون عن ترجمته ، فلم يشروا إليه في كتبهم ، ولا أشادوا بشيء من حسناته ، ولم ينقدوا شيئاً من سيئاته ثلاثة قرون متواليات ، إلى أن جاء ياقوت فكشف النقاب عن شخصيته الغريبة فقال :

كان جاحظيا ، يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ ، ويشتهر أن ينتظم في سلكه ، فهو شيخ الصوفية ، وفيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة ، ومحقق أهل الكلام ، ومتكلم المحققين وأمام البلغاء . فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة ، وفصاحة ومكنته ، كثير التحصيل للعلوم في كل فن ، حفظه ، واسع الرواية والدرایة . لم أمر واحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ، ولا أدرجه في خطاب ، وهذا من العجب العجاب » .

اختلاف الناس فيه ، فعد ابن الجوزي أحد زنادقة الإسلام الثلاثة : ابن الرواundi ، والمعري ، والتوصي . وذهب إلى أنه كان أشد منها ، صرحاً وأما هو فمجده .

وعده السفيكي في طبقات الشافعية .

وذهب آخرون إلى أنه من أهل الباطن أي الصوفية (١) .

وأيا ما كان مذهبه ، فإن اختلاف الناس فيه دليل على خطره ، ولم يكن الصمت عن ترجمته ثلاثة قرون إلا امتداداً لأذى لسانه ، وأثراً من آثار تغلب سوء أخلاقه على علمه وبيانه . شهد بذلك على نفسه فقال :

« أني تصفحت الناس فوجدمهم أحد رجلين : رجل ان نطق نطق عن غيط ودمنة ، وان سكت سكت عن ضعن واحنة ، ورجل ان بذل كدر بامتنانه بذله ، وان منع حسن باقباله بخله » .

ولعل كتابه « الصداقة والصديق » الذي نشره على الناس قبل ثمانين عاماً ،

(١) محمد كرد علي — امراء البيان — ج ٢ — ص ٥٠٠

باقعه عصره ، صاحب الجوائب **أحمد فارس الشدياق** ، من أعمق الكتب التي خلفها وحفظها الزمان ، فلقد ضم بين دفتيه بحثاً فريداً في لغة العرب ، لم يعرف مثله على القرون، عمقاً في الدرس، وغوّاصاً على المعاني، واختياراً للألفاظ، وانتقاء لأجواد الأقوال.

ألف التوحيد كتبه هذا في حال نفسيه لم تزيله طول حياته ، فكانت سبباً ل حاجته وفاته ، يتكشف أيدي الامراء ، ويقف على أبواب الحكم ، فلاري رداً لسؤال ، ولا جواباً لخطاب .

لقد عجب التوحيد نفسه من اقباله على التأليف في « موضوع الصدقة والصديق » وهو الذي وصف حياته فقال : **ولقد اضطررت بعد الشهرة والمعروفة في أوقات كثيرة الى أكل الخضر في الصحراء ، والى التكيف الفاضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروعة ، والى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق ، والى ما لا يحسن بالآخر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الالم ».**

رجل هذه نظرته الى الناس في النطق والصمت والبذل والمنع ، وهذا عيشه بينهم ، يضع كتاباً ضخماً برأسه في « الصدقة والصديق » ، ومن حقه أن يعجب ، ومن حق الناس أن يعجبوا له ، وأن يعجبوا به ، فما عرف في تاريخ الآداب كثيرون ، استطاعوا أن يخرجواعلى اهواهم ، وان ينتظموا في غير المقد الذي خلقوا فيه ، وأن يحملوا أقلامهم على التعني بغير ماطبعوا عليه . ان رجل حرم نعمة الالف والوفاء ، ولم يرزق ريحان الحنان ، ولم يعرف اخاء الاصدقاء ، يؤلف كتاباً جاماً في « الصدقة والصديق » خلائق ان يكون موضع العجب والاعجاب ، وجدير بأن يحتل الترورة بين المبدعين .

لم يخف هذا على التوحيد نفسه ، بل أضاف اليه أن عمله ليس « عجياً » فحسب ، وإنما وصفه بأنه بديع أيضاً فقال :

« ومن العجب والبديع ، أنا كتبنا هذه الحروف ، على ما في النفس

من الحرق والأسف والحسرة والغينظ والكمد والومد » . (١)

ان كل واحد من هذه البواعث خلائق بأن يخرج المرء عن طبيعته ، وأن يجعله مختل الميزان ، طائش الأحكام ، ليس له رأي صائب ، ولا فكر جمیع ، هذا اذا شاء أن يكتب في موضوع من المواضيع العادیة ، التي لا تنافر بينها وبين الحرق والأسف والغينظ وما إليها ، فما بالك اذا كانت النفس والمهدف على طرفي تقیض ، وما بين الواقع والمرتجى كاً بين البعض والبعض ؟

وليت التوحیدي وقف عند هذا الحد ، واغا استرسل في وصف حاله ، كأنه يتحدى المفاهيم العامة ، ويبدل بقوته على تطويق الملفظ والمعنى إلى قدرته ، وينقم لحظه الذاهب من المال ، بمحظه المقرب من المقال ، ويعلن بكثير من الصراحة غير المألوفة ، موجهاً خطابه إلى من وجهت إليه الرسالة : (٢)

« ... انك تبسيط من العذر ما لا يجود به سواك ، وذاك لعلك بمحالى ، واطلاعك على دخلتي ، واستمراري على هذا الانفاس (٣) والموز ، اللذين قد تقضا قوتي ، ونکشامرتي ، (٤) وأفسدا حياتي ، وقرناني بالأسى ، وحجباني عن الأسى ، (٥) لأنني فقدت كل مؤنس وصاحب ، ومرافق ومشفق ، والله لربما صليت في الجامع ، فلا أرى إلى جنبي من يصلني معي ! فإن اتفق بيقال أو عصار أو نداف أو قصاب فقد أسميت غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب التحيلة ، غريب الخلق ، مستأنسا بالوحشة ، كانوا بالوحدة ، معتقدا للصمت ، ملازمًا للحيرة ، محتملا للأذى ، يائسا من جميع من ترى »

(١) ص ٥ — طبعة الجواب والومد : الحر مع سكون الريخ (اللسان) . ومن المجاز : الغضب (الأساس

(٢) ص ٥ (٣) المجاعة وال الحاجة (٤) المرة : (بالكسر) قوة الخلق وشدته .

(٥) الاسى : (بالضم) الصبر .

وفي يقيني أننا لو قرأنا مثل هذا الوصف المؤرخ معاصر للتوحيد يصفه فيه ، وعرفنا بعده أنه ألف كتابا في « الصداقة والصديق » ، لكان لنا انزفف احدى الروايتين ، أما وصف المؤرخ للتوحيدى ، وأما نسبة الكتاب اليه ، وأما الجم بعنهما ، فأمر يكاد يكون بالمستحيل أشبه .

وموضع العجب أن التوحيدى نفسه هو صاحب الكتاب وابو عذرته ، وهو الذي وصف نفسه بقلمه ، بهذه اللوحة القائمة ، التي يشغى السواد من جميع أطراها ، فلا تكاد ترى فيها اثراً لنور ، ولا بارقة من امل ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وحياة وما هي بالحياة !

لست شعرى كيف تسنى لمن احاطه العوز ، وقرن بالأسى ، وقد كل مؤنس وصاحب ، حتى لا يرى في الجامع من يصلى معه ، غريب الحال والافتظ والنحللة ، مستأنسا بالوحشة كيف تسنى لانسان هذه حاله ان يؤلف هذا الكتاب الجامع في الصداقة والصديق ؟

بهذا قدم التوحيدى كتابه لقراءه ، الذي أربى فيه على المألف ، وعز على الشبيه والنظير ، وارتفع عن الأنداد والأتراب ، وكان فرداً لا يدرى أصبره أكبر أم علمه ؟ وعقله أوسع أم لغته ؟ وعزلته أعظم أم فنه ؟

ان هذا العقل الجبار ، الذي ترك الناس هذا الاثر في (الصداقة والصديق) مع ماحق به من أرذاء ، تتحني له الأجيال ، وتشاغر أمامه الرجال ، ويدو جيلا لا يطاول ، وبحرأ لا يساحل !

- ٢ -

ما هي المواضيع التي عالجها التوحيدى في كتابه ؟
جرت عادة المؤلفين في العصور القدية والحديثة أن يقدموا موضوع كتابهم في الصفحات الأولى منه . أما التوحيدى فقد اكتفى بعنوان الكتاب ،

ومضى فيه على الطريقة المألوفة في عصره ، دون تبويب ، ولا تنسيق ، إلى أن كاد ينتصف ، وهنالك قال : (١)

« قد ات هذه الرسالة على حديث الصدقة والصديق وما يتصل بالوفاق والخلاف والمجر والصلة والعتب والرضا والمذق والاخلاص والرئاء والنفاق والخيلة والخداع والاستقامة والاتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار .. »

ولو انك ذهبت تحصي هذه الالفاظ ومعانها ، لوجدت أن مايندرج منها تحت معنى الصدقة ستة ، وان مايندرج على نقبيها اثنا عشر . فالصدقة والوافق والصلة والرضا والاخلاص والاستقامة ، بمقابل الخلاف والمجر والعتب والمذق والرئاء والنفاق والخيلة والخداع والاتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار . فاذا كان الملفظ تعبيراً عن فكرة تدور في الرأس ، أو عن الواقع تضطرم بها النفس ، فلاشك في أن التوحيد قد كتب رسالته هذه ، وهو أميل إلى نفي الصدقة والاصدقاء ، وأقرب إلى التغفير من الناس ، لأنه اقتصر في التعبير عن الصدقة وما يناظرها ، وأسرف في التعبير عن العداوة وما يشابهها ، ولا عجب بعد أن عرفت ماعرفت عن كرهه للمجتمع ، وبعده عنه ، واجتواء الناس له ، ونفرتهم منه ، حتى يصل إلى الجامع فلا يصل إلى أحد إلى جانبه .. إن يكون أبو حيان ، عن الصدقة الحقيقة بعيداً ، وبالإيمان بوجودها كافراً ، ولهذا فإنه يبدأ كتابه بعد القديمة بهذا الحكم القاطع الجاف :

« وقبل كل شيء ينبغي أن تشق بأنه لا صديق ولا من يتشبه بالصديق » (٢) .
ولا يقف مؤلفنا عند قوله هذه ، بلأخذ يدعمها ، ويدلل عليها باقوال
بلغاء المتشائمين ، من الكتاب والشعراء والحكماء ، فيروى عن جميل بن مرة
أنه قال : (٣)

(١) ص ٧٩ (٢) ص ٦ (٣) ص ٦-٧

لقد صحبت الناس أربعين سنة ، فما رأيتم غفروا لي ذنبا ، ولا ستروا لي عيبا ، ولا حفظوا لي غيضا ، ولا أقالوا بي عثرة^(١) ، ولا رحوا لي عبرة ، ولا قبلوا مني معدرة ..

وي neckline عن المسجدي انه كان يقول كثيرا :^(٢)
الصداقة من فوضة ، والحفظ معدوم ، والوفاء اسم لحقيقة له ، والرعاية
موقوفة على البذل ، والكرم فقد مات ، والله يحيي الموتى .

وترى أقوالا أخرى مماثلة لثوري وابن كعب والصافي وغيرهم .

لماذا أخذ التوحيد بهذه البداية القبيحة ، التي تفل العزم ، وتبرد
المهم ، وتعطى صورة منكرة شوهاء عن الدنيا وأهلها ، وهو الذي أراد أن
يمالج الصداقة والصديق ؟

أثره اراد ان يدلل على مبلغ قدرته على حسن السبك ، وبلاهة التعبير ،
واتساع الاحاطة ، في موضوع لم يكن منه في حياته الخاصة ، فيورد ولا صدر ؟
أم انه كان في الواقع صادقا كل الصدق ، حين التمس العذر لنفسه عن
هذه الفاتحة القاتمة ، فقال :^(٣)

استرسال الكلام في هذا النمط شفاء للصدر ، وتخفيض من البراء ،
وانحصار للحرقة ، واطراد^(٤) للغيف ، وبرد للقليل ، وتعليل للنفس . ولا بأس
بادر كل مالا عمه ودخل في حوزته ، وإن كان آخره لا يدرك ، وغايته لا تملك !
وإذا كان أبو حيان يريد أن يتخفف حقا من هذه الآلام التي برحت به
طول حياته ، فلماذا جرى في أكثر كتابه على غير هذا الكلام ، و Ashton بالصداقة
والصديق ، وبحث عن أسلوبها الفطرية والاجتماعية ، — على ما نحو ما سمع في

(١) كنافي الأصل . ولعل (ب) زائدة (٢) ص ٧ (٣) من ٧-٨

(٤) لعلها طرد

بحث مستقل — وحشد في كتابه أكثر ماقيل إلى زمانه من راء الشعرا والنشر في
وصف الصداقة والصديق ، وتحليل بواعتها وعواملها ؟

ام ان أبا حيان كان كثير الحنين إلى ما فقد طول حياته ، من عطف
الاصدقاء ، وبر الأحياء ، فكان كتابه لهذا صورة لما اشتهر ولم يتحقق ، وتعلمه
عما رجا ولم يدرك ؟

ام انه كان مؤمنا في دخلية نفسه بالصداقة والصديق ، وما كانت هذه
الخدمات إلا براءة كاتب ، وبلاعة اديب ، وروعة فنان ، اراد ان يقترب انتبه
قرائة ، وأن يتزوج اعجباتهم ؟

ام انه كان انسانا من الناس ، نعم مرة بالصداقة فمجدها ، وتلظى بالغدر
مرة أو مرات فكفر بها ؟

ام ان مجموع هذه العوامل ، هي التي أدت إلى تأليف الكتاب ، ونظمه
على هذا النحو الفريد ؟

ومهما يكن من أمر ، فإن أبا حيان قد وضع كتابه هذا ، وهو متمكن من
موضوعه ، محيط بشرائه وفائه ، لم يغادر متردما الا وقد أتى على ما فيه .

فإذا ما أخذ التوحيد في خوض موضوعه ، على الاسلوب الذي رسنه
لنفسه ، بدأ بما ينسجم مع تشاوئه ، ولم يحد عن الخطة التي اتجهها لاغتصاب
انتبه قارئه ، وانتزاع اعجباته ، فقال (١) :

«فاما الذي قال في أصدقائه وجلسائه الخير ، وأثنى عليهم الجميل ، ووصف
جده بهم ، ودل على محبتهم ، فغريب !

ان هذا «الغريب» قد ملأ كتاب أبي حيان ، وطنى عليه ، وفي سبيل
الدعوة له ومجيده نظم درر كتابه ، فكانت عقدا فريدا في جيد الآداب العربية ،
تزين به على الازمان .

(١) ص ٨

ولعل هذا «الغريب» قد أضحمي «نسبياً» بعد أن فرغ التوحيد من كتاباته، فذلل فيه الصعاب، وكشف سجوف الظلام، وأزاح وساوس الاوهام فقرب المتباعد، ووحد المتناقض، وأدلى المعد فإذا هو ملي حميم، ورد المنحرف إلى المصراط المستقيم.

واذا كنا قد لا حظنا في مطلع هذا الفصل ان التوحيد قد أسرف في التعبير عن العداوة فجشر لها اثني عشر لفظاً، واقتصر في التعبير عن الصدقة فلم ينتحرا الا ستة الفاظ ، فلا كذلك الكتاب ، فان معظمها في الصدقة ، واقله في العداوة .

فما الذي دعا التوحيد إلى سلوك هذا المنهج؟

الذى نرجحه ولا نجزم به — فما درى الحقيقة الا التوحيدى وحده ، ولعله هو نفسه ايضاً جاھل لها — انه قد استجواب الى الفطرة ، فلم يكن في وسعه ان يشد عن الدعوة الى السلامه ، والاخذ بأسباب الخير ، والاشادة بالمحبة . او أنه كان منساقاً الى ارضاء رغبات الناس ، وترجمة أفكارهم ، والمضي في تيارهم ، بداعم باطني من اللاشعور . فما عرف أن الناس ، في أي مجتمع ، يرتابون الى نشر البعضاء ، وتحسين الشحناء ، واقامة العلاقات فيما بينهم على اسس من العداوة . او أنه أحب ان يكفر عن كرهه للناس ، وكرههم له ، فنسج من قلبه وقراطسه دعاء يحيط عنه ماؤقر في نفسه ، ويستقبل السخائم التي في صدره !

وبعد ، فإن التوحيد لم يكن ، في مجلـ كتبـه ، داعـيـة فـرقـة وـخـلـافـ ، بل كان داعـيـة موـدـة وـاعـلـافـ. ولعلـ كـتـابـه هـذـا من خـيرـ ما أـتـيـجـتـ قـرـائـعـ أـسـلـافـناـ من العـربـ في الدـعـوـة إـلـى حـيـاة اـحـتـمـاعـيـة صـالـحةـ ، الـحـمـةـ لـجـمـهـاـ ، وـالـصـدـاقـةـ سـدـاهـاـ.

المجتمع العربي

للدكتور أحمد شوكت الشطري

المجتمع - المجتمع كامة تعني جموعاً من الناس انصرفت
آمالهم النبيلة وأماناتهم السامية واعمالهم الفردية والجماعية في
رحي المهد المترافق والمثل العليا وكانت لفتهن في اغلب الاحيان
واحدة (١).

المجتمع العربي - تيز المجتمع العربي عن غيره من المجتمعات
في سابق الزمان بانه مجتمع اتصف انسانه بعزايا انسانية اتى على
ذكراها الحارث بن كلدة الثقفي في معرض حديثه مع كسرى
انوشنروان حين طلب منه ان يعرفه بصفات العرب .

قال كسرى : فما الذي تحمد من اخلاقها - اخلاق العرب -
ويعجبك من مذاهبها وسبجاياها ؟ اجاب الحارث : ايها الملك انفس
سخية وقلوب جزية لغة فصيحة وانساب صحيحة ، واحساب
شريفة ، لا يرم عزهم ، ولا يضم جارهم ، ولا يستباح حرفهم
ولا يذل كريهم ، مطعموا الطعام في الجدب ، يرق من افواههم

(١) يشذ عن ذلك عدد قليل من الشعوب بينهم الشعب السويسري .

الكلام اعذب من هواء الربيع . فاستوى كسرى جالسا وخطب المأرث بقوله : لله درك من عربي ، لقد اعطيت عاماً ، وفطنته وفيها وكذا العاقل من حكمته التجارب .

نقلنا هذا الحديث لنبين ماتخلل به العربي من صفات انسانية اعدته للمكرمات .

انت هذا المجتمع انساناً ركزوا دعائماً العروبة ف تكونوا العرب من الانطلاق في ميادين التقدم العلمي والتزعمات الانسانية الكريمة انطلاقاً لم يشهد التاريخ مثيلاً له ولحصيلته العالمية .

كان العرب أسبق الناس إلى السير بالقوميات باتجاه إنساني

لا يصل إليه تقدم العالم الحديث فقد جعلوا القومية وعيّاً يشمل الأفراد والجماعات التي يرتبط بعضها بعض بوحدة الأرض واللغة والمثل العليا والأهداف ، وبتشابه العادات ، وتقرب الميل ولغاليات دون أن يكون الناس فيها من اصل واحد أو لون واحد .

جاء في كتب السيرة ان رجلاً من الاعراب انكر على سامان الفارسي وصهيب الرومي ، وبالاحبشي ، ان يكونوا عرباً ، فرده الرسول في المسجد قائلاً : يا أيها الناس : ان الرّب واحد ولن يحيي العرية باحدكم من اب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربي فهو عربي وهكذا : اطلق الرسول الكريم تعبير العربي من نطاقه الضيق الآثني واعني به من كان في اصله ابن الجزيرة العربية ، إلى معنى واسع إنساني فجعل هذا التعبير دالاً على عالم كبير : تأثر بالذوق العربي وبأخلاق العرب وأخلاص لمبادئ العروبة بقوله وعمله واعتبر اللغة العربية لغته الأصلية ، ولقد جاء في اقوال المحافظ ما يؤكد ذلك الاتجاه منها ذكره :

ان الاستواء في التربية واللغة والشمائل والهمة والأفة والجمية وفي الأخلاق والسببية يقوم مقام الولادة والارحام الماسة » وهكذا فإن المحافظ ربط الفكرية القومية بعوامل عديدة منها عامل اللغة كما كان الرسول الكريم من قبله وكما قال بذلك علماء الاجتماع والقوميات في العصور الحديثة ومن بينهم هردر (١) وفيخته (٢) وموريس (٣) وماكس نورد (٤) وكثير من عالجوها هذا الموضوع .

هذا وانت ترى ان هنا الرأي السديد ، الذي يبشر العرب به وتفنده من ذا أمد بعيد ،

-
- | | |
|----------|-----|
| Herder | (١) |
| Fichté | (٢) |
| E. Moris | (٣) |
| Max Nord | (٤) |

وحرى بنا ان نتمسك به وندعمه لانه يسد ابواباً يسعى المستعمرون النفوذ من خلالها ليقولوا اتنا سنا امة واحدة بل مجموعة من الأمم ، محاوين بذلك بث التفرقة بيننا والمحولة دون الفتنة .

لقد اقر العالم اليوم هذه الفكرة الانسانية ولكنه لم يستطع تنفيذها في كل مكان ولا ادل على ذلك مما نسمعه بين حين وآخر عن ما سي التمييز العنصري في العرق والالوان في بعض الدول والبلدان .

العرب ومجدهم العالمي : كان العرب عبر التاريخ متفرقين مزقهم روح قبلية ، اعني بصيرة اكثراً زعمائهم فكرة انانة فشا الجهل في معظم افرادها ، فساء تعاملها ، وبعد عن العقل اتجاهها وتوجيهها ولكن مالبث ان نبغ في العرب رجال اصياء وحدوا العرب وفتحوا فيهم روحًا جديدة تحكم العقل وتعلي شأن العلم .

لقد اعتمد الرسول العربي في رسالته على العقل والعلم فأنشأ جماعة تعلي شأنها ويجعلها عريياً قوياً في جسمه وعقله متعطشاً للعلم المفرون بالعمل ، جيلاً تخلى بالعزوة وعلو النفس والاباء والجرأة والصراحة ، جيلاً فتح القلوب وانار البصائر والمقول ، استطاع هذا الجيل بما وله فيه من ظماماً للعلم ارواء عليه منه فجمع في اقل من قرن علوم سبعة من العلماء الاولين ثم زاد عليهم وقلها الى الناس اجيئين ، وقد اشار الى ذلك الاستاذ العالمة قسطنطين زريق رئيس الجامعة السوربة الاسبق في الحاضرة التي القاها بالاتكليزية في مؤتمر اليونسكو بقوله : والحقيقة الناصعة هي ان الحكم العربي والتصرف العربي والعلوم العربية والخلق العربي ، جميع هذه المظاهر كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بررسالة الرسول العربي ، وكانت جميع هذه المظاهر تقدمية ، خلاقة منسجمة مع سير الروح العربية نحو مثل من الحياة أسمى وأشرف ، وقد كانت هذه المثل ، بعد موته الرسول قوة حية تولدت منها حيوية الحضارة وقوة الابداع في الامبراطورية العربية على أشدتها .

ولقد استطاع العرب بعد ذلك مطاردة جوش الاوهام والاساطير فحرروا الانسان من تبعية الانسان الا با يقبله العقل ويقره العلم ، انهم رأوا في العلم ما يحفظ الكيان ، فشجعوا على طلبـه من المهد الى المهد وهـنـتوـا الوسائل لنـشـوـء اـمـةـ فـنـيـةـ فـكـانـواـ بـذـلـكـ وـاضـعـيـ الحـجـرـ الاسـاسـيـ لـجـمـعـ عـرـبـيـ وـقـومـيـةـ عـرـبـيـةـ اـسـتـوـضـتـ اـجـلـ مـقـاطـعـاتـ الـعـالـمـ التـمـدـنـ فـيـ ذـلـكـ الحـينـ وـهـكـذاـ اـضـرـمـواـ ثـورـاتـ فـوـسـيـنـ بـهـاـ بـجـالـاـ كـبـيرـاـ لـعـقـلـ وـعـقـلـاـ وـفـكـرـ وـفـكـرـيـنـ وـبـصـيـرـةـ وـمـتـبـرـيـنـ وـأـفـقاـ غـيرـ مـحـدـودـ لـلـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ .

يقول ، في صدد العقل واستئنارة العرب في علومهم بوجيه ادلاربات (١) مخاطباً ابن الح
له درس في جامعات فرنسة ومتغراً عليه : ابني والعقل رأى تعلمت الشيء الكثيرو
والعلم الغزير من أساتذتي العرب بيدنا انت بهوت عينيك المظاهر فقيدت
رأسك بعنان ، لقد اعطى الله الناس العقل ليميزوا به الحق من الباطل فكان
له الاثر الكبير في العلم العربي .

استطاع العرب في سنوات معدودات ان يصبحوا اسياد العلم في العالم فقالوا بأراء اخذ
علماء اليوم يقولون بما يحاجكها واخذت الامم تفاخر بعضها بعضاً باولوية القول بها ، فهاهي علوم
الوراثة وتحسين الولد واصلاح النسل التي يظن أنها علوم حديثة كان للعرب فيها باع طويلاً كما
كانت لهم تجارب تقرب من تجارب مندل (٢) ، لقد عرفوا التهجين فكانت منه إبلهم العريقة ،
واني لارجو من يشك في قوله ان يرجع الى بحث التسخاج المركب في كتاب الحيوان للباحث
لينفع بما اقول .

كان عالماً العرب اول من عرف الدوران الشعري والعروق الشعرية ، ولقد اكتشف
ابن نقيس الدمشقي الدورة الدموية الصغرى ونقلها عنه هارفي الانكليزي وزعراها لنفسه ، وعمل
سرفيتوس الايطالي ما عمله زميله الانكليزي في سرقنة آراء ابن نقيس واتخاذه لنفسه ، حتى ان
مارهوف (٣) العالم المعاصر قال في هذا الصدد ان ما اذهلي هو مشاهدة لابل مماثلة بعض الجمل
الاساسية في اقوال سرفينوس لاقوال ابن نقيس كأنها ترجمة حرفية ، ويدعم هذا الرأي
الدوميالي (٤) العالم المعاصر وكذلك ليون ينه (٥) عميد كلية الطب في باريز وزميله في بحث
هذا الموضوع الاستاذ هرين (٦) .

اما خبرة العرب في الكيمياء فكانت واسعة جداً حلت باً كون الفيلسوف الانكليزي أن
فتحت جبراً العربي المشغل بالكميات بأنه معلم العالم ، اما في الفيزياء فكان الكندى وكان ابن الهيثم
من البصرة : قال بالسد العالي ولكن الجرأة خاتمه حين مباشرته العمل .

(١) Edlard Bath أديب انجليزي من أدباء القرن الثاني عشر تتفق على أيدي علماء
العرب في الاندلس والشام .

(٢) Mendel

(٣) Mayerhoff

(٤) Aldo Mielli

(٥) Léon Binet

(٦) Herpine

اما في الطب فقد كان اطباء العرب سريرين مخبرين اعتمدوا على الفحوص المخبرية لمحلوبي
في هذه المناسبة ان اذ كر قول احد الشعراء في ثابت بن قرة وفي فحصه البوى :
 مثلت له قاروري فرأى بها ما اكتن بين جوانحي وشغافى
 يبدو له الداء الحقى كما بدا لعين رفاق الغدير الصافي
 واما في الامراض فقد قالوا بسرايتها ، بينما كان يعتقد الغرب انها من عمل الشيطان وله
 حذر من عدوى السل حتى ادباء العرب بينما ظل الغرب يعتقد بأنه مرض بنوى حتى القرن التاسع
 عشر ، يقول الشاعر العربي قبل اربعة عشر قرناً :
 فلياكم عنى لا يكن بك مابي هو السل او داء الهيماء اصابني

وعرف العرب التطعيم ضد الجسرى ، تعلمه من الصين عملا بالحدث الشريف « اطلب العلم
ولو بالصين » وكان الغنا من وسائل العرب في المداواة . ويبعد ان التراجم تردد في نشأتها الى
محاولة تسكين آلام المؤرقين النفسية باقوالها الرائعة يؤذنها صوت جميل .

وكان لهم في ميدان علم النفس خبرة واسعة ويجوز اعتبار بعض آراء ابن القيم وابن حزم
وفرويد في الحب والبغض متألة ، كما ان في تفسير الاحلام لابن سيرين ما يحاكي آراء فرويد
الحديثة . اما في الجراحة فكان العرب اول من عرف الحياطة باوتار العود — السكاتكوت في
يومنا — وكان مؤلف مروان بن زهر كتاب التدريس في مدرسة باريز الطبية وكان العرب
ايضا اول من عالج حصى المثانة باخراجها او تفتيتها كما عرفوا التصدير فيجعلوا الاسفننج سواغه ،
وكان الجراح ابو القاسم الزهراوى اول من اشار باستئصال الرضفة في كسرها وذلك قبل ان
يقرر هذا الامر علماء اليوم بستة قرون . اما امجادهم الفكرية في ميدان الرياضيات والفلك فهى
ما يبعث على حفز الهم للاتيان بثباتها وما يصح الايثام بها والفالخاربة باصحابها .

يقول كاجورى ان العقل ليدهش عندما يرى ماعمله العرب في الجبر ، وقد طبق العرب
المندسة على المنطق ، ولو لا العرب لما كان علم المثلثات وقد خطوا بعلم الفلك خطى تقدمية ، ويرى
بعضهم ان هناك تشابها بين نظرية ايششتاين في الجاذبية وآراء الفارابى فيها ، وقد تنبأ الفارابى
بالتراجم على الفضاء والسموات وذلك بقوله :

محيط السموات اولى بنا فلم ذا التراجم في المركز

هذا وكأني بعض القراء يتسائل عن سبب اتياني بشهادات علماء الغرب في علم العرب وفي
قدرتهم الكامنة وطاقتهم الماهلة ، والجواب عن ذلك هو ان شهادتهم تبعد عن مجال اتهامي
بالمبالغة في القول ، الواقع ان المدة التي قضوها العرب في التقاط العلوم وبلغوهم ذروته في زمانهم
هي من القصر الشديد ماحير المفكرين الباحثين . على ان اسسهـا ترتد في نظري الى ذكاء العربي

وما جبل عليه من حب للاستطلاع وما شجع عليه بآيات القرآن الكريم والاحاديث الشرفية
من طلب العلم منها عز المثال .

ومما لاشك فيه ان عددا كبيرا من قراء هذا المقال يحدس في سره : أما كفانا البحث عن
الاجماد الماضية وما لنا والزمن الغابر ، وعلينا بالمستقبل والحاضر !

وجوابي على ذلك هو ان المستعمرين سعوا باساليب علمية الى إضعاف ايماننا باتفاقاتنا
الكامنة المائة لذلک كان لابد لنا من خلق الایران في جيلنا ، ومن الثابت ان الامة التي تبغى
مجدا عليها ان تخلق في الانفراد روح الایران بقابليتهم وقدرتهم على الابداع وان تنشئ فيما
الشعور بالغزة القومية وذلك بالاهتمام بحاضرها وربطه بحاضرها ومستقبلها وما غايتها من كلاتي هذه
الافتین ایان العرب باتفاقاتهم .

وكانی بعض الناس يقول : كلام محير ، ان يیننا وبين العالم هوة عمیقة ، انه يبحث في
الفضاء وما في النجوم وعوالمها ، وفي الشمس وظائفها ، بينما يحوطنا القص من كل جانب ، الى
هؤلاء اقل کلامات المعاصر هو كینغ التي ذكرها في كتابه (مبادئ السياسة العالمية) عند بحثه عن
مستقبل الحضارة العربية ، لقد قال : ان الشغف العلمي الذي امتاز به العرب هو الجموع الباحث
عن العلم وعما وراء الطبيعة التي تنسب اليها كل الفلسفات ، هو الحضارة بعينها التي يتغدى منها
هذا الجموع وبضمها ويتمثلها ، هو التعاون المشر بين مختلف الذهنیات مع سعة العقل العربي
وعشقه للحرية والمثل العليا وتحررها من التعصب والتزمت ، ثم يتتابع قوله : وما هو جدير بالذكر
ان الشغف العلمي قوي في البلاد العربية اكثر مما هو في الغرب وامريكا نفسها ، انه واجب
دينی في نظرهم ، وآخرنا يختتم كلامه بقوله : وسوف نرى عندما ترول المفحة المحرقة التي اصابت
العرب وخدرت نفوسهم ، ان بقية العناصر كالثروة والشجاعة الفكرية والحرية الفكرية
والشروع في العمل ، والبناء السليم الاجتماعي مستعدون اليهم ، والدليل على قولي هو ما كان من
انطلاقه العرب في ثورتهم الاولى وما تركوه للاجيال من تراث عالمي شامل وآثار خالدة وهذا
ما ازمعوا ان يفعلوه في عصرنا الحاضر .

مجهود العرب العالمي : لقد صدق هو كینغ في قوله والواقع ان العرب استطاعوا

في مدة قليلة من الزمن ان ينقلوا اليهم علوم الاولين والآخرين فحفظوها ولم يكتفوا بذلك بل
زادوا عليها ولم يحتكرواها بل نشروها في العالم المعروف آنذاك سواء في المناطق التي استقر فيها
الصلبيون في الشرق او في صقلية او في كثیر من جامعات المدن الاندلسية التي كان روادها

من كل عرق ولون ، اعجم واعرب بينهم عدد كبير من رجال الدين وعلى رأسهم البابا سيلفستر الثاني المعروف بيربرت (١) .

عمل العرب الانساني : لقد كانت حركة العرب العالمية مما شيد في سيرها لحركة

انسانية لاميل لها فلعموا الغرب نبل الفروسية ومعاني الرحمة والاحسان والغفو عند المقدرة والرأفة بالضعف واحترام الاوممة وتقدير الطفولة والأخذ بيد المستجير والانتصار للمظلوم كما قصوا على الحرافات القاتلة التي كانت تؤمن بها اكثربالشعوب فحرروا الانسان من الخضوع لها واقنعوا المجتمع الذي حلوا به من سخافتها وويلاتها ويطيب لي في هذا الصدد ان اقدم دليلا على ذلك مافعله عمرو بن العاص في إبطال العادة التي كانت متصلة في مصر والتي تختتم القذف بعناء في ربيع العمر الى النيل لموت فيه غرقاً فيدوم بذلك على زعمهم ، وفاؤه ولا ينقطع او يقل ماؤه .

ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم انه لما فتح العرب مصر اتي اهلها الى عمرو بن العاص حين دخل شهر يونيو (٢) فقالوا ايهما الامير ان لينينا هذا سنة لايجري الا بها وهو انه اذا كان اتنا عشر من هذا الشهر عمدا الى جارية بكر وزينتها بافضل الزينة والقينها فيه قال عمرو بن العاص : هذا مجال فاقاموا شهرین والنيل لايزيد لاقليل ولا كثيرا فراجح اهل مصر عمرو بن العاص صاحبین ، مطالبين بزف فتاة عنراء الى النيل فلما رأى عمرو اصرارهم كتب الى عمر بن الخطاب يخبره بما فعل ويستشيره بما يجب عليه ان يفعل فكتب عمر بن الخطاب اليه مستصوبا رأيه وطالبه بان يلقي برقة كثينا الى النيل يقول فيها :

من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر : اما بعد فان كان الله الواحد الفهار يجريك فسائل الله ان يجريك . وهكذا اندى عمر بن الخطاب عروس النيل السنوية العنراء بورقة القبرت في النيل وابطل تلك الحرافة الوحشية القاتلة .

وهنا يحق للباحث في نظري ان يتسائل لم تأخر المجتمع العربي ولم اصبح حاله كما هو معلوم اليوم وما هي طرق النهوض به ، والجواب عن ذلك هو ان شيطان التفرقة المدمرة ذرقونه بين العرب منذ فجر نهضتهم فتفرقوا شيئا واحزاها ، تحمل كل فئة نحو منافستها حقدا دفينا وبخضا عميقا فاضنعوا الكثير من طاقتهم في محاولة القضاء بعضهم على بعض ومع ذلك استطاع كل من مجتمعاتهم ان يسمو ويحلو ، اذ كانت الانطلاقة التي ي pemها رجال العرب الاول من القوة والعظمة

(١) Sylvester II Gerbert

(٢) أحد الاشهر القبطية

فوالروعه مالم تستطع التفرقة ان توقفها او تعرقل سيرها مدة من الزمن ثم خفت قوه تلك الانطلاقة فنام العرب في سبات عميق وامد الغرب مسييات سباتهم بما يديعه ، ودواعي تفرقهم بما يؤوجع نارها ويدرك لهيبيا فعل الجهل محل العلم واحتلت الحلفة مكان الالفة حتى ظن الناس ان العرب عادوا امة خات واصبحت في خبر كان .

والواقع ان ما تعرضت له البلاد العربية والعرب إبان سيطرة المستعمرين والمستغلين عليهم وعليها كانت كافية لتحويل العرب عن امانهم ولغتهم ، وجعلها لغة لا يتحدث عنها سوى التاريخ كما يتحدث عن لغة الآشوريين وغيرهم فيحقون بذلك هدفهم القديم الا وهو التخلص من اي امكانية تعيد للعرب سيرتهم الرائعة البدعة ووثبتم الماضية الرائعة .

ولكنهم كانوا وما زالوا عاليين ان العروبة لاقى من الوجود ، فالقرآن حاميها وما يدعو اليه من تفيض العقول والتسبیح على كسب العلوم وضم الشمل ونبذ التفرقة حارسها ، وتأمی المعجزة الا ان ثبت صلاحها لشكل زمان ومكان فها هو الكتاب الحكيم المعجز ، الخلد بين الجنان - واللسان ، يهيب بعرب الجزائر فيقاتلون من اجل العودة الى الخطيرة العربية والعروبة ، ولاشك انهم منتقلون من نصر الى نصر حتى يتحقق الله امانهم واماني العرب فيهم .

لقد استيقظ الفكر العربي فوئب في شتى الميادين وثبتات ، سوف توضع عما فات ، وتبشر بمستقبل زاهر آت ، واذا استطاع العرب في وثبتم الاولى الظفر بعلوم الاولين والآخرين في مئة عام فهم قادرؤن متى توفرت لهم جميع شروط النهوض ان يسبقوا الزمن وينقلوا اليهم العلوم الحديثة في اقل من مئة عام ، شأنهم في حاضرهم كشأنهم في غابرهم ، فالتاريخ يعيد نفسه والادلة على ذلك كثيرة والشواهد العديدة متوفرة .

وانه يطيب لي ان اختم كلامي مبينا انه ليس حديثاً او حثه الآمال ولا مداعبة الخيال ، انه حديث مستند الى آراء معاصرین غيرين غير فروا العرب وسبحائهم ، درسوا قوماً بهائهم ، وأمكانية وثبتهم ، جربوا القضاء عليهم ففشلوا وعاد امامهم مرکزاً في تفرقهم كلامهم لأن في هذه التفرقة إمكان تأخير وثبتهم العالمية ونهضتهم العالمية .

يقول في هذا الصدد البرشايدور : عاش العربي في فجر التاريخ ، في تلك الارض الفاحلة تلهب الشمس فرات رملاها ، عاش في تلك الصحراe يتحمل التعب والجوع والطش والعزلة فالآن نجد النجوم دليلاً له والعلوم مرشدًا وسيلاً ، ان هذا العربي الذي الشجاع قد ترك لنا حيث حل آثار عالمه وفته ، آثار مجده وفخاره ، ان هذا العربي الذي نام نوماً عميقاً مئات السنين قد استيقظ واحد ينادي العالم : هاانا ذا لم امت ، اني اعود الى الحياة ، لا لأكون آلة طيعة او كتلا من البشر تسيرها العواصم الكبرى ووسائلها الجهنمية ، بل لاحيا حياة مستقلة مناصلة ، ثم يقول : من يدرى ! قد يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالعرب ، فيهبطون من السماء

أفزو العالم مرة ثانية في الوقت المناسب والزمن الموقوت ، ثم يقول : لست أدعى النبوة ، ولكن الإمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة لا تقوى النرة ولا الصواريخ على وقف تيارها . ويجدري أن اعلق على قول الأديب المذكور بأن أعمال المستعمرين كانت محاولات لقتل الروح العربية ولكنهم غير بالغى أهدافهم والنصر للعرب شاء المستعمرون أم أبوا ... إنهم بذلك تنبأوا وحقاً ما تنبؤوا به وبذلك آمنا وحقاً ما آمنا به .

أخي القرىء : لقد جمعت في كلتاى هذه اقوال معاصرىن واقوال مغابرین لأوجد الآيات في جيلنا الحاضر ، أجل ؛ ان في سيرة اجدادنا العلماء ما يوحى الثقة الى الجيل الجديد بقدرته على المساهمة ببناء امة عظيمة ، قوية تدعم بعلمهها وعملها ، بكلتها ومكانتها بقوتها وثباتها السلام في هذا العالم وان وثبتها الحاضرة سوف تكون مذهلة كما كانت وثبتها الغابرة .

لقد اجمع الباحثون فيما ، وما اكثراهم ، ولكنني اخص بالذكر منهم دهافتة التاريخ والسياسة والاستفراق من طراز غوستاف لوبيون ولوز وترند ولين ستانلي بول ودوزي على ان العرب لو استطاعوا ان يجدوا الاسلوب الصالح الموحد لكيانهم لـكـاتـجـامـعـةـ باريس ولندن واـكـسـفـورـدـ ، لابل جامعات الدنيا جمعها في خدمة العرب والعروبة ، ولكن روح التفرقة التي سيطرت على العرب في عصرهم الذهبي ومنذ فجر نهضتهم اخترت تخسر في ضلوعهم حتى من قومهم شر همزق وأني لأؤيد اقوال هؤلاء الاعلام وارجو من الله ان يكون في نهضتنا المباركة بهذه البناء لرقة الحرق المهايل الذي رأه فيما هؤلاء الاخذاد من رجال الفكر والبحث . وفق الله زعماء العرب الى السير بهم في الطريق التي تصبو الى سلوكيـاـ شعوبـمـ ، تلك الطريق المؤدية الى مبشرة النبوض ، نهوضاً يستمد وحيه من امكانيات العرب ، وقد صدق من قال فيما ليس على وجه الارض امة لها من الامكانيات ماللامة العربية حتى تتصف قلوب ابنائها واتفاق غالبيـمـ علينا ان نعمل لمثل هذا اليوم وان نعتبر بماـسيـ الماضين البعيد والقريب تلك المـاسـيـ المفجعة التي اطاحت بالعروبة في الاندلـسـ وفي فلسطين وغيرهما من البلاد التي انتشر فيها لواء العروبة وكان سبب الاطاحة بها تفرق الكلمة وتشتت الشمل ، تلك المـاسـيـ التي جعلت كثيراً من المؤلفين يشمونـناـ نحنـالـ العربـ فيـقولـونـ عنـناـ ان امة تسقط صر على التفرقة في مجتمعها لا يثير مصرعها الرئـاءـ ولا العطفـ عـلـيـهاـ ، فعلـىـ كل مواطن مـلـكاـ كانـ اوـ رـئـيـساـ ، زـعـيمـاـ كانـ اوـ وـلـياـ ، مـعـلاـمـاـ مـتـقـفاـ كانـ اوـ اـمـيـاـ انـ يتـذـكـرـ هذا القولـ الذي يصدـعـ القـلـبـ ويـحـزـ النـفـسـ وـانـ يـعـملـ جـهـدـ طـافـهـ الىـ ماـفـيهـ ضـمـ الشـمـلـ وـجـمـعـ السـكـالـمـ وـتـوحـيدـ المـجـهـودـ وـالـاهـدـافـ وـانـ يـؤـمـنـ اـيـاناـ عـمـيقـاـ بـانـ يـوـمـ الوـحدـةـ الـعـرـبـيـةـ الـكـبـرـيـ آـتـ لـارـيـبـ فـيـهـ ، نـرـنـوـ اليـهـ يـصـارـنـاـ وـجـوـارـخـناـ ، لـاـنـ شـاغـلـ لـبـنـاـ وـافـدـتـنـاـ ، لـاـنـ السـبـيلـ الـاـهـاذـنـاـ وـسـائـرـ بـلـادـالـعـربـ بـماـ فـيـهاـ فـلـاسـطـيـنـ قـلـبـ العـرـوـبـةـ الـحـزـينـ .

عند ما يرض الأطباء

للدكتور صَبَرِي القباني

كنت كتلة من نشاط .. و كنت اتوهم ان ماميور في عروقي من اوقيانوس ، لا ينضب له معين . فأطلقني نفسي من كل عقال ، واندفعت اسفله كل ما املك من احتياطي .. ومررت علي شهر عديدة كنت أعمل خلالها في الحقل السياسي ، وأزود الصحف اليومية والاسبوعية بالمقالات ، والتي الحاضرات على طلابي في جامعة دمشق ، والاحاديث من الاذاعـة ، وأؤلف كتبـاً كنت أراها ضرورية لتعليم الناس أبجديـة العناية الطبية ..

وفي ذات يوم .. وقفت فريسة المرض ، طريح الفراش ، فلم استطع مزاولة عملي ، وتساوب الزملاء عيادي ، وأقرروا أن خلاً اصاب المحرك الذي لم أرحمه . وفرضت علي الراحة شهرـين كاملـين . واتخذـت زوجـي لنفسـها صـفة الدرـع ، كانـ المـاـفـ لاـيـكـفـ عنـ الرـئـنـ ، اـصـدـقاءـ يـسـتـفـسـرونـ ، مـرـضـيـ اـعـتـادـواـ اـسـتـشـارـتـيـ كـلـاـ أـلمـ بهـمـ مـرـضـ .. وـزـوـجيـ تـحـبـ عـنـ التـمـنـيـاتـ بـتـمـنـيـاتـ ، وـتـقـدـمـ الـاعـذـارـ وـتـضـابـحـ (١)ـ بـكـرـةـ وـعـشـيـاـ .

(١) ضابـحـ : جـادـلـ .. كـافـحـ .

ولكن سيدة من مريضاتي أبت أن تصدق أن الطبيب الذي كان ملء السمع والبصر والخاطر ، يصبح لا حول له ولا قوة طريح الفراش تحت رحمة الأطباء ، لا يستطيع مد يد العون إلى انسان .. والخت على سماع صوتي في الماءف . وجاءني صوتها مرحباً وهي تقول : نحن في حاجة إليك يا حكيم . عرفناك ، زوجي وأنا منذ القديم . ورأى اطفالي النور بين يديك فكيف تتركنا الآن من غير اخطار ولا استئذان .

وغبني الصبح ، قلت : ماحيلتي يا سيدتي ، لقد انشب المرض في صدرني الانيا ، ومنعني من ان اكون قادرآ على اسعاف مرضاي واصدقائي . قالت : وهل يعرض الطبيب ؟ أنا لا أزال غير مصدقة ، لا تخضب ولكنني لا استطيع استشارة غيرك .. والريض بحاجة إلى الثقة بطبيعيه قبل حاجته إلى علاجاته وعقاقيره . ولم تلبث ان أقبلت علي في داري يصحبها زوجها ، ورنين الضحكات معطر مثل الازهار التي حملتها «لطبيب المريض» ضحكات اشاعت الجبور والانس في الغرفة الكثئية ذات القوارير ورائحة الادوية المعروفة الكريهة .

كانت لاتزال على دهشتها ، قالت : أنا استغرب ان يتعرض للمرض طبيب اعلم باصول الوقاية ، وادرى بطرق العلاج من أولئك الذين يزجي اليهم النصح والارشاد . قلت : يير الطبيب أحياناً بمرحلة يتكلم خلامهـا بوحـي من عقله ، ويتصـرف بـوحـي من طبيعته وعـاطفـته وغـرـيزـته ، فهو يـحـزم بـالـعـلـم وـيـجـزـم ، وـيـأـخـذ مـرـيـضـه بـالـشـدـة وـالـنـظـام ، فـاـذا اـسـتـرـاح مـنـ صـدـارـهـ الاـيـضـ ، وـزـعـ السـمـاعةـ عنـ اـذـنـيهـ عـادـ اـنـسـانـاًـ كـبـاـقـيـ النـاسـ ، يـشـتـهـيـ ماـ يـشـهـونـ وـيـقـعـ فـيـماـ يـقـعـونـ ، وـيـحـتـاجـ اـحـيـاناًـ إـلـىـ لـوـنـ مـنـ النـظـامـ وـالـشـدـةـ يـؤـخـذـ بـهـاـ كـاـ يـؤـخـذـونـ .

والطبيب بشر مثلكم يخطىء بحق نفسه ويزل ، قد يشبع من الاكلة الفاخرة ولكنه عن المائدة لا يهض ، وينهى الناس عن التدخين بينما لا تفارق المفافة شفتيه ،

ويسر ويسير نفسه على تناسي الاسفار التي غطس بين سطورها سنين طويلة هي
الزهرة من العمر ، والصفوة من الحياة .

وحدثها عن واجب الطبيب في ان يهب^١ الى اغاثة الملهوف حتى في موته
من الليل ، وصريح من الطقس ، فينبع نفسه من الفراش الدافئ ، ويقذف بها
في المطر والبرد والرياح ، هذا كله ، شرارة الوقاية ام ابت ، مجانب لأصول
الصحة ، ضعيف من مقاومة الجسم ومناعته الطبية .

* * *

لماذا يوشط الطبيب ؟

اثبّتت الاحصاءات العالمية ان متوسط عمر الطبيب ادنى من متوسط
اعمار اصحاب المهن الحرة الاخرى كافة ، مثل الحامي والمهندس والمدرس ،
وأنه اكثر الناس تعرضاً للاصابة بالاحتشادات القلبية (الجلطة الدموية وانسداد
شرايين القلب) لأنّه بشر يتّلم ما يؤلم الناس ، ويعيش خطراً مرضاه واجهاتهم
واضطربتهم ، وتظل اعصابه الودية في توزّع دائم .. ومع ذلك فن اولى واجباته
ان يحتفظ بهدوء اعصابه وتفاؤله الذي ينقله ، حتماً ، الى مريضه ومن يحيط به
من أهل واقرباء ، والطبيب معرض للعدوى بحكم عمله اليومي واحتلاكه بالمرض ،
وانتقال الجراثيم اليه . وقد تتفّع الواقعية ، ولكن مهما يحيط الطبيب نفسه بالمعقّلات
 فهو في حرب دائمة مع عوامل الامراض ومسبياتها ، فاهياك بأنّ الطبيب مستيقن
طوال الاربع والعشرين ساعة . انه جندي مجحول في معركة لا تكلل هامات
المتصرين فيها أكاليل ، ولا يوضع لها نصب ، الا حمرة الصحة والعاافية تورّد خد
المريض ... وانها لا أكاليل رائع حبيب قلب الطبيب ، اثير لديه ، منعش لروحه ،
رافع من معنوياته ، مثل كلّ نصر .

عندما يرضي الطبيب

ولا يخلو مرض الطبيب من بعض الطرافة، انه يضيق في «بيداء التشخيص» وتدعى الى ذاكرته الاسفار الشفالة التي غاص فيها عمره اكثره ، والاعراض التي مر بها مرضاه ، تلك التي تشبه من قريب او بعيد مايسعى به ... ويروح فكره يقفر من هذا العرض الى ذاك ، ومن هذه العلة الى تلك ، مجاهداً لتكوين فكرة محدودة معقولة عن مرضه ، ولا بد لهذه الحشود من المعارف من ان تصادم وتتزاحم وتتراكم بعضها فوق بعض ، واذا الصداع البسيط يستطيل ويتطاول حتى يصبح التهاباً في السحايا الدماغية ، او من يدري ، فقد يكون مقدمة لأن titan حموي عويص ، او نذراً يتمركز اورام سرطانية في الدماغ . واذا طبينا المريض — ومن العلم ما قبل — يشبه من يفترش عن القلم ، الذي يقبض عليه ، تحت الموائد وفي كل زاوية من زوايا البيت ، وج gio به ، ويدهل عن يده .

وقد يلتجأ الى الكتب المفصلة ، والموسوعات يستقتها ويستنبطها ، واذا هو يزداد ضياءً ، ويعن في الضلال ويندو فريسة للإيحاء السلي ، فتمر امام عينيه الحوادث المفجعة وال نهايات المروعة . وبدهي ان الكتب لا تتصف الا العلاج العادي المتداول ، ولكنها لا تذكر ان خير علاج هو الثقة وابعاد الوهم لدعم المقاومة ... المقاومة الطبيعية التي خلقها الله لنا لنحمي نوعنا ، والتي لو لاها لانقرضت البشرية منذ بدايتها .

هذه البدهيات التي يعرفها حتى طلاب الطب تهرب من فكرة الطبيب المريض كأنما بسحر ساحر . وقد يكون السبب في ان المراقبة الداخلية صعبة شائكة انت بها الخصم والحكم ، الطبيب والمريض ، ومن هنا دأب الاطباء على الاستعانة بزمائهم فيما يصيّهم — وذويهم — من اعراض . ولكن معالجة الطبيب المريض ليست هينة : اذك تستدعي ليعادة مريض

باليقين مثلاً ، فتذهب وانت واثق من انك ستشخص وتصف الدواء فلتلى
اذنا صاغية ، وطاعة مطلقة في تنفيذ وصيالك في الجمدة والراحة . أهل المريض
انفسهم يكثرون عوناً لك في تطبيق تعليماتك .

واما اذا كان مريضك طيباً فانت في طامة كبيرة . انه يماريك في
التشخصيص ، ويحاشك في العلة ، ويجادل في الدواء ، وينحالف في المدار ، لماذا
لا يكون كذا عوضاً عن كذا ؟ اذا لم تزد الكمية الا يخشى من حدوث نزف ،
تشتبك ، التهاب البريتون .. الخ ..

وأغلب الظن ان الطبيب يغلب عليه الوهم وان ظاهر بعده المبالغة ، يخطر
له انه سيفيغ عن الوعي فلا يصحو من بعد ابداً . وترى بذلك حادثة يتيمة من
الحوادث التي تقع كل جيل مرة واحدة فتجعله يتعذر عن قبول التحذير ، الميت
فلاناً سنة الف وتسعمائة وكذا .. على اثر التحذير ؟ قد تكون انا الضحية الثانية ...
وهذه الخشية قديمة ، على ما يبدو ، فقد روى عن الطبيب العربي الاشهر ،
الرازي ، انه لما نزل الماء على عينيه (أي اصيب « بالساد » فعمي) قيل له ليتك تقدح
(يعني : ليتك تجري عمليه قدح العين وازالة الجسم الزجاجي) ، رفض ، وعمل
رفضه بقوله : لقد ابصرت من الدنيا حتى هملت . مع الاشارة الى انه كان فقيراً
معدماً ، وقد انهى البصر سيقعده عن طلب الرزق ، ونحن نخال ان الخوف لا الملل
من الدنيا هو الذي زجره .

مرض الطبيب خير للانسانية

المريض ، اي مريض ، أميل الى ان يكون مرهف الحس دقيق الملاحظة
لا يفوته طيف الابتسامة العابر على وجه عائد ، وتأثير فيه الكلمة الرقيقة ، والخمسة
المشجعة ، وينصرف ذهنه الى امور قد تبدو لل الصحيح العافي غير جديرة بالاهتمام

او التفكير ، وهو في حاجة الى الحنان والعطف والمواساة يستعين بها على تحمل المرض ومقاومة الملة .

فاذ مرض الطيب عانى هذه اللواعج ، مثل بقية الناس ، ولكننه يخرج منها وقد ظفر بجادة جديدة وعلم جديد لا يستطيع اي كتاب طب ان يعاهه اياها . « وليس راءٍ كمن سمعاً » . ان معاناته التجريدية تهبه رأفة بالناس وتواشجاً مع جراحاتهم لا يمكن ان يظفر بها اذا ظل بعيداً عن هذه المعاناة .

ولهم في هذا الشأن ان يظل الطيب محافظاً على حرارة تجارتة الاولى ، الا تفقده ممارسة المهنة دفعة عواطفه ایام كان خريج كلية الطب ، الفتي الذي فتح عيادة على استحياء . وبكلمة ان يظل للإنسانية في قلبه حمرة وتعاطف وتواجد رغم تكرار رؤى المرض والوجع في حياته اليومية .

لازال اذكر حادثة وقت لي وانا طبيب داخلي في مستشفى جامعة دمشق لازال اذكريها في حب وتشوق الى ذلك الفتى الغرير روحأً وعاطفة الذي كنته . ذلك اليوم لم يكن قد مضى على مباشرتي العمل أكثر من أسبوع . وجاءني المرض مع الصباح ، يبلغني ، في لحظة عادية ، ان نزيل السرير رقم كذا قد توفي . لم يكن المرض مضطرباً ، وكأنه كان يقول لي : طلعت الشمس ، واما أنا فقد هرعت الى المجمع عجلان ، مضطرباً ، وأذا « النزيل » مسجى ملاعة يضيء قد اخفته عن اعين بقية المرضى . وحضرت الملاعة عن وجهه ووقفت خائعاً ، غريق لحج من الفكر مزبدة مرعدة : هذا الرأس الذي مخرته آلاف من سفن الفكر والعواطف هذا الفم الذي صل ، وقبل وبكى .. هذا .. الى ان انتبهت على ضوضاء الخادم الذي كان يمسح ارض القاعة . ونظرت فيما حولي واذا المرضى قد علق بـ انظارهم وانسحبت خجلاً ، ومضيت الى حيث فتحت اضبارته وانكبت عليهما ادرسها . لقد كان يشكـو اليـرقـانـ الـثـيـثـ . رجـتـ الىـ الـادـويـةـ اـتـيـ اـعـطـيـ ، وـعـاـوـدـتـيـ اـفـكـارـ ،

ملحة فظيعة هذه المرة : لو اتنا حقناه بكلدا ، لو استبدلنا هذا الدواء بهذا ... أما كان في وسعنا ان ننقده ؟! أما كان يجدر بي ان اعرضه على الاستاذ ترا ابو واستشيره في العلاجات والحقن . وبقيت في هذا الحضم من الفكر والشكوك اياما حتى تبين لي ان العالجة لم يكن عليها غبار ، فاستطعت ، عندئذ وحسب ، ان اخفف من غلوائي واحور الى بعض المدوء والرضا .

هذه الحادثة لم تبرح ذاكرتي على الرغم من مضي ثلاثين سنة عليها، ولا ازال كلامي غلبي العادة وتسربت الى موضع الرقة والرأفة والحنان من قلبي استذكرها لعل دفء ذلك الفتى يعود الى قلب هذا الكهل .

سعادة الإنسانية مدينة الى الاطباء

تاريخ الطب حافل بالشهداء الابرار الذين رفعوا اسم هذه الصنعة الى السماء كين فالطيب اندر وقدم نفسه ضحية للحمى الصفراء ، ليضيف الى ميراث الانسانية كشفا جديدا . لقد كان الاطباء آتئذ في شك من امر طريق العدوى بهذا المرض واراد ان يثبت لهم ان المعاوضة الملعينة (الاستيقونة) هي الناقلة ، فعرض نفسه للسع بعوضة من بعض الاختبار ، وهو يقول « ان مهمة الطبيب هي اقذاد الانسانية بصورة عملية اما الحديث عن البطولة والتشدق بها فهو من اغو الكلام وفضوله » لقد سار الى مصيره طائعاً ختاراً لينقذآلاف البشر الذين كانوا يتلقون موته دون ان يستطيع الطبيب انقاذهم .

ولقد كان الدكتور روني لا يتنزع مصاباً بالسل الرئوي ، ايام كان هذا الداء بلوى الانسانية التي لا شفاء منها ، وكان من الضروري ان يلوذ بالراحة والمداء في مكان مش晦 ، صافي الهواء ، حتى تقوى مناعته وقدرة جسمه الطبيعية على مكافحة الجرثوم . ولكنه اختار لنفسه سبيل الشهادة . وعكف على دراسة الداء

في نفسه ، في جسده ، آثر ان يتبع سير هذه العملية الفظيعة التي يقوم بها الجرثوم في نعش رئته يوماً فيوماً وتغيير اصوات الصدر ساعة فساعة ، وهو يكتب ويكتب ويصف مايلقاه في دقة تشريحية لامثيل لها ، لم ترك زيادة لمستزدده ان كتاب لاينفع في مجلديه ، يعد فتحاً طبياً رائعاً في زمنه ، وقد قال هو عنه :

« انا اعلم اني غاموت بجياتي ، ولكن المؤلف الذي اعزم نشره سيكون عاجلاً او آجلاً اهم من حياة انسان فرد مثلی » ولا يزال واحد من اهم مستشفيات باريس ، حتى الان ، يحمل اسم الشهيد الخلائق .

وقصة الدكتور لازار لا تكاد تختلف عن قصة الدكتور — اندره —

لقد سافر لازار مع بعثة « ريد » الى جزر الهند الغربية لتنصي اسباب الملاريا ومعرفة الطرق التي يسلكهها الداء اذ ينتقل من مريض الى آخر . وجمع ريد رئيس البعثة رجاله وقال لهم : لو اتنا عرضنا انفسنا لاسع بعوض قد سبق له ان تغدى من دماء مصابين بالملاريا لا ثبتنا ما نفترضه من انتقال الداء عن طريق هذه الحشرة فقال الدكتور لازار مساعدته : انا اترع لاستقبال لسع البعوض . وكانت له زوج وطفلان ، ودواء الملاريا لا يزال في خمير الغيب ، اضف الى ذلك قلة مناعة الاوروبي اذا هو قورن بسكان المناطق المزغية . وقدم الدكتور لازار جسده للبعوض الفتاك فنفت سمه فيه ، واصيب الطيب بالملاريا وعكف زملاؤه ، اعضاء البعثة ، على زميلهم المصاب يسجلون تطور الداء والادوار التي يمر بها ، حتى قضى لازار شهيداً بعد بضعة ايام .

وهكذا ارى ان المرض — طوعاً او كرها — في حياة الطبيب امر ضروري لرفاه الانسانية وسعادتها .

كان باستور العظيم يقول لاتلامذته : سلوا انفسكم ، ماذا صنعتم لبلدكم الذي

درجم على ثراه الطيب . فإذا جاء شتاء الشيخوخة فلعلكم ان تترشفو المنهاء في
الاحساس الغمر المزدوج باذنكم اسهمتم ، مع المسهمين ، وعملتم مع العاملين بطريقة ما
لتقدم الانسانية « في سبيل خيرها وسعادتها » .

اللهم اجعل حتى في مرضنا نحن الاطباء اسباب صحة وعافية للمرضى
والمأولوفين .



أكبر مكتبة في الغرب الإسلامي

للكتر: خالد الصوفي

كان عبد الرحمن الناصر أول من تلقى بالخلافة من حكام
بني أمية في الأندلس . فقد امتنع أسلافه عن ذلك لأنسباب
عديدة يذكرها المؤرخون العرب في كتبهم ويختلعون فيها .
ولم يقدم عبد الرحمن الناصر نفسه على تلك الخطوة الا بعد مضي
سبعة عشر عاماً على توليه إمارة الأندلس ، وبعد أن رأى ان
الظروف كلها أصبحت تسمح بذلك .

فقد قضى تلك الفترة الاولى من حكمه بيسقط سلطانه
على كل مناطق اسبانيا : يحارب الاعداء في الشمال وفي الجنوب
ويقضي على الثورات الداخلية انى ظهرت حتى تيسر له
السيطرة التامة على اخاء هـ لكنه الشاسعة ووصلت جيوشه الى
حيث لم تصل جيوش أسلافه من قبل .

ثم تطلع فرأى ما وصلت اليه الخلافة العباسية من
الضعف في ذلك الحين ورأى قوة الدعوة الفاطمية وانتهاها لقب
الخلافة بدورها فدفعه ذلك كله الى اتخاذ لقب الخلافة . وفي

سنة ٣١٧ هـ أصدر وثيقة تلقب فيها بامير المؤمنين وورد في نصها «أنه أحق واجدر من غيره بهذا اللقب طالما أن الله قد رفع سلطاته وسهل على يديه علو أمر دولته»

ومنذ ذلك التاريخ ودولة الاندلس في عهد الناصر في ازدهار وصعود حتى توفي في سنة ٣٥٠ هـ بعد حكم طويل دام خمسين عاماً تاركاً لابنه الحكم الثاني مملكة موطدة الاركان، عزيزة الجانب، مزدهرة الموارد، كبيرة الموارد، تضيق بيوت أموالها عن استيعاب ماتحتويه.

في هذه الظروف التي تولى فيها الخليفة الحكم الثاني عرش الاندلس كان يستطيع القيام باعفاء الملك خير قيام ومن جميع انواحي العسكرية والاقتصادية والثقافية... فلم يتقاوم عن متابعة خطة والده في غزو الدول الاسبانية الشمالية ومتابة الجماد ضد الاعداء وفرض سلطاته في المخاء كثيرة من شمال افريقيا كان ينافسه فيها الفاطميون وأخذ بضعة ثورات أطلت برؤوسها في مناطق مختلفة من الاندلس، فلم يستطع اعداء العرب في اسبانيا ان ينتصروا من سيادة دولتهم هناك أيام الحكم وتمكن من الحفاظة على جميع المكاسب العسكرية التي حققها ابوه الناصر. كذلك عم الرخاء بين السكان وعاشوا في رغد وهناء في ظل حكومة غنية وخليفة مشفف عادل يهم بشؤون شعبه ويحرص على مصلحته.

حتى اذا تعرضا لا-كلام على شخصية هذا الخليفة الثقافية رأينا انفسنا مضطرين للوقوف أمام هذه الناحية من نواحي شخصيته باعجاب وتقدير عظيمين لأن الخليفة الحكم أثر تأثيراً واسعاً في ثقافة الاندلس فرفع مستوىها وأوصلها الى أرقى المستويات في ذلك الزمن. كان حاكماً غنياً من اغني حكام العالم آنذاك، يتمتع بسلطة واسعة جداً على شعبه مما كان يكتبه، لأن يستمتع في حياته كما يشاء وان يلي كل رغباته وزواجاته.

كان يستطيع ان يقضى معظم اوقاته في الشراب وبين النساء مهملا القراءة والتأليف والثقافة طالما ان لديه كل ما يشاء كما كان يفعل معظم ملوك وحكام ذلك العصر... لكنه ألى ذلك وفضل قضاء اوقاته في تنقيف نفسه ومطالعة الكتب على مختلف انواعها فلا اوقات فراغه كلها ينبل مما كان يكتبه ويرونه زعماء الفكر في عصره، وقبل عصره، حتى أصبح فريداً في ثقافته وحجة في كلامه لا في الاندلس فقط بل في المخاء العالم الاسلامي.

كانت الاندلس كما يذكر ابن صاعد الاندلسي في الزمان القديم خالية من العلم، لم يشتهر عند اهلها احد بالاعتناء به الا انه يوجد فيها بعض العلوم ال皋مية اجمع الناس على أنها ترجع الى ایام الرومان عندما كانت الاندلس تابعة لامبراطوريتهم، ولم تزل على ذلك عاطلة عن الحكم الى ان افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة ٩٢ هـ فظلت على ذلك لا يعنى اهلها بشيء من العلوم الا بعلوم الشرع وعلم اللغة الى ان توطدت السلطة لبني امية بعد الفتن الطويلة التي مرت بها البلاد، فتحرر الناس الى طلب العلوم

وتنبوا لضرورة الاهتمام بها . ويظهر ان الانكباب على العلوم بدأ بشكل ظاهر في وسط المائة الثالثة للهجرة وذلك ايام الامير الاموي **الخامس** محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ولم يزد اهتمامه حتى عهد عبد الرحمن الناصر الذي اعطى الحركة العلمية طابعاً رسمياً .

فقد عرف هذا الخليفة الاموي بليله الى الكتب ووصلت شهرته هذه حتى امبراطور بيزنطيا الذي اراد أن يستميل اليه سلطان الاندلس فرأى ان احسن وسيلة لذلك هي اهداؤه كتاباً جديداً هو كتاب «**ديوسقوريدس**» فأرسل اليه نسخة منه مكتوبة بخط بدائع جاء الذهب ومنزينة بصور بد菊花 تخل الأعشاب المذكورة في النص .

ولما لم يكن عبد الرحمن الناصر يتقن اليونانية كما لم يعثر بسهولة على من يستطيع أن يترجم له ذلك الكتاب ترجمة دقيقة فقد طلب الى الامبراطور البيزنطي ان يرسل اليه عالماً يترجم له الكتاب فوجه اليه الراهب «**تقولا**» من القسطنطينية ليضع نفسه في خدمة الخليفة الاندلسي . هذا وقد ساهم في ترجمة الكتاب المذكور مع الراهب **تقولا** الطبيب ابو عبدالله الصقلي الذي كان يعرف اليونانية والذي استطاع بعنائه وجده أن يعرف اسماء كل الأعشاب المذكورة في كتاب ديوسقوريدس عدا بضعة منها لا تتعذر العثور .

في ذلك الوقت كان ولدا الناصر الحكم الثاني و محمد قد بدأ دراستهما على استاذة مغروفين اندلسرين . ومن خارج الاندلس نعرف مثلاً ان الحكم الثاني قد سمع من قاسم بن اصبع واحد بن دحيم و محمد بن عبد السلام الحشني و زكريا بن خطاب خاصة وكثيرين غيرهم فاستفاد من هؤلاء عالماً جائماً ، مالبث أن فاقهم حين احتوت يداه على أمهات الكتب في العالم آنذاك بما كان يسئلنه في استبيانها من المال الكثير .

وقد بلغ حماس الأخوين الحكم و محمد للعلم انهما لم يكتفيا بما كان في مكتبة أبيهما من الكتب بل أخذ كل منها يعمل على تكوين مكتبة تفوق مكتبة الآخر حتى اذا صرت فترة توفي محمد وورث اخوه الحكم مكتبه كما ورث مكتبة ابيه الناصر ف تكونت لديه مكتبة كانت تعتبر آنذاك من أعظم مكاتب الدنيا ان لم تقل اعظمها اطلاقاً .

اذن فشق الحكم بالعلوم بدأ منذ صغره وقبل وفاة ابيه حتى اذا آلت اليه الخلافة اخذ يقرب اليه رجال العلم والفكر ويؤثرهم على غيرهم من الناس ويجهزهم مبالغ كبيرة من الاموال تشجيعاً لهم على تأليفهم .

وكان يستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التأليف الجليلة والصنفات الفريدة في العلوم القدية والمحدثة حتى اجتمع لديه منها ما يضافي كل ماجعه مملوك بي العباس في الازمان الطويلة وما ذلك الا « لفطر محبه في العلم وبعد همه في اكتساب الفضائل وسمو نفسه الى التشبه باهل الحكمة من الملوك ». .

يجمع المؤرخون على ان الحكم الثاني المستنصر بالله كان محبًا للعلوم مكرما لاهلها جماعا للكتب بانواعها ، وقد ذكر الفيلسوف المؤرخ ابو محمد ابن حزم ما يأتى :

« اخبرني تiley الحصي » ، وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بنى سروان ، ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة وفي كل فهرسة عشرون ورقة (في بعض التواريخ خسون ورقة) ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لغيره ، واقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليها بضائعه من كل قطر » .

وذكر المؤرخ والعالم الاجتماعي ابن خلدون صاحب كتاب (العمر) « ان ابا علي القالي صاحب كتاب « الامالي » من بغداد وفد على الحكم الثاني في الاندلس فاكرم مشواه وحسن متزلته عنده واورث اهل الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر ، واستفاد علمه ». .

كان الحكم يبعث كما قلنا في شراء الكتب الى الاقطان رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه ، وبعث بطلب كتاب الاغاني من مصنفه ابي الفرج الاصفهاني مرفقا رسالته بألف دينار من الذهب العين فلم يتأنز المؤلف عن ارسال نسخه منه اليه قبل أن يخرجها الى العراق .

و كذلك فعل مع القاضي ابي بكر الابيري الملاكي في شرحه لختصر ابن عبد الحكم .
واعفى العالم ابن الصفار من مراقبته في سنة ٤٥٢ هـ وكلفه بأن يبقى في قرطبة يؤلف له كتاباً في اشعار خلقه بنى امية في المشرق وفي اسبانيا .

هكذا نرى اذن ان الحكم الثاني لم يكن يتورع عن بذل الاموال الطائلة في سبيل الحصول على كتاب ثمين منها بعدت المسافات التي تفصله عن مكان وجوده ، كما لم يكن يتورع عن مضاعفة المبلغ ورفعه الى ارقام خيالية كي يتمكن من مطاولة ذلك الكتاب قبل أن يطلع عليه اهل البلد الذي يقطن فيه المؤلف .

كذلك كان يغنى من الجهاد بعض العلماء الذين يعتقد انهم يمكنون من الاتاج المفيد في حال بهائهم فارتفع المستوى العلمي في الاندلس وزاد عدد المجلدات التي كانت توجد في مكتبة الحكم وحدها على اربعمائة ألف (٤٠٠٠٠) مجلد .

وعندما رأى الحكم أن خزائن قصره قد ضاقت عن استيعاب الكتب التي ترد إليه من مختلف أنحاء العالم أمر بنقلها إلى مكان آخر يتسع لها ولا يمكن أن يرد منها في السنوات التالية ، فصرف العمال في نقلها ستة أشهر كاملة .

وكان الجميع يعرفون أن أحسن وسيلة للتقارب من الخليفة الحكم هي إهداؤه كتاباً جديداً أو غير معروف لدنه ، لذلك نرى العلامة والادباء يتسابقون إلى ذلك فلا ينحصر هو بدوره في إجازة مكافئتهم .

فنرى أن العالم ابن مفرج من قرية قرية إلى قرطبة أهداه بضعة من مؤلفاته فكتب بذلك ود الخليفة وصادراته الخليفة وأهداه محمد بن حارث الحشني أيضاً بعض الكتب منها « تاريخ قضاء قرطبة ». وأهداه مطرف بن عيسى الفساني من أهل غرناطة كتاباً قياماً عنوانه « المغارف في أخبار كورقة البيرية » وهو كتاب حسن متع جداً .

وقدم إليه ابن فرج الجياني الكتاب المعروف « بكتاب الحدائق » عارض فيه « كتاب الزهرة » لابي بكر محمد بن داود بن علي . حتى أن راهباً مسيحيًا أهداه تقويمًا يتضمن تواريخ الأعياد المسيحية في إسبانيا وهو تقويم نادر من نوعه كان له حظ الوصول إلى أيدينا فاطلع عليه رجال الفكر المعاصرون وعنوا بطبعه .

كما يذكر المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال أنه عثر بين المخطوطات العربية الموجودة في جامع القريوان في قاس على مخطوط هام جداً هو عبارة عن نسخة مختصرة في مصعب احمد بن ابي بكر الذهري كتبت في أيام الخليفة الحكم الثاني ومن أجل مكتبه بصورة خاصة . ونبذ في آخر صفحة من النسخة المذكورة الخط التالي :

« وكتب حسين بن يوسف عبد الإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين اطال الله بهقامه وادام خلافته في شعبان من سنة ٣٥٩ » .

وكان يساعد الحكم في تنظيم مكتبه وإغاثتها عدد كبير من رجال الفكر والعلماء المرموقين في ذلك العصر يعمل كل منهم في ناحية معينة .

فكان يشرف على خزائن الكتب الخصي الأمين « تليد » ويعمل في مقابلة الكتب وتدقيقها النحوي الكبير محمد عيسى بن عبد السلام الأزدي المعروف « بالرباحي » . وقد ولد في جيان وسكن قرطبة ، وتلهمت على يديه كثيرة من رجال العاصمة البارزين وبينهم المغيرة ابن الخليفة الحكم .

كذلك كان محمد الحسين الفهري الأديب اللغوي القرطي المعروف ومحمد بن معمر الجياني مكاففين بالاهتمام بكتب الأدب واللغات بصورة خاصة .

وقد كان لدى الحكم أيضاً شبكة واسعة من الموظفين للعناية بالكتب فهناك الصناع الماذقون في النسخ والضبط والإجادة في التجليد

ونستطيع أن نجد بين الوراقين البارزين في خدمة الحكم : أبو الفضل بن هارون الصقلي الذي نسخ وجاد له كتباً كثيرة ، وظفر البغدادي ، وعباس بن عامر ، ويوسف البلوطي وغيرهم

ونجد بين الكتابات اللواتي كن يعملن في خدمة الحكم « لبني » التي كانت تعمل كاتبة لديه « وفاطمة » بنت زكريا بن عبد الله أحد كتاب الخليفة الحكم .

وكان بين الاجانب الذين اعتمد عليهم الحكم في شراء الكتب وارسالها اليه ابن شعبان المصري ، وابن يعقوب الكندي ، من بغداد ومحمد بن فرحان ، والكثيرون غيرهم ...

ولم يكن الحكم يقتني هذه الكتب لجرد لذة الاقتناء فقط ، بل كان يقرعوها كلها بتمعن ويعلق عليها ويكتب كثيراً من آرائه على هوا مشرها حتى أصبح يعتبر من أكبر علماء عصره آنذاك ، وحتى اعتبرت تعليقاته على الكتب من المعلومات القيمة جداً التي أفاد منها العلماء فيما بعد وأعتمدوها عليها اعتقاداً تاماً .

يقول صاحب نفح الطيب في هذا الصدد :

« كان الحكم ذاغراً بالكتب ، قد آثر ذلك على لذات الملوك ، فاستوسع علمه ، ودق نظره ، وجد استفادته ، وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والأنساب أحوذياً نسيج وحده ، وكان ثقة فيها ينطلق ، وبهذا وصفه ابن البار وبأضعافه ، وقال : عجبًا لابن الفرضي وابن بشكوك الكيف لم يذكره وفلا يوجد كتاب من خزانته إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي من كان ، ويكتب فيه سبب المؤلف وبليه ووفاته ويأتي من بعد ذلك بفرائض لا تكاد توجداً إلا عنده لعناته بهذه الشأن ، »

هذا وقد أطلق البعض على الحكم الثاني لقب « دودة الكتب » لطول الوقت الذي كان يقضيه في مكتبه وبين كتبه ولكثره شفته بالقراءة والمطالعة .

وقد سرت عدواً الاهتمام بالعلوم واقتناء الكتب وتكون المكتبات

من الخليفة إلى اثنين قروطبة فأخذوا يقتدون به و يؤلفون المكتبات الخاصة الكبرى ، فكثر المهتمون بالنسخ حتى أنه ذكر أن في بيالي الشرقي فقط من قرطبة كان يوجد حوالي مائة وسبعين امرأة يشغلن طوال اليوم في كتابة نسخ من القرآن بالخط الكوفي .

وهكذا تفتحت قرطبة عاصمة بني أمية في إسبانيا بصيت علمي رائع اكتُر من أيام عاصمة عربية وأسلامية أخرى ، وقد حافظت قرطبة على هذه السمعة حتى بعد سقوط الخلافة الاموية

في قرطبة وظهور ملوك الطوائف ، واستعادت كثيراً من مجدها تحت حكم المراطبين في القرن الثاني عشر حتى ان ابن رشد كتب الملاحظة التالية :

« عندما يوت عالم في اشبيليه ويريدون يسع كتبه يأخذونها الى قرطبة حيث تنتشر في مختلف أنحاء المدينة وعندما يوت موسيقي في قرطبة ويريدون يسع آلات الموسيقية يأخذونها الى اشبيليه حيث يبيعونها هناك . »

هذه المكتبة الفريدة من نوعها والتي جمعها الخليفة الحكم الثاني في قصره لم يصلنا من محتوياتها الا النذر اليسير الذي استطاع أن يفلت من ايدي الظروف القاسية التي مرت بها تلك المكتبة ، والتي عثر عليها بعض العلماء صدفة كما ألمحنا الى ذلك سابقاً.

أما الظروف القاسية التي مرت على تلك المكتبة والتي تحدث عنها فقد كانت على مر احل متعددة : اول ضربة وجهت الى تلك المكتبة كانت على يد الحاچب المنصور محمد بن ابي عامر ، حاجب الخليفة هشام الثاني الاندلسي ابن الخليفة الحكم الثاني ، والذي كان الحاکم الحقيقي الفردي للأندلس اكثر من ربع قرن .

فقد كانت مكتبة الحكم الثاني تحتوى كثيراً من الكتب التي لم تكن

الاوساط المحافظة في قرطبة راضية عن وجودها فيها ، فاصحاب العقلية الرجعية ، ومعظم المقدمين في السن ، وعوام قرطبة ، لم يكونوا يحبذون تداول الكتب التي تتناول العلوم القديمة والتي تتحدث عن النطق والفلسفة وعلم الفلك وغيرها من علوم الأقدمين واخذوا يوجهون اللوم الى المنصور ابن ابي عامر لمحافظته عليها ويضرونه الشك في ايمانه الصحيح ... لذلك أراد المنصور أن يقوم بعمل كانت الغاية منه سياسية أكثر منها علمية وهي القضاء على ما تبقى من معارضة له في قرطبة وكسب اولئك الناس الى صفه .

من اجل ذلك جمع في قصره كبار رجال العلم المشغلين بالدين والفقه ... وامرهم بأن يبحشو في أنحاء المكتبة الخليفية الكبيرة عن الكتب التي تشكل قرأتها في نظورهم خطا على عقلية الشعب والتي يجب منع تداولها وان يزوها عن غيرها . فلما تم ذلك ولم يبق من كتب المكتبة سوى التي تبحث في الطب والحساب واللغة والنحو والاشعار والاخبار والفقه والحديث وغيرها من العلوم المباحة في نظرهم ، أمر المنصور بحرق وافساد الكتب التي كان يعتبر قارئها متهماً لدى اهل الاندلس بالخروج عن الملة ومظمونا به الاطلاق في الشريعة ..

فاحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والمحارة وغيرت بكل الطرق الممكنة فكان من نتائج ذلك اتلاف ثروة فكرية ضخمة ربما خفت من اشتعال جنوة الفكر التي كانت تقد بقوة في الغرب الاسلامي ، كما أدت الى تقاعس الناس عن طلب العلوم والحكمة وخللت نقوسهم فعمدوا الى اخفاء ما كان لديهم من تلك العلوم المنوعة .

الضربة الثانية التي وجهت الى المكتبة اتى على يد الفقي الصقلي « واضح » من موالي المنصوريين اي عاصي الذي كان يدير امور قرطبة أثناء حصار سليمان بن الحكم المستعين والبرابرة لها في خلافة هشام بن الحكم المؤيد ...

فقد تدهورت حالة قرطبة الاقتصادية في تلك الفترة اذ وضع البرابرة المحاصرون للمدينة ايديهم على الواسم المكدرسة خارج المدينة واضطر عدد كبير من الفلاحين أن يلتجأوا إلى العاصمة للتغليس عن القوت ففرغ يت المال ولم يجد المسؤولون يستطيعون دفع رواتب الجنود . تجاه ذلك عمد واضح الى بيع عدد كبير من الكتب الموجودة في القصر لؤمن بذلك بعض النفقات الضرورية ، لكن ذلك لم يفده امام الحصار الطويل وسقطت قرطبة في ايدي البرابرة وزعيمهم سليمان بن الحكم .

هنا تأتي **الضربة الثالثة والفاوضية** لمكتبة الحكم فان المحاصرين عندما دخلوا المدينة ووضعوا ايديهم عليها ، احرقوا مكتبة قصر الخلافة انتقاماً من اهل المدينة وحكامها السابقين فلم ينج من المكتبة العظيمة الا الشيء البسيط الذى انتقل بعد ذلك الى حوزة افراد متفرقين في مختلف أنحاء البلاد .

وهكذا ساعدت عوادي الزمن على القضاء على تلك المكتبة الرائعة التي جمعها الخليفة العالم الحكم الثاني الاندلسي والتي قضى معظم أيام حياته فيها يقرأ ويطالع ويعلق وكتب .

ولاشك ان من تلك الكتب التي انتقلت الى حوزة الأفراد كما قلت قد استطاع ان يصل الى ايمننا هذهوربما استطاع الباحث المقرب فيزاوا بالكتبات الخاصة أو العامة في البلاد العربية الاسلامية وخاصة في شمال افريقيا ، ان يعثر في أية فترة من الزمن على احد تلك الكتب الثمينة فيقدم بذلك الى الفكر والبشرية خدمة كبيرة ويمكن الانسانية من الاطلاع على حقبة غامضة من تاريخها ...

١٩٨٤

جورج أورويل والإنسان الآلة

عرض وتحليل :

أورخان ميسر

ان المعصلة الرئيسية التي يقف عندها اليوم مفكرو الزمن المعاصر في حيرة وذهول ويحاولون ، رغم وقوفهم هذه ، ايجاد حلول ايجابية لها من شأنها ان تساعده في إزالتها ازالة ، ان لم تكن مطلقة في اوسع حدودها النسبية هي معضلة الكشف عن **الإنسانية الانسان** ، ليس بالنسبة للنخبة الفكرية يبن الناس بل بالنسبة للمجموع البشري كله ، على اختلاف بيئاته ومناطقه وقومياته ومستوياته الذهنية والنفسية . وقد يجدوا اصطلاح الكشف عن انسانية الانسان شيئاً غريباً في اعتبار بعض الأفراد الذين يخلون من الفكر ملهاة فيها استمتع عابر وتغريغ آلي لشحنات نفسية تولد نتيجة لاصطدام الرغبات الفردية بكره ونفور جيا الحياة الواقعية التي قر بنا او غير بها عبر سيرنا الملحاح في كرتنا الصغيرة هذه ، من بداية غامضة نحو نهاية اشد غموضاً وابهاماً . إلا ان هذا الاصطلاح في اعتبار المفهوم الوجودي الحديث ، اي المفهوم القائم على أدق وأوسع حصيلة علمية استطاع ان يجمعها انسان هذا اليوم ، له مدلوله الواضح كما ان له ايضاً مده الأفقى والغورى من حيث الاعتبار الأنثولوجي والأنثروبولوجي معاً .
لقد تطور هذا السكائن الحي الذي سمي انساناً تطوراً جنرياً ذا ابعاد

وأخذ هذا البحث طريقين او اسلوبين مختلفين من حيث الاتجاه يلتقيان في النهاية في نقطة واحدة هي العمل وفق المقتضيات التي تفرضها مبادئ البحث عن انسانية الانسان . وكشف الاسلوب الواحد الجهد حول ابراز معاني الانسان التكامل ابرازاً واضحاً متخدناً من العلوم اليقينية والفلسفة الحديثة مركزات لهذا الابراز بينما اقتصر الاسلوب الثاني على ايضاح وتقسيم المساويء والاخطراء التي تؤخر نقدم الانسان في تطوره كما تريده له الحياة .

و ليس الكتاب الاخير للفيلسوف العملاق كارل ياسبرز ، وعنوانه « مستقبل النوع الانساني » الا محاولة ناجحة في جملة المحاولات التي ترمي الى الكشف عن انسانية الانسان ، كما ان ما ياقوله ويفعله الفكر الكبير برتراند راسل ليس الا ظاهرة عملية لتزويع انسان العصر الى الحياة التي تؤمن له تطوره وارتقاءه كاملين لا يتر فيهما .

وَجُورِجُ أُرْوِيلُ الَّذِي ذَاعَتْ شَهْرَتَهُ عَلَى نِطَاقِ عَالَمٍ وَاسِعٍ بَعْدَ نَسْرِ قَصْتَهُ الطَّوْلِيَّةِ

« ١٩٨٤ » كاتب كبير حاول في قصته هذه ان يعـالج موضوعا له خطورته الكبيرة في الزمن الذي نعيـا فيه الان وهو موضوع طغيان السيطرة الفردية او الحكم المطلق عن طريق مذهبـيات مـتعلقة تفرض على الناس فرضاً سيـكلوـجيـاً فـتـجعلـهمـ آلاتـ بشـريـةـ تـحرـكـ وـتـعـملـ بـتـوجـيهـ خـاصـ يـوـسـيـ بهـ الـهـمـ وـحـيـاـ آـلـيـاـ ، وـتـضـعـهـمـ فيـ جـوـ اـرـهـابـيـ قـاسـ عـنـيفـ يـسـلـبـهـمـ حـتـىـ شـعـورـهـمـ بـخـصـائـصـهـمـ الفـردـيـةـ وـالـأـنـسـانـيـةـ . وهذا الكتاب ليس بـجـدـيدـ منـ حـيـثـ تـارـيخـ شـرـهـ اـذـ اـهـ طـبعـ وـشـرـ المـرـةـ الـأـوـلـىـ فيـ عـامـ ١٩٥٠ـ وـقـلـ الـىـ عـدـةـ لـغـاتـ اـوـرـوـيـةـ وـآـسـيـوـيـةـ فيـ عـامـ ذـاتـهـ ثـمـ اـعـيـدـ طـبعـهـ وـاعـيـدـ نـقـلـهـ صـرـاتـ كـثـيرـةـ حـتـىـ اـصـبـحـ المـوـضـوعـ الذـيـ طـرـحـهـ اـوـرـوـيلـ بـشـكـلـ مـثـيرـ حدـيثـ الاـوسـاطـ الـفـكـرـيـةـ الرـئـيـسيـ فيـ الـبـلـدـانـ الـتـيـ تـتـمـتـعـ بـحـرـيـةـ الرـأـيـ وـالتـعـبـيرـ . الاـ انـ الجـدـيدـ فيـ هـذـاـ الكـتـابـ فيـ عـامـ ١٩٦٢ـ يـتـجـلـيـ فيـ اـمـرـينـ اوـلـهـماـ عـشـرـاتـ الـأـلـوـفـ منـ الرـسـائـلـ الـتـيـ اـخـذـتـ تـرـدـ الـىـ الصـحـفـ وـالـمـجـلـاتـ فيـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ وـبـرـيـطـانـيـاـ وـاـيـطـالـيـاـ وـالـمـانـيـاـ وـفـرـنـسـاـ طـالـبـةـ مـنـاقـشـةـ مـوـضـوعـ اـوـرـوـيلـ عـلـىـ مـدىـ اـوـسـعـ وـطـالـبـةـ اـيـضـاـ جـعـلـهـ «ـ قـضـيـةـ »ـ يـبـنـاهـاـ رـوـادـ حـرـيـةـ الـفـكـرـ فيـ عـالـمـ كـأـحـدـىـ الـمـبـادـىـءـ الـاـسـاسـيـةـ الـتـيـ يـعـلـمـونـ هـاـ ، وـثـانـيـهاـ هوـ اـتـفـاقـ عـدـدـ مـنـ النـقـادـ الـعـالـيـيـنـ عـلـىـ اـنـ هـذـاـ الكـتـابـ اـتـجـاهـ جـدـيدـ فـيـ الـفـصـةـ يـقـومـ عـلـىـ حـقـائقـ لـاـيـكـنـ اـنـ يـنـكـرـهـاـ الـنـطـقـ وـيـجـعـلـ مـنـ هـذـهـ الـحـقـائقـ مـنـطـقاـ لـأـهـدـافـ سـامـيـةـ يـرـمـيـ إـلـيـهـ الـفـكـرـ الـاـنسـانـيـ الـمـعاـصرـ الـمـتـحـرـرـ .

ولـيـسـ مـاـحـدـثـ هـذـاـ الكـتـابـ بـالـأـمـرـ الغـرـيبـ لـأـنـ عـنـاصـرـ الـبـحـثـ عـلـىـ الـمـسـتـوىـ الـوـاقـعـيـ وـالـمـثـالـيـ مـتـوفـرـةـ لـدـىـ صـاحـبـهـ اـوـرـوـيلـ . فـلـقـدـ نـشـأـ اـشـتـراـكـيـ التـزـعـةـ بـعـدـ تـجـربـةـ الـمـرـيـرـةـ فيـ مـعـهـ «ـ اـيـتونـ »ـ الـاـرـسـتـقـراـطـيـ وـتـجـمـعـ لـدـيـهـ رـصـيدـ غـيرـ قـلـيلـ مـنـ الـعـرـفـةـ بـعـدـ عـمـلـ طـوـيلـ فـيـ بـورـماـ وـبـارـيسـ وـانـكـلـتاـرـاـ وـبـعـدـ مـسـاـهـمـةـ فـعـالـةـ فـيـ الثـوـرـةـ الـاـسـبـانـيـةـ وـفـيـ الـخـرـسـ الـاـهـلـيـ الـذـيـ اـنـشـيـ لـفـقاـمـةـ ايـ هـجـومـ مـتـوقـعـ الـمـحـصـولـ مـنـ قـبـلـ جـيـوشـ النـازـيـةـ خـلـالـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ اـلـثـانـيـةـ . يـضـافـ الـىـ كـلـ ذـاكـ شـيـءـ آـخـرـ هـوـ اـنـ وـلـادـةـ اـوـرـوـيلـ فـيـ الـهـنـدـ وـاـنـطـبـاعـاتـ الـأـوـلـىـ فـيـهاـ وـجـولـاتـهـ فـيـ الـبـلـدـانـ الـمـجاـوـرـةـ هـاـ وـاـهـتمـامـ بـالـمـذاـهـبـ الـفـكـرـيـةـ الـتـيـ تـلـفـعـيـ عـلـىـ الـذـهـنـ الـآـسـيـوـيـ وـتـهـمـنـ بـصـورـةـ خـاصـةـ عـلـىـ شـعـوبـ الـمـنـاطـقـ الـتـيـ تـؤـمـنـ بـالـبـوـذـيـةـ ، اـنـقـدـ كـانـ هـذـاـ الشـيـءـ الـآـخـرـ أـثـرـهـ فـيـ تـوـجـيهـ اـوـرـوـيلـ نحوـ الـتـيـ اـتـىـ إـلـيـهـ وـهـيـ اـنـ الـعـالـمـ يـعـانـيـ اـزـمـةـ اـسـيـانـيـةـ قـدـ تـؤـدـيـ بـهـ اـلـىـ مـرـحـلـةـ يـقـدـ بـهـ خـصـائـصـ الـمـيـزةـ كـأـرـقـىـ كـائـنـ حـيـ . وـقـدـ تـجـلـتـ هـذـهـ النـتـيـجـةـ الـفـلـسـفـيـةـ الـتـيـ اـتـىـ إـلـيـهـ اـوـرـوـيلـ بـعـدـ كـلـ ذـاكـ فـيـ قـصـتـهـ «ـ ١٩٨٤ـ »ـ حـيـثـ عـرـضـ فـيـ قـالـبـ فـيـ رـائـعـ مـاـيـكـنـ اـنـ يـصـيـرـ إـلـيـهـ الـاـنـسـانـ فـيـ فـتـرةـ تـارـيخـيـةـ

حددها لعام ١٩٨٤ اذا ما استمر خاصعاً للتوجيه الآلي الذي يفرضه الحكم
المذهبي الجماعي المطلق .

وعلم عام ١٩٨٤ كما صوره اوروبل عالم عجيب يسود في اعماقه صراع غي عنيف
استمراري السيرويكاد في الوقت ذاته ان يتمحضن في القوالب التي يصنفها له عدد صغير
من القادة الحزبيين الذين يؤلمون ذواتهم وينظرون الى الملائين من الناس نظرة شوفينية
فيها كل دفق الغريرة البدائية وفيها كل نهم الغاب والحياة الوحشية . والناس في عام ١٩٨٤
أفراد شلت قواهم الفكرية وجردوا من جميع القيم التي توصل اليها الانسان منذ النهضة التي كانت
على شواطئ البحر الايضاً المتوسط ومنذ بداية الحضارات العرقية التي اعطت لنا تراثاً مجيداً كما
جردوا ايضاً من المفاهيم الزمنية للماضي والمستقبل واصبحوا يتحرّكون كما تتحرّك الأجهزة المختلفة
التي نستعملها في حياتنا اليومية بادارة مفاتيح معينة او بالضغط على ازرار خاصة او بالجمع بين اسلاك
عديدة جمعاً يؤدي عملاً خاصاً . والحب ، هذه العاطفة الجميلة التي يعتر الانسان بوصوله الى اعلى
الراتب فيها ، جريمة كبرى في عام ١٩٨٤ يعاقب عليها من يقتتها عقاباً شديداً ، ذلك لأن
الحب ليس من خصائص الآلة التي يجب ان يكون على صورتها انسان هذا العالم . وقد وضع تحرير
الحب وفق قوانين وتشريعات سنتها الدولة التي يشرف عليها عدد قليل من القادة الغایبين . وقد
وجد هؤلاء القادة منظمة دعيت بـ«منظمة او رابطة «مقاومة الجنس» . لا حب في
هذا العالم ولا روابط جنسية ، اذا هناك عملية «تفريح» يعمد اليها المواطن
لكي يضمن استمرار نوعه ولكي يضمن بالتالي الاستمتاع الوحشي القادة
الذين يسيطرون على جميع طاقاته ومقدراته في حقله الفردي وفي حقله
الجماعي . فهناك ، مثلاً ، رجل اسمه ونستون سميث عضو في «الحزب» يتولى مهمة استنساخ
واعادة استنساخ تاريخ «الحزب» في وزارة «الحقيقة» وهي وزارة عملها قلب
الحقائق بصورة تنسجم مع المهدى الذي يرمي اليه القادة الفرديون المطلقون . ويجتمع سميث بجولي
وهي عضو ثوري في رابطة « مقاومة الجنس » فيقع كلها في حب عاطفي عنيف . غير ان العالم
العجب ، العالم الآلي الذي يعيشان فيه ، لا يسمح بانشاء اي رابطة عاطفية منها بلغت من البدائية
او السمو ، فت تكون النهاية الى الفرقة رقم ١٠١ حيث التعذيب والقصوة في اشد صورهما
عنفاً ووحشية بحيث امكانات تجريد الانسان من كل ما يمكن ان يفخر به في عصره الحضاري
من عزة وتراث .

ويستمر اورويل في عرض صور كثيرة متعددة الألوان والخطوط للعالم الذي يمكن ان يحيطه الحكم المطلق المعتمد على الطغيان الفردي والسيطرة على ارادات الناس سبيلاً آليه قسرية ، فينتقل من مشهد مثير الى مشهد آخر ، فلا يستطيع القارئ الا أن يستجيب ذهنياً ونفسياً الى اللمحات الرائعة التي يتضمنها والى الفتايات الفكرية التي ينشرها بسخاء وفي رشاقة بارعة قوية . ينقلنا اورويل في قصته « ١٩٨٤ » الى اجواء نحس بها وكأنها ليست من ذاتنا ومن تراثنا الحضاري ، على اختلاف نوعية هذا التراث ، وليس مما ألقاه في تاريخنا الحالى بجودات مأساوية لا حدود لها ... نحس بها وكأننا في مصانع جعلت لانتاج اوائل وادوات مما نستعملها في حياتنا اليومية ، وكأننا جزء مما ينتتج ويوزع في الاسواق .

لم تكن قصة « ١٩٨٤ » هي المرة الاولى التي يطرح فيها اورويل معضلة « الآلية » التي ستسطير على الانسان اذا ما استمر الحكم المطلق في خداع الشعوب . لقد سبق له ان كتب مقالات عديدة في الموضوع ذاته ، الا انه في قصته هذه استطاع ان يكف كل ما كتب كما استطاع ايضاً ان يجعل القارئ ذاته يثير في ذاته وهو في خلواته اسئلة عديدة يقول بعضها : ما مصيرنا ؟ ويقول ببعضها الآخر في ارتباك وذهول : **كيف نستطيع الاحتفاظ بحريتنا وكرامتنا لتمكن من اداء رسالتنا الانثربولوجية كاوقي كائن حي ؟ ...**

ان اورويل لا يعطي اجوبة مباشرة لثل هذين السؤالين الخطيرين او لغيرهما مما يشار في ذهن القارئ المثقف وهو يغوص في اعمق مأساة استطاع ان يعرضها هذا الكاتب أصدق عرض . انه يجعل القارئ ذاته يستنتج الاجوبة ويفكر فيها ويصل الى الحلول التي يمكن لها ان تتجنب النوع الانساني التعرض لمسألة الحكم المطلق ولمسألة الانهيارات الذهنية . وتبدو هذه الحلول التي يصل اليها القارئ بتوجيه من المحقق التخييلي التي تقاطر امام عينه وهو ينتقل من صفحة الى اخرى في « ١٩٨٤ » حولاً جذرية لابد من ان يعمد اليها ويتبنها ويكافح في سبيل تحقيقها تاماً ولو ضحى في سبيل مثل هذه الغاية ببعض الجهد والدم . وتتلخص هذه الحلول في ان يقف كل فرد يحس بما في نفسه من مثل عليا تسير به نحو التطور الحلال — ان يقف في وجه كل محاولة للطغيان الفردي وكل محاولة لفرض ارادات غريزية لها طاقة السير بالانسان الفقري وتحميده في حدود حياته البدائية ضمن اطار جديدة تبدو في ظاهرها ذات الوان زاهية وتنسق رائعاً ينما هي في حقيقتها قضبان حديدية قاسية واسلاك شائكة ملونة باسم والجرائم .

ومن أروع الصور التي يقدمها اورويل يجعل القارئ ينتهي الى استنتاجات ايجابية بعد

ان يستعرض في تسلسله المنطقي ما خبره أو عرفه من حقائق عن الحكم «الذهبي» المطلق صورة يوردها عن الشعارات الرئيسية التي تبشر لها الدولة وتدعوا إليها وتحلها مكتوبة بالنور على جدار بناءة كبرى في عاصمة «١٩٨٤». وفي جملة هذه الشعارات شعار يقول:

الحوب سلام

الحوية عمودية

الجبل قوة

وكان أوروبيل في عرضه لشبل هذه الصورة اراد ان يؤكّد في وضوح كيف ان المفاهيم الصحيحة يمكن ان تزيف وكيف ان الحقائق يمكن ان تزور ضمن منطق معكوس تقتضيه مصلحة اولئك الذين لا يهمهم الا الاستهانة بالتحكم والطغيان .

وإذا عدنا إلى الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٣٣ وعام ١٩٤٥ وتدكينا ما كان يجري في المانيا النازية من قبل للحقائق وتزوير للتاريخ ادركنا الحقيقة التي يرمي إليها اوروييل في قصته هذه . فلقد شوه الرعما النازيون حتى الحقائق العلمية اليقينية فيجعلوا من البيولوجيا والاثنولوجيا وغيرها من العلوم التي تتعلق بالانسان ونشأته وسائل لاشياع العقول بالأوهام ولجعل الشباب الألماني الناهيء يؤمن بجراحته العرق البشري المتفوق .

ومن الصور القوية الأخرى التي يقدمها أورويل بذات الدقة والروعـة اللتين قدم بهما صوره السابقة تعاريف بعض الالفاظ والاصطلاحات التي يتاجر بها عالم «١٩٨٤» في سبيـل تشويه انسانية الانسان . تعاريف يمكن وضعها في مثل الصيغ الآتية :

البلورياري : هو الفرد الذي يجب ان يظل مختلفاً وان يبقى في جهل مطلق وان يستمر في التزود بأكاذيب تقدمها له وزارة « الحقيقة » للاحتفاظ به انساناً يتحرك ويحمل ولكن دون ان يعي .

- المباحث : فئة اختيرت لكونها مفتقرة إلى الذكاء، ولكونها متميزة بقوّة العضلات ثم لكونها صالحة للنضجية العياء في سبيل « الزعيم » الذي لا تعرف عنه شيئاً.

- عضو الحزب (ذكر) : هو الفرد الذي لا وجه له ولا عقل في مجتمعه، افأ هو كائن آلي من لحم ودم، يخنق بالاكاذيب ويزرق بالحق والكراءة نحو الآخرين .

ـ عضو الحزب (انثى) : لا بد لها ان تكون في عداد رابطة « مقاومة الجنس » منذ ولادتها وان تذر كل جهدها وحيويتها لحق كل العواطف الاسانية وان تجب اولاداً لا علاقة لهم بزوجها .

ان اوروبل في قصته « ١٩٨٤ » يعرض لأخطر معضلة تقف امام الانسان العاصر وقفة جائوم رهيب ، الا انه لا يكتفي بالعرض المجرد لهذه المعضلة اما يقدم في الوقت ذاته ايضاً حلولاً ضئيلة تقول إنه على الانسان ان يعي انسانيته وعيًّا كاملاً شمولياً من خلال حريته ومبادئه تقديسه لهذه الحرية التي لا يمكن بدونها ان يستمر التطور الحياتي الصاعد في عمله الابداعي الخلاق .



من مخارات المعرفة:

أوقات الفراغ

تحقيق علمي اجتماعي
جديد . عن مجلة
«آر» ARTS الفرنسية ..

ترجمة السيدة مهادا الخوري

نشر فيما يلي نتيجة التحقيق العالمي الواسع الذي قام به (جوفرو دومازيدير) مدة خمسة أعوام كاملة . وبالاشك فيه أنه أهم تحقيق جرى حتى الآن حول فكرة الفراغ ومفهومه في العالم المتحضر . ويقصد بالفراغ هنا (أوقات) الفراغ التي يتمتع بها المرء بعد أن يت喪ي من عمله اليومي العادي . ولذلك جعل موضوع هذا البحث « نحو حضارة الفراغات » .

وصاحب التحقيق عالم منصرف إلى هذه القضايا متخصص فيها . فهو مشرف على (مؤسسة الشعب والثقافة) ، وهُكلف رسميًا بالقيام بالتحولات العالمية في موضوع الفراغ . ومسؤول عن منظمة عالمية متخصصة أيضًا في شؤون الفراغ . ولقد قام مع جماعة من الباحثين بدراسة عن الفراغ من ناحية تطور التكتل في المدينة ! وإذا أضفنا إلى كل ذلك انه يعد اطروحة لأصور بون عن

الفراغ ومستقبل ثقافة الجماهير في الحضارة الصناعية ، أدركتنا ان الرجل خير من يكتب في هذا الموضوع ، وان التحقيق الذي ننشره له هنا ، يشكل نقطة الارتكاز لهذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة التي من شأنها أن تحملنا على إعادة النظر في آرائنا المتعلقة بالثقافة والعادات وأعماط الحياة .

وقد جعل القسم الأول منه على شكل عشرة اسئلة نوردها فيما يلي ،
- أما القسم الثاني فنشره في عدد قادم - :

(١) - كم ساعة ازداد عدد ساعات

الفراغ خلال قرن من الزمن؟

منذ قرن واحد تقريرياً ، أي عندما كان كارل ماركس ينشر على الناس نظراته عن العمل والراحة ، لم تكون ساعات العمل اليومي محددة بوجب القانون ، ولم تحدد بأثني عشرة ساعة الا بعد ذلك . فيمكن اذن الاخذ بقول (فيرمان) وهو عضو في اكاديمية العلوم السياسية والأخلاقية من أن متوسط ساعات العمل كان في تلك الحقبة ، ثلاثة عشرة ساعة في اليوم .

أما عدد أيام العمل الأسبوعي فلم يتغير خلال هذا القرن وبقي كما كان أي ستة أيام . وكذلك لم يتغير عدد أيام العطل والاعياد ، لأن النقص في الاعياد الدينية قد قابله ازيد من في الاعياد المدنية .

وإذا أخذنا كل هذا بعين الاعتبار ، ثم اجرينا حساباً بسيطاً ، لوجدنا أن ساعات العمل الأسبوعي كانت قبل قرن واحد خمساً وسبعين ، وأصبحت الآن خمساً وأربعين . أي بنقص يعادل ثلاثة ساعات من ساعات العمل ، أو بزيادة تعادل ثلاثة ساعات أسبوعية من ساعات الفراغ والراحة كسبها العامل خلال هذه الفترة من الزمن . فاهيكل عن أن القوانين الحديثة قد منحت العامل عطلة سنوية مأجورة تبلغ ثلاثة أسابيع .

و خلاصة القول أنه في خلال قرن واحد أو ما ينيف عنه قليلا زاد نصيب العامل الصناعي من أوقات الفراغ نحو ثلثاين ساعة في الأسبوع أو ما يربو على الف وخمسين ساعة في السنة .

(٢) - بكم ساعة من الفراغ يتمتع

العامل حاليا ، أي في ١٩٦٢ ؟

وبعد أن رأينا ازدياد ساعات الفراغ ، أصبح خليقا بنا أن نعرف ماذا بلغت هذه الساعات بعد ازديادها . وقد درس العلماء هذا الأمر دراسة وافية نوجزها فيما يلي :

أولا — يقول العالم ستوكزيل استنادا إلى دراسات معهد (الرأي العام الفرنسي) ان أوقات الفراغ لعامل مقيم في المدينة هي ساعتان في المساء ، وفترة قصيرة تسبق وقعة الظهر ، وأخرى تلي وقعة المساء ، بحيث يصبح جموع ساعات الفراغ ثلاثة ساعات في اليوم .

ثانيا — يقدر العالم فورستيه أن ساعات الفراغ اليومية هي ثلاثة أيضا ، وذلك بالنسبة للعاملين الراشدين ، واعتبارا من عام ١٩٥٠

ثالثا — قام العالم «شومبار دي لو» بتحقيق واسع على مائة وعشرين عائلة عمالية في المنطقة الباريسية فتبين له أن المعدل الوسطي للفراغ اليومي إنما يتراوح بين ساعة ونصف وساعتين اثنين . إلا أن هذا العالم لم يدخل في حسابه الأوقات التي يقضيها العامل في إشغال مختلفة في بيته كإجراء بعض التصليحات الكهربائية أو الميكانيكية . وهي غير مأجورة طبعا ، واقرب إلى الهواية والتسلية منها إلى الشغل الجدي . وهذه الفعاليات يجب أن تدخل في نطاق الفراغ وفي حساب ساعاته : لأنها للهو والهواية كما قلنا ولا تفرضها ضرورات اقتصادية ولا التزامات عائلية . فإذا أدخلناها في الحساب ، وجب أن يضاف إلى المعدل الذي ذكره

شواردي لو ساعة ونصف أو ساعتان يومياً ، فيصبح مجموع ساعات الفراغ متراوحاً بين ثلات وأربع ساعات .

أما ادخال هذه الفعاليات المزدوجة غير المأجورة في حساب الفراغ أو عدم ادخالها فيه فقد جرى بشأنه تحقيق واسع في مدينة آنديي التي يبلغ عدد سكانها أربعين ألفاً وتبين منه أن ٦٠٪ من عمال المدينة يعتبرون هذه الفعاليات نوعاً من الفراغ ، وأن ٢٥٪ منهم يحسبونها عملاً عادياً لا فراغاً . أما الباقون وهم ١٥٪ من العمال فقد أجابوا بأنها تشمل الفراغ والعمل معاً .

فإذا أخذنا بجمل الآراء والتقديرات التي أوردناها في الفقرات السابقة لوجدنا أن المعدل الوسطي للفراغ اليومي للعامل الصناعي هو ساعتان ونصف الساعة في اليوم أي اثنتا عشرة ساعة ونصف الساعة في الأسبوع - باعتبار أن أيام العمل الأسبوعي خمسة فقط .

٣ - هل يمكن اعتبار الفراغ خطأ من اغاث العيش ؟

منذ أقل من خمسين عاماً لم يكن الفراغ معتبراً كقيمة في حد ذاته . وعلى سبيل الإيضاح والمثال نذكر أن العالم (ماكس وير) قام بدراسات حول الموضوع فاتهى به الأمر إلى القول بأن العمل هو الذي يبرر الربح ، وأن كل نشاط أو فعالية لا يكون منهافائدة للمجتمع لا يمكن أن تسمى عملاً وإنما هي فعالية قاصرة ضئيلة .

ولا يختلف عن هذا ، رأي ريكاردو ، ولا رأي ماركس . لذلك كانت زيادة ساعات الفراغ أمراً مضطراً لنظرية كل منها عن « القيم » .

وحتى عام ١٨٨٣ عندما كتب بول لافارج رسالته الشهيرة في (حق الإنسان بالبطالة) كان مفهوم الفراغ أشبه ما يكون بمفهوم البطالة أو الكسل .

اما في ايامنا هذه ، فالفراغ ، يشكل نواة جديدة لمفهوم السعادة الحديث .
وان من لا يستفيد او لا يعرف كيف يستفيد من اوقات فراغه هو رجل غير
مكتمل ، او متأخر ، بل هو رجل منحرف بعض الشيء . ونستطيع أن
نقول مع الامير كية مارتا ولفنشتايern : أنتا ، اهل هذا الجيل ، نشهد مولد مفهوم
جديد للتسليه والفراغ .

(٤) – هل أصبح الفراغ حاجة ؟

أجل !! فحتى عندما يحول ضيق الوقت أو نقص المال أو قلة الوسائل
دون ان يتمتع المرء بساعات فراغ ، تبقى حاجة الى هذا الفراغ والى التمتع به
وجودة وحقيقة ، بل ان هذه الحاجة تصبح أمس وأشد يوما بعد يوم .

وفي عام ١٩٥٥ وجد ان ١٥٪ من المستخدمين في المدن يهتمون بشراء
تجهيزات لقضاء اوقات فراغهم - كشراء بطاقات السفر ، واستئجار منازل ريفية
لتمضية العطلة الصيفية فيها ، وشراء اجهزة تلفزيونية ، وغير ذلك - ، وقد وجد
 ايضا ان نسبة هؤلاء تعادل نسبة الذين يهتمون بشؤون الحياة الجدية العادي كشراء
 منزل أو شقة أو تجهيز البيت بالاثاث ، اي ان الناس بدأوا يهتمون بأوقات فراغهم
 مثل اهتمامهم بمعاشهم العادي وحياتهم الجديدة . فقد أصبح الفراغ بالنسبة اليهم
 حاجة هامة ، تزيد أهميتها ومساهمتها كلما ازدادت الحضارة وازداد التصنيع . وقد
 اجريت تجارب وتحقيقات ودراسات على مجموعة من الاشخاص تتراوح اعمارهم بين
 ١٧ و ٣٠ عاما : فاعطت النتائج التالية :

٤٢٪ يرغبون صراحة في الحصول على اجزاء اضافية .

٣٠٪ يقولون انهم « يأملون » ان تزداد اوقات الملاهي والتسليه .

٣٩٪ أبدوا رغبة خاصة في الحصول على وسيلة من وسائل التنقل كالسيارة أو الدراجة أو غيرها لاستعمالها في أيام العطل .

أي ان اكثرا الناس من الجيل الحالي مستمدون بأوقات الفراغ ، ووسائل قضائها والسعى لزيادتها . وحتى في الحالات التي تضيق فيها ميزانية العائلة عن سد الحاجات الضرورية وسد حاجات الفراغ واللهو ، في آن واحد ، نرى كثيرا من الناس يقتربون على انفسهم في الملبس والمسكن وحتى في الغذاء ، لكي يحصلوا على وسائل النزهة واللهو والمتعة كشراء سيارة او تلفزيون وغيرها . وهذا الموقف الجديد خلق مشاكل جديدة في المجتمع ، وبصورة خاصة منذ عام ١٩٥٠ اذ أنه حين تنمو حاجات الانسان أكثر مما تنمو الوسائل التي تتحقق بها هذه الحاجات ، يتولد في الانسان شعور بالفقر مع أن موارده المالية قد ازدادت بصورة مطلقة .

(٥) - هل هناك نوع من (الاختلاف

الطبقي) في قضية الفراغ ؟

نعم !! فوجود أوقات الفراغ وطريقة استعمالها يختلفان من طبقة اجتماعية إلى أخرى ، وبصورة عامة فإن النقص في وسائل اللهو أو في الموارد المالية وكذلك الظروف المتعلقة بجازولة بعض المهن ، كل هذا يؤثر تأثيرا شديدا في التطور الكمي والكيفي لقضية اوقات الفراغ واستعمالها .

وقد دلت احصاءات جرت في على فرنسا أن الفرد الواحد من كبار الموظفين أو من اصحاب المهن الحرة ينفق وسطيا (١٥٦٠٠) فرنك كل سنة لمعطل والاعياد وساعات الفراغ . بينما لا ينفق الفرد من الطبقة العمالية الا (١٧٤٠٠) فرنك فقط في المدة نفسها ولغاية ذاتها .

(٦) - الفراغ عند القرويين والعمال الريفيين في فرنسة

تردد اوقات الفراغ عند هؤلاء يوماً بعد يوم ، وقد حدد قانون ١٩٤٨ ساعات العمل السنوية بـ ٢٤٠٠ ساعة فقط . وما زاد عن ذلك اعتبار عملاً إضافياً . أي ان الجيل الجديد من سكان القرى وعمال الحقول يتمتع بأوقات فراغ لا يأس بها . وقد ظهرت بوادر لتنظيم الاستفادة منها . فأنشئت يوم الشباب الريفيية ، وسنت الصدقة والمنظفات الـ باخصية والثقافية والفنية . وغيرها .

(٧) - ماهي اوقات الفراغ في نظر علماء
القرن السابق امثال - ماركس ولتره -

(٨) - ماهي اوقات الفراغ بالنسبة للرجل العادي ؟

ان التعريف التي اوردناها آنفاً ، هي تعريف عالمية تنص عليها المعاجم والقواميس ، لكنها لا تعطي فكرة عن الطريقة التي يتمثل بها الفرد العادي وبصورة خاصة العامل الصناعي دور الفراغ وتحديداته . فقمنا باستفتاء منظم بين العمال قتين لنا أن الكثرة الغالبة منهم لازال تعتبر الفراغ (وقتاً) أو (زمناً) ، ومع ذلك فأكثر من ربع المستفتين اعتبروه (نشاطاً) أو فعالية . وقد جرى الاستفتاء على ٨١٩ شخصاً من مختلف أنحاء فرنسا ، ومن باريس بصورة خاصة . وقد أجمعوا كلامهم على تعريف الفراغ بصورة غير مباشرة : فكل مالم يكن داخلاً في نطاق الاعمال اليومية التوجيهية ، يمكن اعتباره داخلاً في نطاق (الفراغ) . وهذه (الاعمال اليومية) نفسها يمكن ان تقسم الى ثلاث زمر ، تضم الاولى (الاعمال المعتادة الروتية) والثانية (هوم الفرد ومشاغله ومشكلاته) والثالثة وهي الاكثر اهمية تشمل (الاعمال الضرورية او الناشئة من الالتزامات) وبصورة خاصة الالتزامات المهنية .

وعلى كل حال ثبتت فيما يلي تعدادأشبه حصرى لمجموعة الاعمال والنشاطات التي تساعده على اعطاء تحديد سلبي - للفراغ - باعتبار أن كل نشاط لا يدخل ضمنها لا بد أن يدخل تلقائياً ضمن ، الفراغ .

١ - العمل المهني أو الحرفي .

٢ - العمل الاضافي المتمم للسابق .

٣ - الاعمال المنزلية (تدبير المنزل ، وما يعود بنفع مادي من تربية الدواجن وزراعة الحدائق وأعمال التصليح الميكانيكي والكهربائي وغير ذلك)

٤ - مجموع النشاطات الالزمة للمعيشة (كتناول الطعام . والنوم، أعمال التبرج والنظافة)

٥ - مجموع النشاطات الاجتماعية والاحتفالات المرتبطة على التزامات عائلية أو اجتماعية أو روحية (زيارات رسمية — أعياد — اجتماعات سياسية — فروض دينية — حضور الصلاة والقداس) .

٦ - الفعاليات المتعلقة بدراسات يرجى منها النفع (كحضور حلقات دراسية والاشتراك في دروس تحضيرية تمهيداً للدخول امتحان مدرسي أو مهني) . وهكذا نرى ان القول بأن - الفراغ - هو ماليس « عملاً مهنياً » فحسب إنما هو قول غير مطابق للحقيقة . وكل النشاطات التي اوردناها في الفقرات الست السابقة هي التي يجب اخذها بعين الاعتبار . وكل نشاط خارج عنها يمكن اعتباره - فراغاً - . وهذا هو التعريف الذي نراه صحيحاً .

٧ - ماهو الفراغ في نظر علماء الاجتماع المعاصرین؟

إن كل ما أوردناه آنفًا ، وكل الأوجهة التي وردت علينا من العلماء المعاصرین تجمع على أن الفراغ هو في جميع الاحوال ، تحرر واستمتاع . على أن هذه الأوجهة تعود فتتميز عن بعضها عندما تبحث في وظيفة الفراغ فالفئة الأولى تقول أن وظيفة الفراغ هي الراحة والثانية تقول أنها التسلية ، في حين تذهب الثالثة إلى أن وظيفة الفراغ هي تنمية شخصية الفرد وتطويرها ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

إن الراحة تخلص المتعب من تعبه ، ولذلك تكون أوقات الفراغ عاملًا وحيداً في تعويض واصلاح وترميم ما أصابه من تلف أو عطب عضلي أو عصبي من جراء القيام بالواجبات اليومية وأهمها العمل . ورغم أن الآلات تخفف الآن عن

العمال معظم مهامهم الجسمية فان سرعة الانتاج وتعقد العلاقات الصناعية وتشابكها، وبعد المسافات بين مقر السكن ومكان العمل في المدن الكبرى ، كل هذه الامور لازالت تزيد الحاجة الى الراحة والصمت والى التسلية باعمال طفيفة لا تستهدف الربح . والوظيفة الثانية للفراغ هي التسلية . واذا كانت الوظيفة الاولى تنفرد من التعب والارهاق ، فالثانية تنفرد من الملل والضجر والعامل اليومي معرض أشد التعرض للملل من جراء تقسيم العمل تقسيماً مبالغأ فيه . وقد ألح كل من (فريدمان) و (ليفير) على ضرورة التسلية واللهو للعامل ، لا خراجه عن نطاق حياته اليومية في العمل الرتيب الضجر الذي قد يتسبب احياناً في إنهاك العامل وضعضة اعصابه وشعوره الشديد بالحرمان .

وبعد هاتين الوظيفتين تأتي الوظيفة الثالثة للفراغ وهي تنمية الفرد اذ ان الفراغ يتتيح للمرء أن يخرج من آلية التفكير اليومي ، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والتزود بالثقافة والفن ، وتنمية الجسم بالرياضة البدنية ؛ بحيث يسهل على الفرد أن يندمج بسهولة في الجماعات أو الاندية الثقافية والاجتماعية والترفيهية .

وببناء على ما تقدم يمكن الاجابة على السؤال المثبت في أول هذه الفقرة ، فنقول ان علماء الاجتماع المعاصرین يرون ان الفراغ :

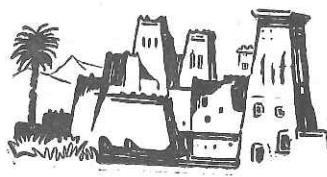
هو مجموعة المشاغل التي ينصرف اليها الفرد بملء ارادته طليباً للراحة او التسلية او لكي ينمي شخصيته وملومناته او يزيد مساهمته في الحياة الاجتماعية ، او ينصرف الى هوايات فنية او عالمية ، كل ذلك بدون استهداف الربح المادي ، وبعد اتمام العمل اليومي المتوجب .

(١٠) — هل يعتبر الفراغ قوة ثورية ؟

اجل ! أن في الفراغ قوة توعدى الى تغيرات هامة . وان الثقافة المعاصرة تزيد ارتباطاً يوماً بعد يوم ، بفهم — الفراغ — وواقعه العملي .

ومن الملاحظ في هذه الأيام أن المربين ، والزعماء ، والناضلين ، وكل من يتصدرون إلى توجيه افكار الناس واعمالهم ، يدركون تمام الارادة ما يلاقون من صعوبات متزايدة في جعل فكرة ماتسلط على الجمهور . فالمجاهير اخذت تظهر الكثير من عدم المبالاة ازاء الشؤون الثقافية . وقد زعم بعض الباحثين أن شعور عدم المبالاة هذا ، مرده في الغالب إلى أن موجي المجاهير لا يتمتعون بالحماس الكافي والكفاءة الالزمة . غير أن ذلك ليس السبب الوحيد في قلة الاكتتراث التي يبديها الناس الآن في امور الثقافة والعلوم المدنية . والصحيح هو أن الناس ينصرفون الآن عن هذه الامور حرضاً منهم على اوقات فراغهم واستعمالها في غير ذلك ، أى في التسلية واللهو والراحة .

وبجمل القول أن تحولات وتغيرات عميقة وغامضة تجري الآن في قلوب الناس ، منها اختلفت طبقتهم الاجتماعية ، وان هذه التغيرات العظيمة إنما انطلقت من هذه الأشياء الطفيفة البسيطة التي نسمّيها أوقات الفراغ » .



الكتاب والموضوعات

العلم السوري

وكيف عرفوا المهاجرون في فنزويلا

جورج صيدح

الحفار

موسى حداد

اليراعات — لطاغور

ترجمة الدكتور بدیع حقی

العرض والموسيقى

میخائيل خلیل الله ویردی

نحوی حجر

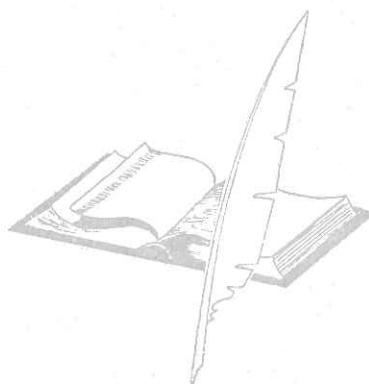
عبد المعین الملوحي

أقوی من القنابل الذرية

جلال فاروق الشریف

نكبة ابن رشد — مسرحية

خلیل المنداوي



الآداب

العلم السُّوري

كيف عَرَفَهُ الْمَهَاجِرُونَ فِي فَنْزُولِهِ

لِلشَّاعِرِ جُورَجِ صَدِيقِ

كنا نحن المهاجرين السوريين في فنزويلا
قليلٌ عديتنا كثيرٌ وفينا . عشرات من ابناء
حلب وأحاد من ابناء دمشق ألقوا رحابهم في
كرا كانس قبيل الحرب العالمية الاولى وعُرفوا
باسم « تور كو » وباسم « أكلة الحشيش ». .
ذلك لأنهم جاؤوا من بلاد يحكمها الترك ولأنهم
أخذوا يزرعون ويأكلون خضر البقول في بلد
لا يستملك غير الأحوم . فلما انتهت الحرب بجلاء
الترك عن ديارهم تحولوا إلى « فرانسوزو » لأن
فرنسا بسطت عليهم حماية الأم الحنون .. إلى
ان كانت الحرب العالمية الثانية وكان اعلان
الاستقلال في مؤتمر سان فرنسيسكو فازوا
عنهم ظل الحماية الأجنبية واستبشروا بهد

* ارسلت هذه المقالة مع تحية للمعرفة من باريس حيث يستقر للاستفقاء ، شاعرنا المجري
الكبير جورج صديق .

جديد يرد اليهم كرامتهم القومية ويصون كيانهم كجالية عربية لا تقل شأنًا عن سائر الجماعات المهاجرة.

منذ عام ١٩٤٥ تخلت السفارة الفرنسية عن رعاية السوريين واللبنانيين ونفضت يدها من كل معاملة يحتاجون إليها في الاقامة والسفر ، تطبيقاً لشروط الاستقلال وتمهيداً لحلول السلطات السورية واللبنانية محلهما من تلك التبعات . ولكن مع الاسف وجدنا تلك السلطات في شاغلٍ عنا . لا تستطيع ملء الفراغ الذي يهدد حقوقنا ومصالحتنا ان بقينا بلا مرجعٍ دبلوماسي او قنصلي نرجع إليه في دار غربتنا . وكيف تستطيع سورية تعميم المفوضيات والقنصليات في مختلف الجمهوريات الأميركية على الفور ، ودون ذلك مفاوضات على تبادل التمثيل السياسي مع كل حكومة تستغرق شهوراً وبعثات تقتضي نفقات لا قبل لدولتنا الناشئة بها .

هكذا طلع علينا فجر الاستقلال المنوش . واصطدمنا بنقطة حيث توقينا النعمة . وانتقلنا من حلأة العيد إلى مرارة القلق والشكوى . وزاد في غصتنا حكومة سورية ألغت العلم القديم الذي حملناه معنا إلى المهاجر واصطنعت علمًا جديداً لعبد الاستقلال ، سمعنا عنه ولكننا لم نزره ولم نظر بنموذج منه حتى نضع إعلاماً على شاكلته تتوّج بها منازلنا ومتاجرنا .

في شهر آب ١٩٤٥ نشرتُ في جريدة البيان التي تصدر في نيويورك كتاباً مفتوحاً أوضح فيه مأساتنا ، وكيف أصبحنا رعياً دولة مستقلة لا تعرف رايها ولا ترى وجهًا يمثلها في محيطنا . ثم تمنيت على أهل الروءة أن يهدوا إلى أخوانهم القيمين في فنزويلا عالمًا سورياً من الطراز الجديد .

كان أول من لبى نداءنا أول وزير مفوض مثل سوريا في واشنطن و أول رائد عربي مسؤول احتجن قضية المهاجرين وخصها بعنائه ، هو ناظم بك

القدسى رئيس الجمهورية الحالى . قال في رسالة تاریخها ١٦ آب ١٩٤٥ « قد ارسلت اليكم في غلاف خاص نموذجاً من العلم السوري حسب الرغبة التي ابديتموها في كتابكم المفتوح . وارجو ان لا يطول الوقت حتى يصبح لسوريا عنديكم ممثلون رسميون ترجعون اليهم في ما تريدون والى ان يتم ذلك تروني مستعداً لكل خدمة . »

وعقب على هذه البشارة برسالة ثانية تاریخها ١٨ ايلول ١٩٤٥ وفيها آيات من التعاليم والتوجيهات الوطنية كقوله :

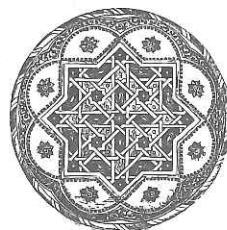
« لا اعتقد الاستقلال نافعاً مالم يشعر الصغير والكبير من ابناء الوطن بنعمه وخيراته ، الفلاح في اصغر قرية كالمتمول في اكبر مدينة . »

اما بشأن الرأيية المهدأة فقد كتب :

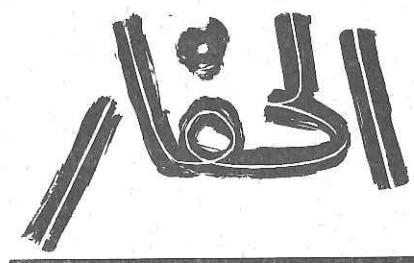
« اتفى ان يكون هذا العلم السوري علاماً ثانوياً لعلم الاتحاد العربي . فتحن في سوريا حروي صون على ان لا يرتفع في ربوع الشام علم فوقه غير علم الاتحاد العربي . وتنموا باني لا انماز عن خدمة الاخوان المهاجرين حيثما كانوا ، في شمال اميركا او في جنوبها . وتفضلوا بقبول شكري مع تحياتي الخالصة لحضرتكم ولكل من نطق بالضاد في ربوعكم » .

لا استرسل في رواية ماتتحقق وما اخفق من آمال المهاجرين بعد هذه المقدمات ، ولا ماطرأ على حياة المهاجرين من التطورات التي باعدت بينهم وبين الوطن الام . لاني لست على يقين من ان حدثاً كهذا بهم قراء « المعرفة » فاتحاورز عنه واعود الى عطف صاحب الفضل والنبل الله الدكتور ناظم القدسى على قضيتنا لا قوله اتي عند وصول هديته كتبت اليه رسالة الشكر في هذه الآيات من الشعر :

وصلت هديتك التي
 فأعدتُ شكري اليوم
 ولامتها وضمها
 فإذا الرؤوس الخاشعات تدور حيث أدرتها
 وإذا الدموع على العيون كأنني استمطرتها
 وهتفت باسمك والجموع تحف بي فأثرتها
 وكأنها العقد الشير (بناظم) بشرمتها
 حفت، وقد رف الخيال، إلى الجمى فعذرتها
 وتوسمت شبح الديار قلت بل أبصرتها
 أكبرتها وطنأ يدل برایة أكبرتها
 كاثرت اجحاد الشعوب بمجده فكترمتها
 وصبوت دون الكائنات لحسنه فأغرتها
 ياراية أزلتها
 شفت على الذكريات ولو قدرت زجرتها
 نعم الرسولة انت من داري التي هاجرتها
 قد زرتني في غربتي فحسبت اني زرمتها



من شعر المهاجر



للساعير: موسى حماد

لقد مات كما عاش — معدما — ودفن
شيخاً طاعناً في السن ولم يعش في
جنازته سوى خمسة اشخاص
اقضت واجبات المهنـة
والصادقة في تشيع جثمانه
إلى مقبره الأخير :

عشـت السنين وانت تحـفـر لـلـورـى شـتـى الـقـبـور
سيـان رائحة الرـفـات لـديـك او عـبـق الزـهـور

* * *

غشتُ السَّيْنَ وَأَنْتَ تَدْعُ لِلرَّدِّي بِدوامِهِ
فَكَفَافُ عِيشَكَ كَانَ مِرْتَهْنَا بِوَقْعِ سَهَامِهِ

خَسِينٌ حَوْلًا قَدْ طَوَيْتَ وَمَا بِأَذْنِكَ مِنْ صَدِّي
إِلَّا لِقْبَهُ الْضَّرِيعَ وَصَوْتُ عَرْبَدَةِ الرَّدِّي

كَمْ غَادَةِ بَطْمَوْحَهَا لَمْ تَرْتَضِي إِلَّا لِنَرِي
دَفَعَ الْمَنْوَنَ بِهَا إِلَيْكَ لَكِي توَسِّدَهَا التَّرِي

كَانَتْ نَنَمَ عَلَى الْحَرِيرِ وَتَسْتَقِيقَ عَلَى الْمَطْوَرِ
وَقَرَائِعَ الشَّعْرَاءِ فِيهَا — اسْتَنْفَدَتْ دَرَرَ «الْبَحْرُ»

وَكَبِيرُ قَوْمٍ مَاتَدِنِي لِلصَّنِيرِ وَلَا الْكَبَّـيرِ
لَمَّا احْتَوَاهُ سَاعِدَكَ ارْتَاحَ فِي الْقَبْرِ الْحَقِيرِ

وَسَمِعَتْ مِنْ حَشْوِ الْمَؤْبِنِ مَا تَضَيِّقُ بِهِ الْمَسَامِعُ
وَشَهِدتُّ الْوَانِ الرِّيَاءِ عَلَى الْوِجْهِ وَفِي الْمَدَامِ

كَمْ دَمْعَةُ ذَرْفَتْ وَقَدْ أَوْحَتْ إِلَى الرَّأْيِ الشُّكُوكَ
لَيْسَتْ لَهَا فِي الْعَيْنِ إِلَّا قِيمَةُ السَّنِ الْضَّحِوكَ

وْفِتَى أَبِي النُّفَسِ كَانَ الْبُؤْسُ كُلُّ حَيَاةِهِ
لَمْ يَدْرِ إِلَّا نَعْشَهُ وَضَرِحْهُ بِوْفَاتِهِ

لَا بَرْقٌ طَّيرٌ نَعِيهِ لَا الصَّحْفَ فَاحْتَلَ الْمَحَافِلَ
بَلْ كَانَ صَوْتُ نَعِيَّهُ نَعْمَلُ الْمَجَارِفَ وَالْمَاعُولَ

وَكَمَا قَضَى غَمًا قَضَيْتَ فَغَبَتْ فِي لَحْجِ الزَّمْنِ
لَمْ يَصْطَبْجِبْكَ إِلَى الْخَفِيرَةِ غَيْرَ فَقْرَكَ وَالْكَفْنَ

وَتَرَكْتَ فِي الدُّنْيَا أَنْاسًا لِلتَّكَالِبِ وَالْعَرَابِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَحْفَرُونَ لِبَعْضِهِمْ حَفْرَ الْمَلَائِكَ



اليراعات

رسائـل الحـنـدـر : رـابـنـرـانـتـ طـاغـورـ

تأـريـخـ: الـكـلـورـ بـسـعـ حـصـبـ

«لطاغور ديوان سماء : اليراعات — جمع يراعة . . وهي
فراشة تضيء ليلا — وتنسق كل يراعة في أبيات قليلة
تتضمن فكرة او حكمة او صورة . وقد نظم
طاغور هذه اليراعات خلال رحلته الى الصين
واليابان حيث كان يطلب اليه أن يكتبه على
مواوح او على رقاع حميرية . وفيما يلي
منتخبات من هذه اليراعات »

— العرب —

- ١ -

اـيهـ يـاسـوـانـجـ فـكـرـيـ ، أـيـهـ الـيـرـاعـاتـ .

- ١٠٣ -

أيتها الشرارات الحية ،
المتّقدة في الليل .

- ٢ -

اتي أرى في رعشة الصبايا
رقصة الفضاء الخفية ،
وألمح في أقها
نبضات السهام المكتومة .

- ٣ -

ان ازهرة الاولى التي تنوّر على هذه الارض
ستدعوا الأغنية إلى أن تولد

- ٤ -

ان المصباح المهمل ، يتّظر طوال النهار ،
قبلة الشعلة التي تسوق الليل .

- ٥ -

إن قواربي الورقية قد صنعت ،
لتُرقص فوق موجبات الزمن
لا لتدرك هدفاً ما .

- ٦ -

العالم يحدّثني بالصور .

وروحي تُحِبُّ بالاغاني :

- ٧ -

ان الشعاع الذي يملا السماء ،
يبحث عن حدوده ، في قطرة الندى :

- ٨ -

تظل السماء فارغة دوماً ،
حتى تبني الارض فيها جناتها من الاحلام ،

- ٩ -

النهاية الحقيقية ليست في الوصول إلى الحد ،
بل في الوصول إلى الكمال الذي لا حد له ،

- ١٠ -

ان العالم الداخلي الذي انظم في حياتي ،
اشبه بشمرة انصبجها الفرح والالم ،
لتهواى في ظلام الارض الأصلية ،
ثم تستو في سلسلة جديدة من الخلق ،

- ١١ -

ايها الشجرات ، ايها الجهد الخالد الذي تبدل الأرض
لتتححدث إلى السماء التي تصعي إليها .

- ١٢ -

إذا كان معنى دوري في لعبه الحياة يستغلق على فهمي ،

فذلك لأنني أجهل الدور الذي يقوم بأداءه الآخرون .

- ١٣ -

إن صوت الزهور الزائفة
التي تفتح على عذار الدرب ،
دون أن تجذب إليها النظرات التي لا تأبه لها
يهمنس في ثنايا هذه السطور غير المتصلة .

- ١٤ -

حين تفرق آثاري المثقلة بالمعانى .
وتبطئ إلى القاع .
فلعل كلأتي الحقيقة .
تظل راقصة فوق موجات الزمن .

- ١٥ -

الولادة ، هر من غموض الليل ،
إلى غموض أكبر ، إلى غموض النهار ،

- ١٦ -

الجبال ، حركات يائسة تبذلتها الأرض
نحو ما هو صعب المنال ،

- ١٧ -

لعل الملال ، يبتسم . غير مصدق ، حين يقال له :
لست سوى جزء ،

- ١٠٩ -

يُنْتَظِرُ أَنْ يَسْتَوِيْ تَامَهُ :

- ١٨ -

الشكل متسق في المادة
الوزن قائم في القوة
العنى كامن في الإنسان

- ١٩ -

حين يوافي الموت ويقول لي بصوت خفيض :
— ان ايامك قد شارفت ختامها .
ترى ايكون في ميسوري ان اجيب :
لم اعش وحسب . لقد عشت في الحب ؟
ثم يسألني : اتظل اغانيك حية باقية ؟
فأجيب : لا ادري ، ولكنني ادري
انني ظفرت ، بينما كنت اغني ، بالخلود . أكثر الاحيان .

- ٢٠ -

ترى ايكون في مكتبي . قبل نهاية رحلتي .
ان ادرك ، في غور نفسي ،
ذاك الذي هو كل شيء ،
تاركًا سربالي يطفو ، على غير هدى ،
ويغيب بين الجموع ،
فوق نهر المصادفة والتغير ؟؟



- ١٠٧ -



بعض مسائل خليل الله ويردي

العروض علم نظم الشعر على الأيقاع ، وهو نسبة تأليفية ، يربط نظامها بين الشعر والموسيقى ، وموضوعه تنسيق المدد الزمنية، على اشكال مناسبة، غير محدودة ، تبعث الهبطة والطرب ، والشعور بالجمال .

اما المدد الزمنية في الكلام ، فأساسها سرعة التلفظ بالحرف ، متسرع كأن او ساكن ، فالحرف الواحد المتحرك يشكل مقطعاً مفرداً ، مثل كل حرف من (درَس) اما الساكن فيفتح المتحرك ، ويتجدد معه فيشكلاً مقطعاً مزدوجاً كقولنا (عيد) (فالعين متخركة بالياء) ، وهذه ساكنة بذاتها ، كذلك الدال المتحركة بالضم مع النون الساكنة ، فكلمة (عيد) مؤلفة من مقطعين مزدوجين ، ويوجد ايضاً مقطع ثلاثي يتكون من متحرك يليه ساكنان مثل الكلمة (دار) وهو لا يرد الا عند الوقف ، او في نهاية الشطور في الشعر ، وشذ وروده في وسط الكلام شرعاً ونثراً، لعدم جواز القاء الساكنين ، وليس في اللغة العربية سوى هذه المقاطع الثلاثة ، فنها يتكون جميعاً كلامنا نثراً وشرعاً ، اما في اللغات الأجنبية ، فتوجد علاوة على هذه الثلاثة ، مقاطع اخرى كالرباعي في قولهم (شـاـنس) والخماسي في قولهم (ترـاـنس) فالرباعي متحرك

يليه ثلاثة سوا كن ، والخافي كالراغي ، قبله حرف سا كن ، وليس لهذين المقطعين مثيل عندنا .
والتنفظ بالقطع الفرد ينافر لحظة من الزمن تبلغ نحو ربع الثانية ، وبالمزدوج نحو نصف
ثانية : وبالثلاثي نحو ثلاثة أربع الثانية حسب آلة المترونوم ، ويرمز إلى المقطع الفرد برقم (١)
أو بعلامة الموسيقى ذات السنين (دوبل كروش) ويرمز إلى المزدوج برقم (٢) أو بالعلامة
ذات السن الواحدة (كروش) ويرمز إلى الثلاثي برقم (٣) او بالعلامة المنقوطة ذات السن ،
وعلم جرا ، فشكل الكلام يتتألف من مقاطع متفاوتة زمنياً ، يجمعها في العربية كلمة (أناشيد)
وزهرها فعولان أو مفاعيل ، وهي وامثالها كلمات لامعنى لها ، ولا فائدة منها سوى رسم ترتيب
مقاطع الالفاظ في الذهان ، على شكل ما ، والحفظ على ذلك الترتيب هو سر المجال المادي في
الشعر العربي ، وهو الفارق الاساسي بين الشعر والثر ، اما المجال المعنوي فشتراك بينهما .

فإذا أخذنا مثلاً مقطعاً مفرداً ومقطعين مزدوجين ، يمكن ان تؤلف منها ثلاث صور ،
تشتلهما في الذهان بثلاث ترتيبات ، الأولى (فعولان) وفيها يتقدم المقطع الفرد على المزدوجين ،
كقولنا (عظيم) والثانية (فاعلن) وفيها يتوسط المقطع المفرد بين المزدوجين كقولنا
(علم) والثالثة (فعلان) وفيها يتلو المقطع المفرد المزدوجين ، كقولنا (عرفان)
ولا رابعة لهذه الصور .

اما اذا أخذنا مقطعاً مفرداً وثلاثة مقاطع مزدوجة ، فاتنا تؤلف منها اربعة صور ، الاولى
(مفاعيل) وفيها يأتي المقطع المفرد في الرتبة الاولى ، والثانية (فاعلاتن) وفيها يأتي المقطع
المفرد في الرتبة الثانية ، والثالثة (مستعملن) وفيها يأتي المقطع المفرد في الرتبة الثالثة ، والرابعة
(مفعمولات) وفيها يأتي المقطع المفرد في الرتبة الرابعة ، ولا خامسة لهذه الصور ، ولكن هناك
صوراً كثيرة غيرها ، تتكون من مجموعات أخرى من المقاطع المفردة والمزدوجة او الثالثة، تجدون
تفصيلها مع الفاظها وشاراتها الموسيقية في كتابنا (بدائع العروض) وهو جزء من فلسفة
الموسيقى الشرقية ، فلنا اذن لهذا القانون : ترتيب المقاطع اساس الاقاعع .

* * *

قلنا ان التفاعيل كلمات لا معنى لها ، ولغاية منها سوى رسم ترتيب الاقاعع في الذهن ،
فلا خلاف اذن بـ قولنا (فاعلاتن فاعلن) او (فاعلن مستعملن) لأن ترتيب المقاطع واحد
في الحالين ، اما اذا قلنا (فاعلن فاعلاتن) او (فاعلاتن فعالن) فان ترتيب المقاطع

يختلف كما ترى ، فيبدل شكل الايقاع من اساسه . } في الشكل الأول ٢١٢٢٢١٢
 ٢٢١٢٢١٢ } وفي الشكل الثاني
 كل هذه صور بسيطة من الايقاع في الشعر العربي ، يقابلها دائمًا عند الافرنج وزن عددي مؤلف
 من سبع خطوات متساوية ، كقولنا مثلاً (فعلن فعلن مفعولن) أو (مفعولن مفعولن)
 ومهمها تبدل اسماء او تفاعيل العدد السباعي عندنا ، فان مسموعه عندهم يبقى على حاله ، ولو
 كان الافرنج ينظمون شعرهم من مقاطع مزدوجة ، وفق خطوات متساوية مهما كان عددها ،
 لمان الامر ، وكانت منظوماتهم شبيهة بعض اشكال مجر المتدارك في العروض العربية ، ولكنهم
 كما سبق القول ، يعتبرون كل مقاطع الكلام خطوات متساوية ، مع ان المقاطع عندهم خمسة
 اشكال متباعدة ، فيحشرونها في شعرهم كيفما اتفق ، غير آبهين لترتيبها على اي شكل متقابل
 من الايقاع ، فإذا بالفوضى والتشویش قللاً أكثر منظوماتهم ، خلافاً للشعر العربي الذي يفرض
 بالترتيب والنظام ، وهو سر المجال الايقاعي ، بل سر الروعة والجمال في أي شيء كان .
 وهذا السبب وحده يجعل الشعر العربي برنة موسيقية فاتحة ، ليس من الوجهة النغمية ،
 بل من الوجهة الايقاعية ، وهذه الرنة تسمو به وتقيه عن الشعر الافرنجي ، حتى ان الاجنبي
 اذا سمعه طرب لنظامه الايقاعي ، ولو كان يجهل اللغة العربية ، أما الشعر الافرنجي
 فليست له هذه الصفة المميزة ، لأنها لا تخضع لنظام الترتيب الايقاعي ، بل الى
 عدم المقاطع دون التفات الى اختلافها ، وهي كما سبق البيان ، تتفاوت
 بقدارها الزمنية في كل لغة .

قال الفارابي (الايقاع هو النقلة على النغم في ازمنة محدودة المقادير والنسب) وقال ابن سينا
 (الايقاع تقدير ما لزمان القرارات) وقال صفي الدين الارموي في الادوار (الايقاع جماعة هرات
 تتخللها أزمنة محدودة المقادير على نسب واوضاع مخصوصة ، ويكون لها ادوار متساوية الكمية ،
 وقد لا يكون ، ويدرك ايقاع تلك الادوار عيززان الطبع السليم المستقيم ، كما تدرك اوزان الشعر
 بدون حاجة الى قانون العروض ، اما اذا لم يكن الطبع سليما ، فإنه لا يدرك تساوي تلك
 الادوار الا بالقانون) وعنا لأمر دعاه الشعر المشثور ، فهو نثر مشعور لأنه لا يلتزم ترتيب
 المقاطع ، ومهمها سما فهو ضرب من السجع .

هذا كلام في غاية الوضوح ، لو كان كل انسان يعرف حده فيقف عنده ، ولكن اصغر
 من ينظم في عصرين ، يحسب نفسه شاعرًا مطبوعاً يعرف القانون ، وهكذا استوى اكبر الشعراء

مع أطفالهم في فهم العروض (وهل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون) ؟ فــكان لا بد من العودة الى درس القانون . وشرح النظام الياقعي لمن يجهلونه ، عسى ان يرتدع الذين يحاولون نشر الفوضى والتشویش بين عشاق الموسيقى والجمال ، في الشعر العربي .

ان المسألة بسيطة جدا ، لأن التوزين تعادل أجزاء الكلام أو الاصوات ، وتساوي مقديرها الزمنية اذا قوبلت بعضها جملة ، اما الواقع فهو توازن تلك الاجزاء مع انسجام تنسيقها بحيث تقابل بعضها ببعض ، جملة وقصيدة ، إن بين شطرين ، أو بين يتيتين ، أو بين غصتين على الاقل ، فــكل الكلام الذي ينظم وفق ترتيب ايقاعي مهما كان ، يتضمن تحفظ باب الشعر ، وكل كلام يخالف الترتيب والنظام ، يتضمن تحفظ باب النثر ، وكل عبارة في النثر لها وزن مهما كان ، فــإن تلتها عبارة تقابل وزنها كوتا مما مقابلة ايقاعية ، في الحدود التي تيزّها الآذان ، اما اذا تلتها عبارة لا تقابل وزنها ، فيظل الكلام ثرا ، وله جرأ ، واليــكم امثلة على هذا كله =

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول ، وهي المثل الثاني

هذا بيت تقابل شطرين ، صدره وعجزه ، أي تساوى الوزن فيهــما ، واستوت الرنة الايقاعية ، هذا حدث في لا يتوفر في اجدد النثر ، لــأنــخذ مثلاً فاتحة الكتاب الكريم (بــسم الله الرحمن الرحيم ، الحــمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم) فوزن الآية الاولى (فعلــن فعلــن فعلــن فاعــلان) ووزن الثانية (مستــعملــن فعلــن مستــعملــلــان) ووزن الثالثة (مفعــولــن فاعــلان) وكل ذلك نثر لعدم قيام المقابلة الايقاعية بين اوزان هذه الآيات .

فالشعر كــله كلام موزون تم فيه المقابلة الايقاعية ، اما النثر فــكلام غير موزون ، لــعدم قيام المقابلة الايقاعية بين عباراته ، فــلنا إذن هذا القانون (إن النثر كــله — وزن لا نظامي) وــميزان هذه العبارة (مفعــولــن مفاعــلن — مفعــولــن فــعلــان) فــهي نثر عادي ولا يمكن الادعاء بأنــها بــيت من الشعر لــعدم قيام المقابلة بين شطريــها .

ولكن اذا اعتبرنا الشطرين وحدة ، أي شكلاً ايقاعياً مستقلــاً ، وصفنا وحدة اخرى على الوزن ذاته ، لــتم المقابلة بين الوحدتين مثلاً (إن النثر كــله — وزن لــانــظــامي = فــباحث عن نظيره — في نظمــ الكلام)

ولو صفتــنا عجزــا ثــانياً على وزنــ الشطر الاولــ كــقولــنا (إنــ النــثرــ كــله — وزنــ غيرــ منسجمــ) لــكانــ بيــنــا منــ الشــعرــ ، كذلكــ لــوصــفــنا صــدرــاً على وزنــ الشــطرــ الثــانيــ ، كــقولــنا (فيــ بعضــ)

الكلام — وزن لا نظامي) لكان ايضاً بيتأ من الشعر ، ولتقابـل وزن الشطرين خلافاً لـ الكلام المـشور ، وبدون هذه المـقابلة لا يستقيم شـعر على الـأخلاق .

ولو أخذنا غصـناً أي قـدا ، مؤلفـاً من ثلاثة شـطورـ، أولـها من الرـمل ، والثـاني منـ الكلـامل ، والـثالث منـ مـجزـءـ الرـجز ، فـإن رـنةـ الـاقـاعـ لا تـظـهـرـ الاـ اذاـ اـتـيـناـ بـغـصـنـ ثـانـ عـلـىـ الـوزـنـ نـفـسـهـ ، مـثالـ ذـلـكـ .

١) — اعتـرـلـ ذـكـرـ الغـوـانـيـ وـالـغـزـلـ — فالـفـخـرـ لـلـأـنسـانـ طـولـ زـمـانـهـ — بـالـجـلدـ وـالـعـملـ .

٢) — إنـ طـرـحـ الـيـأسـ مـفـتـاحـ الـأـمـلـ — وـأـشـدـ منـ فـقـرـ الفـقـيـ وـهـوـانـهـ — أـنـ يـأـلـفـ الـكـسـلـ .

ولـكـنـ اـذـاـ اـسـتـبـدـلـنـاـ الغـصـنـ الثـانـيـ بـشـلـاثـةـ شـطـورـ عـلـىـ تـرـتـيبـ آـخـرـ ، كـأـنـ يـأـتـيـ اـولـهاـ منـ

الـكـاملـ بدـلـاـ عنـ الرـملـ ، وـالـثـانـيـ منـ الطـوـيلـ بدـلـاـ عنـ الـكـاملـ ، وـتـرـكــاـ الـثـالـثـ عـلـىـ حـالـهـ منـ مـجزـءـ الرـجزـ ، كـقـولـنـاـ بـعـدـ الغـصـنـ الـأـولـ =

٣) — واـضـرـبـ بـأـرـجـاءـ الـبـلـادـلـانـهـ — قـيـعـ بـنـ ضـاقـتـ عـنـ الرـزـقـ اـرـضـهـ — أـنـ يـأـلـفـ الـكـسـلـ .

اذـنـ لـكـمـ الـآـذـانـ الرـهـيفـةـ أـنـ الرـنـةـ الـايـقـاعـيـةـ فيـ هـذـاـ الغـصـنـ لـأـتـأـلـفـ مـعـاـ قـبـلـهـ ، وـبـهـنـهـ الـحـالـ يـكـوـنـ الغـصـنـانـ نـثـرـاـ ، لـعـدـمـ قـيـامـ الـمـقـاـبـلـةـ التـامـةـ بـيـنـهـاـ ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ اـنـ كـلـ عـبـارـةـ فـيـهـاـ ، شـطـرـ مـنـ

شـعـرـ سـلـيمـ ، فـلـنـاـ اـذـنـ هـذـاـ الـفـانـونـ : اـنـ عـدـمـ قـيـامـ الـمـقـاـبـلـةـ التـامـةـ بـيـنـ شـطـرـيـنـ اوـ

بـيـتـيـنـ اوـ غـصـنـيـنـ عـلـىـ الـأـقـلـ ، يـجـعـلـ الـكـلـامـ نـثـرـاـ .

وـقـدـ قـرـ شـطـورـ كـثـيرـ عـفـواـ اـثنـاءـ النـثـرـ ، فـلاـ تـسـتـفـلـتـ الـاسـمـاعـ وـلـاـ تـسـتـرـعـيـ الـاـتـبـاهـ ، لـذـكـ

لـاـ تـعـتـرـ شـعـرـاـ ، لـقـدـانـ الـمـقـاـبـلـةـ الـايـقـاعـيـةـ بـيـنـهـاـ ، وـبـيـنـ مـاـقـبـلـهـاـ اوـ مـاـ بـعـدـهـاـ مـنـ الـعـبـارـاتـ ، فـالـسـرـ

اـذـنـ لـيـسـ بـايـرـادـ شـطـرـ وـفـقـ شـكـلـ ايـقـاعـيـ ، وـلـاـ بـايـرـادـ بـعـضـةـ شـطـورـ عـلـىـ اـشـكـالـ مـتـعـدـدـةـ مـنـ

الـايـقـاعـ ، اـنـ السـرـ كـلـ السـرـ فـيـ قـيـامـ الـمـقـاـبـلـةـ الـايـقـاعـيـةـ ، سـوـاءـ بـيـنـ شـطـرـيـنـ فـيـ بـيـتـ وـاحـدـ ، اوـ بـيـنـ

بـيـتـيـنـ عـلـىـ الـأـقـلـ ، اوـ بـيـنـ غـصـنـيـنـ اوـ قـدـينـ ، كـمـاـ هـيـ الـحـالـ فـيـ الـموـشـحـاتـ ، فـهيـ دـيـانـمـ الـاـشـكـالـ

الـايـقـاعـيـةـ ، يـسـتـطـعـ كـلـ اـمـرـيـهـ اـنـ يـتـفـنـ فـيـهـاـ كـمـاـ يـشـاءـ ، فـيـ حدـودـ الـفـانـونـ الـمـذـكـورـ ، وـالـاضـنـاعـ

رـنـةـ الـايـقـاعـ ، وـبـاتـ الـكـلـامـ نـثـرـاـ مـسـجـحاـ .

* * *

بعدـ هـذـاـ لـاـ يـتـنـرـعـ اـحـدـ مـنـ دـعـاـتـ الـشـعـرـ الـمـشـورـ بـقـيـودـ اوـ حـدـودـ فـيـ الـشـعـرـ الـعـرـبـيـ ، فـاـشـكـالـهـ

الـايـقـاعـيـةـ غـيرـ مـحـدـودـةـ ، وـلـيـسـ فـيـهـ قـيـودـ خـاصـةـ سـوـىـ الـحـفـاظـ عـلـىـ تـرـتـيبـ الـمـقـاطـعـ ، لـأـنـ اـهـمـ هـذـاـ

الـتـرـتـيبـ يـجـعـلـ الـكـلـامـ فـوـضـيـ ايـقـاعـيـ ، ايـ نـثـرـ ، وـالـشـعـرـ وـالـنـثـرـ لـاـ يـجـتـمـعـانـ عـلـىـ سـطـحـ وـاحـدـ ،

فـلـاـ يـقـالـ شـعـرـ مـشـورـ اوـ نـثـرـ مـشـورـ ، فـيـ الـمـفـهـومـ الـمـنـظـفـيـ ، نـعـمـ لـاـ يـقـالـ نـظـامـ فـوـضـيـ ، وـلـاـ فـوـضـيـ

نظامية ، لا يقال نور مظلم ولا اعوج مستقيم ، فهل يرتفع دعاء الشعر المنثور بعد هذا البيان ؟
هل يهمنون بصربيح العبارات انهم يدفعون الناس الى الفوضى في الفن ، بدلا عن السمو بهم الى
عرش اجلال ، الذي لا يقوم الا على الترتيب والنظام . ولا يخفى ان الفوضى في الفن تؤدي الى
الفوضى في كل مظاهر الحياة ، لأنه اعمقها غوراً ، واباها اثرا ، هذه الفوضى تقود الى التبعية
لفنية في الشعر الافرنخي ، وبس المصير ، لأن الفن ذوق وشعور ، قوامه اعطاء القوس باريه ،
ووضع الشيء في مكانه .

لقد سمعنا بعضهم يقولون انهم ينظمون الشعر على التفعيلة الواحدة ، هذا هراء لا أساس له من الصحة ، لأنه لو قامت المقابلة الايقاعية بين كل تفعيلتين ، او كل مجموعة من تفعيلات مهماً كانت ، اذن ليدا جمال الايقاع في اقوالهم ، فكانت شعراً سليماً ، عندئذ لا حاجة بهم الى التستر وراء حجاب ، فما يسمونه شعراً متورأً ليس شعراً ، حتى ولا نثراً متيماً ، ولا جابهناهم بالحقائق التي بسطناها استقط في ايديهم ، وعجزوا عن الرد ، فاعتبروا بأنهم يسيرون في منظوماتهم على التوزين العددى ، شأن الافرنجى في بلاد الحضارة ، وكفى ببلاد الحضارة عند المغتربين بها ، والمشدوهين بسفطتها ، إماماً وبراًساً ، حتى في الشعر والتغم والايقاع ... مع أن هذه كلها كاتعلمون ، من روائع الفن العربي ، مهماً تلأعب بها أو قلدها التليفون .

وَمَعَ اَنْتَا نَشَكْ بِأَنْ مَنْظُومَاتِ اَصْحَابِ الشِّعْرِ الْمُشَوَّرِ تَخْضُمُ لِلنَّظَامِ الْعَدْدِيِّ كَمَا يَدْعُونَ ،
فَإِنَّا نَرِيدُ اَنْ تَبْثِتْ لَهُمْ بِمَثَالِ حَسْيٍ ، سَيَاجَةَ النَّظَامِ الْعَدْدِيِّ وَبِقَبْحِهِ ، اِذَا قَامَ بِينَ مَقَاطِعِ غَيْرِ مُتَسَاوِيَةِ ،
لِذَلِكَ اَخْدَنَا يَتَيَّنُ لِأَبِي الْمَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، مِنْ بَعْدِ الْحَقِيفِ ، فَاطْفَانَاهَا مِنَ التَّرْتِيبِ الْاِيقَاعِيِّ وَالْفَاقِيَّةِ ،
اِي اَنْتَ حَرْفَنَا وَزَهْنَهَا خَصِيَّصًا ، مَعَ الْحَفْظِ عَلَى عَدْدِ المَقَاطِعِ وَشَخْصِيَّتِهَا فِي كُلِّ شَطَرٍ ، لِأَظْهَارِ
الْفَاقِيَّةِ الَّتِي هَدَفَنَا إِلَيْها ، فَجَاءَ الْبَيَانُ كَمَا يَلِي ، وَالْوَزْنُ هُوَ فِي الْعَرْوَضِ وَالْمُوسِيقِيِّ :

(٣٦٢٤١) في الشطور

٢١٢٢١٢٢٢٢١٢ (في الشطر الرابع)

نوح بالك او صوت شاد تعنى	غير مجد في ملي واعتقادي
أضعاف افراح يوم ميلادنا	إن حزناني في ساعة الموت يبدو

فوزن البيت الاول من المخفيف (فاعلان مستعملن فاعلان) ولكنه غير مصرع ، فضاعت روعة القافية في مطلع القصيدة وبدا غيرها ،اما البيت الثاني فان صدره (اي شطره الاول) من الوزن ذاته ،اما عجزه (شطره الثاني) فين هر النسرين حوزنه (مستعملن مفعولات مستعملن) ،

ومع ان هذا الوزن يساوي بال تمام (فاعلاتن مستعملن فاعلاتن) من جهة عدد المقاطع ومددها الزمنية ، الا انه مختلف عن ايقاع الحنفیت بترتيب تلك المقاطع كما هو واضح ، فورود هذین الشطرين معاً في يتواحد ، او في قصيدة واحدة ، **يختلف النظام الايقاعي حتى تشمئز النقوس** مع انه لا يختلف النظام العددي الذي يتبعه الافونج ، واتم تعلمون ان العرب يسمون هذه الحالفة كسرأ ، وتشويفاً في الميزان وبيسو بجلاء ، ان كل شطر من هذين اليترين المخطمين يشتم على اثني عشر مقطعاً ، بصرف النظر عن ترتيبها ، لذلك ضاعت منها بحجة الاتقان ، واتم ترون جماله واضحاً حق الوضوح ، مؤثراً غاية التأثير ، من مقابله اليترين المخطمين بأصلهما السليم :

غير مجدى في ملي واعتقادي	نوح باك ولا ترم شاد
إن حزنًا في ساعة الموت اضعا	فسرور في ساعة الميلاد

وهكذا يتضح ان رنات الايقاع حساسة جداً ، وهي سرعة التغير والبدل ، ليس فقط بوضع تعيلة مكان آخر ، بل ب مجرد اضافة حرف متحرك او حذفه ، عندئذ تقلب الرنمة الايقاعية من بحر الى آخر ، فمن كان رهيف الحس يشعر فوراً بهذا الاقلاب ، ويتذوق الكبكة الايقاعية الجديدة ، ولا يخاطب بين البحرين ، ولو كان الفارق بينها حرفاً واحداً ، لأن هذه القرفة المفردة تجعل طابع الرنمة مختلطاً كل الاختلاف ، كما يختلف المليون عن البرتقال طماً وعطرأ ، او كما يختلف عنصر عن آخره ، بزيادة او نقصان ذرة سلبية ، مما يدور حول النواة ، مثال ذلك الايات الآتية من بحر الطويل =

سواي يهاب الموت او يرهب الردى	غيري يهوى ان يعيش مخلدا
اذا مد صرف الدهر نحوى كفه	حدثت نفسي ان امد له يدا
وابىء ايائى ان يراني قاعدا	لو أصبحت كل البرية مقعدا
وبجذف نقرة واحدة من الميزان ، تصبح هذه الايات من بحر السالم =	سواي يهاب الموت او يخشى الردى
غيري يهوى أن يعيش مخلدا	اذا مد صرف الدهر نحوى كفه
إن مد صرف الدهر نحوى كفه	حدثت نفسي أن امد له يدا
يابىء ايائى ان يراني قاعداً	لو أصبحت كل البرية مقعداً

فأين هذه الدقة الايقاعية من الشعر المشهور الذي يقيسونه بالسطرة ... كما قال احد القادة؟ ولعل التمرن على ادراك هذه الفوارق ، يولد في النقوس بصورة حقيقة عادة الشعور بالتناسب والترتيب والنظام ، وبادراك هذا الجمال الامانظور ، تنهذب النقوس وتتصقل ، وتصبح اكثـر

استعداداً للسمو والارتفاع ، هذه أهمية الفنون في تهذيب الإنسان ، وفي رقي الأمم ، لأن التعمق بالدراسات الفكرية والاتساع الفني ، يقود إلى التحرر والانطلاق والإبداع ، وإن الماء تتجه ويسير من الحاملين ، وعلى الأقل من الاتياع المقلدين ،

ولعل هذا الشرح يفي بالمرام ، وبين فضل الايقاع في الشعر العربي بطريقة عملية محسوسة لأن اختلاف ترتيب القراءات ، في كل شكل من اوزان الشعر التي لا تقصى ، يجعل الايقاع فناً واسعاً ، نستطيع بواسطته ان نسبغ على كل لون من المنظومات المتعددة روحاناً تنسابه ، وكما ان الرسام يعبر عن افكاره بالالوان والخطوط ، والموسيقار بالأغمام والاذوان ، كذلك يستخدم الشاعر نظام الايقاع ، لكي يساعد الالفاظ على ايصال فكرته ، والشعر ليس فقط فكرة فنية يتتركها في النفس ، لأن المفروض في النثر ان يكون كذلك ايضاً ، والا كان ضرباً من الهراء ، ذنب لافرق اساسياً بين الشعر والنثر الا بأن الاول منظوم على الايقاع ، والثاني مطلق منه ، وبعبارة اخرى (الشعر ترتيب مقاطع الكلام على نظام ما) و(النثر ايراد تلك المقاطع كيفما اتفق) ولا ثالث بين هذين الحدين .

وبما ان لكل شكل من الايقاع رنة خاصة ، وتأثيراً في النفس مختلف عن سواه ، يتوجب على الشاعر ان يختار لمنظومته ايقاعاً مناسباً ل موضوعها ، فتفوّى الفكرة الفنية به ، اما اذا نظم الشاعر فكرته على ميزان لاينسيباً ، فإنه يضيعها ويقلل من شأنها ، كمن ينظم قصيدة حاسية على ايقاع محزن ، أو كا انواع المظومات على وزن واحد .

وكما ان النقوس تجد في فضائل الازهار والاطيارات ، و مختلف المناظر والانفاس ، ما يثير فيها عواطف و افعالات كاملة ، فكذلك تجد في اشكال الايقاع المتنوعة ماثل مظاهر الحياة ، لأن المناسب البادي في العروض بتنسيق القراءات ، اي المقاطع على اختلافها ، يتألف مع التاسب لموسيقي الذي انتظم بقتضاه كل مافي الكون ، ومن منايا هذا التاسب انه يلطف الطبائع ، ويولد الهدوء والانفراح ، ويقوم النقوس ولا اثر لهنذ المزايا في التوزين الافرنجي ، الذي يستند الى تحديل القراءات بتوحيد مددها الزمنية ، اي بتطويل لفظ القصیر وتقصير لفظ الطویل ، حتى تظهر متساوية بالط والرص ، فالتوزين على هذا الاسلوب يبعث الفوضى والتشوش في النقوس بصورة لا شمورية ، عدا عن انه يقيد والتضيق ، بعكس النظام الايقاعي ، الذي يفيد التحرر والانطلاق ، باستقصائه جيم الصور والاشكال ، شأن سائر الفنون . هذه

هي مزية علم العروض في الشعر العربي ، وهذه هي صلته بالموسيقى ، فالي اين يهوي بنا دعاء
الشعر المنشور ؟ هل تراهم يجهلون هذه الامور ؟ وهل لهم عذر بعد هذا البيان ؟

يقولون انهم يتغرون التجديد ، والتجديد ارتقاء من الادنى الى الاعلى ، ومن الحسن الى
الاحسن ، ليس التجديد ارتداءً ، عن السمو الى الانحطاط ، وعن التقدّم الى التأخّر ، ليس
التجديد عدواً لـ عن النظام ، وانفاساً في الفوضى ليس التجديد بهدم اللغة ودنس الغريب ، فلقد بذل علماء
العرب كثيراً من الاتعب حتى وضعوا قواعد اللغة والعروض والموسيقى ، بعد ان مل الناس
من التخييب والفووضى ، فهل ترانا ملتنا النظام في الشعر والموسيقى ، وتذوقنا الجمال حتى كرهناه ، فقام
بيتنا من يجهرون بالرجوع الى الوراء ، والانهاس فيما خلصنا منه ، لاشيء سوى الكسل والاهمال
لاشيء الا لأنهم لا يريدون ان يكروا ويتبعوا كما فعل سوادم :

ومن طلب العلى عن غير كد أضعاع العمر في طلب الحال

* * *

نحن لدينا مقاييس وقواعد في فهم الجمال ، واذا فحصنا ما عرفناه منها في العروض والموسيقى ،
تفق باهتنا ، وتدرك اتنا اساتذة الدنيا في هذا الباب ، وما دمنا دائئراً نسعى الى الحق ونخب
الجمال ، فليس على الامر ، الا ان تخذلنا حذونا وتتبع ما عندنا ، فالرجوع الى الحق فقط يتم
تقارب الاذواق ، والتفاهم بين الامم على اساس سليم .

ان المتادين بالرجوع الى الوراء ، والارتداد الى الفوضى ، في الشعر والموسيقى ، باتباع
التعديل الخاطئ ، افادهم زمرة مبتدئين ، تعوزهم قواعد اللغة واصول الفن ، ويفقرن الى
كثير من المفردات ، حتى يستقيم لهم صوغ عبارة صحيحة ، إن آذانهم ترنج بين سليم الوزن
وفاسده ، ومع ذلك ينصبون افسهم اساتذة ومرشدين في دروب يجهلونها ؟ يحاولون ان يسروا
على غير هدى ، وهم لو كبدوا افسهم شيئاً من العناء بالتصعيد نحو القمة ، إذن لارتدعوا من
تلقاء افسهم عن التسكم في المخضات ، ولم يتذرعوا بالدعوى الفارغة ، ولم يلجموا الى التوزين
العديدي بين المقاطع المتباينة ججماً وطولاً ، كمن يضع الطفل والولد ، والشيخ والفتى في مستوى
واحد ، فلا يتذرع احد باقباس الواقع او لغة الموسيقى عن الافرنج ، فليس كل مايفعلونه او
يجيئون به ، بالحسن الجليل ، وليس كل ما عندنا يستوجب التعديل ، ان علام النفس وجاعة
الأذكياء ، يدركون الى أين تقضي بنا هذه الاوهام ، فما علينا الا ان تكون سدنة للحق والجمال ،
علينا ان ندافع عنها ، وان نسعى لتعيمها في الدنيا باسرها ، هنا هو فخرنا يوم توزن المواهب
وتتألأ الكفاءات ، هنا هو تأثيرنا في الانسانية .

نحن أصحاب حس رهيف في فهم الحق والجمال ، فاخر باتباعها انى وجدناها ، بينما يسير غيرنا في طرق ملتوية غير آبه لها ، من هذه البؤرة تتفدج جميع متاعب البشرية وآلامها ، فعلينا اذن ان نبذل منتهى الجهد ، حتى نغير الافرنج الى الحق والجمال ، في العروض والموسيقى على الاقل ، لا ان نتجز وراءهم الى القبح والتشویه ، الى الفوضى والاضطراب .

واذا لم يتفق البشر على ترتيب مقاطع الكلام وفق نظام مهما كان ، يأتهم باشكال لاتخصى من رنات الايقاع ، بحيث تختار كل امة ، بل كل فرد ، مايلائمه ذوقه حسب احكام ذلك النظام الشامل ، فعلى اي خلاف يمكن ان تتفق الامم ؟ هل تراها تتفق على توحيد المغات ؟ أم على الخلافات العقائدية ، أم على الانظمة الاجتماعية وغيرها مما يسبب خلافاً وفرقه بين الشعوب ؟ هذه درجات عالية في سلم السلام ، بالنسبة الى الاتفاق على الايقاع والانقام ، وفق احكام معروفة حدتها الطبيعة ، كما تفعل نحن وبعض الشعوب الشرقية .

واذ قد فتحنا الباب على مصراعيه ، واتينا بحث يؤدي تشريحه الى فهم الحقيقة في هذه الناحية ، فهل ترى يقبل به من يعنفهم الامر ، ام انهم يدافعون عن وجهة نظرهم ، يجدل عقيم ومقاتلات لاتنتهي ؟ اذا كان هذا قصدهم ، فما عليهم الا ان يلجاجوا معنا الى محكمة فنية ، ماعليهم الا ان يختاروا ممثلين عنهم امام محكمة من الشعراء والموسيقيين ، تعينها السلطة المختصة ، وانني على استعداد للدفاع عن رأيي بالاشتراك مع الذين يؤمنون به ، او يوافقون عليه .

* * *

اما الذين يخالفون هذه الآراء ويشنون حرباً علينا تحت ستار التطور والتجميد ، فإن الامة لهم بالرصاد ، وهي تعلم اتنا راغبون اكثر منهم بالتطور والتجميد ، ولكن لاتجديد في التواميس الثابتة ، لاتجديد في تعاقب الليل والنثار والصيف والشتاء ، أفالمل منها او تلك المجددون ؟ قد يقولون انها تواميس طبيعية ، فلا سلطان لهم عليها ، وهم على قبولها مرغمون ، عندئذ نرد عليهم بان قوانين العروض والموسيقى موجودة في الكون كناموس الجاذبية او دوران الكواكب ، اتها تشبه ارجاء الارض فلا جدید فيها ، واما كنا نجهل بعضها فلنبحث عنه ، وسوف يدرك الباحثون بعد طول العناء ، ان لا جدید في لغة الموسيقى ، ولا في ترتيب اشغال الايقاع ، كل ذلك افتئات على احكام الطبيعة التي لا تقبل التعديل ، فهو يأخذ المخالفون بذلك الاحكام ام تراهم يتمردون ؟

ان التجديد الذي نبحث عنه ونجده ، هو التجديد في المواضيع هو البحث عن افكار بعيدة ، تنفع امتنا والانسانية جماء ، التجديد هو التفنن في اساليب عرض الفكر ، لافي تهديم

قوانين الطبيعة فهي ازلية ابدية ، فلتذكر ولنبحث عن الاسرار ، ولنأخذ عن اية امة مانشاء من المواضيع والافكار ، فهي حرة مطلقة للانسانية جماء ، تظهر تارة ثم تعود الى الخفاء ؟ في ناحية دون اخرى ، ولا جديـد تحت الشمس الا باعتبار ما هو معروف عندنا او غير معروف ، مأـلوف او غير مأـلوف ، في هذه الناحية تبـدـلـناـ الـافـكـارـ معـ كـثـيرـ منـ الـامـ ، ولا زـالـ بـحـاجـةـ الىـ اـفـكـارـ جـديـدةـ فيـ النـوـاـحـيـ الـادـيـةـ وـالـاجـتـمـاعـيـةـ ، الـعـلـمـيـةـ وـالـفـنـيـةـ ، الـاـنـسـانـيـةـ وـغـيـرـهـ ، وـنـحنـ عـلـىـ اـسـتـعـدـادـ لـلـفـزـيـدـ مـنـ التـعـارـفـ وـتـبـادـلـ الـعـلـومـ الصـائـبـةـ مـعـ جـيـعـ الـأـمـ ، فـالـعـلـمـ وـالـفـنـ لـاـ يـعـرـفـاتـ جـنـسـيـةـ وـلـاـ وـطـنـاـ ، لـادـيـاـ وـلـاـ لـغـةـ .

اما اساليب عرض الفكر والاساليب الانشائية الشكلية ، فهي ايضاً حرة مطلقة ، يمكن اقتباسها بلا لوم ولا تربـ، وـنـحنـ بـحـاجـةـ إـلـىـ الـفـنـ الـلـامـتـاهـيـ فـيـ هـذـهـ نـاحـيـةـ ، هـذـاـ هـوـ التـجـدـيدـ الـذـيـ لـاـ حـدـ لهـ ، وـلـاـ مـحـذـورـ مـنـهـ ، لأنـ عـرـضـ الـفـكـرـ كـعـرـضـ الـجـوـاهـرـ وـالـازـهـارـ بـفـنـ جـذـابـمـثـيرـ ، وـبـوـاـبـهـ وـاسـعـةـ جـداـ ، وـالـافـكـارـ تـعـرـضـ عـاـلـيـصـىـ مـنـ الصـورـ وـالـقصـصـ وـالـاشـمـالـ ، هـنـاكـ المـجازـ وـالـكـنـایـةـ وـالـاسـتـعـارـةـ وـالـتـشـيـيـهـ ، هـنـاكـ الـاسـالـيـبـ الرـصـيـنـةـ وـالـسـاخـرـةـ ، الـمـفـرـحةـ وـالـخـزـنـةـ ، الـثـيـرـةـ وـالـخـدـرـةـ ، الـواـضـحـةـ وـالـمـهـمـةـ ، وـهـلـ جـراـ ، وـهـنـاكـ الـاسـالـيـبـ الـواـقـعـيـةـ ، وـهـيـ عـرـضـ الـفـكـرـ بـمـاـ هـوـ مـنـهـ ، وـالـرـمـزـيـةـ ، وـهـيـ عـرـضـ الـفـكـرـ بـعـاـلـيـسـ مـنـهـ ، إـلـىـ آـخـرـ مـاـيـنـ هـذـينـ الـأـسـلـوـبـيـنـ مـنـ درـجـاتـ تـقـرـبـ مـنـهـاـ اوـ تـبـتـعـدـ عـنـهـاـ ، وـكـلـ هـذـاـ التـفـنـ لـاـ يـخـرـجـ بـالـشـعـرـ الـعـرـبـيـ حـتـىـ يـصـبـحـ أـجـنبـيـاـ . وـلـاـ بـالـموـسـيـقـيـ الطـبـيـعـيـ حـتـىـ تـصـبـحـ غـرـيـةـ عـنـاءـ وـلـكـنـ الـخـرـوجـ بـالـشـعـرـ عـنـ تـرـيـبـ المـقـاطـعـ الـظـاظـاميـ وـعـدـهـاـ بـدـوـنـ الـفـاتـاـتـ إـلـىـ قـيـمـتـهاـ الـزـمـنـيـةـ ، يـنـقـلـهـ مـنـ النـظـامـ إـلـىـ الـفـوـضـيـ ، كـاـنـ الـخـرـوجـ بـالـموـسـيـقـيـ مـنـ الـانـقـامـ الـطـبـيـعـيـ إـلـىـ الـعـدـلـةـ يـخـرـجـ بـهـاـ مـنـ الـجـمـالـ إـلـىـ وـالـتـشـوـيـهـ ، وـلـيـسـ هـذـاـ الـأـرـتـادـ تـجـديـداـ مـسـتـحـجاـ ، بـلـ تـشـوـيـشاـ مـسـتـقـبـحاـ ، وـالـخـدـارـاـ فيـ الـفـنـ مـاـ بـعـدـهـ الـخـدـارـ .

هـنـاكـ اـذـنـ تـجـديـدانـ كـاـذـبـ وـصـادـقـ ، فـالـأـوـلـ هوـ شـوـيـضـ نـوـاـمـيـسـ الـحـقـ وـالـجـمـالـ فـيـ الـشـعـرـ وـالـموـسـيـقـيـ ، وـالـثـانـيـ هوـ التـحـسـينـ وـالتـنـظـيمـ ، هوـ التـشـيـيدـ وـالـبـنـاءـ ، باـكـشـافـ الـمـوـاضـيـعـ وـالـافـكـارـ وـالـتـفـنـ فـيـ اـسـالـيـبـ الـعـرـضـ وـتـخـسـينـ الـاـتـاجـ ، وـاـذـاـ كـانـ بـعـضـ الـأـدـبـاءـ ، وـهـمـ مـنـ الـمـتـقـنـينـ ، لاـ يـتـورـعـونـ عـنـ اـتـابـ الـتـجـديـدـ الـسـكـاـبـ ، وـنـثـرـ الـشـعـرـ الـخـلـمـ بـتـعـدـيلـ مـقـاطـعـ الـايـقـاعـ بـالـحـطـيـ الـمـساـوـيـ ، فـلاـ لـوـمـ اـذـنـ عـلـىـ الـمـوـسـيـقـيـنـ ، وـجـلـهـمـ مـنـ اـصـحـابـ الـمـوـاهـبـ الـفـطـرـيـةـ ، اـذـاـ عـجـزـوـاـ عـنـ صـدـ تـيـارـ الـمـوـسـيـقـيـ الـعـدـلـةـ ، المـنـدـفـعـ خـوـنـاـ مـنـ الـبـلـادـ الـاجـنبـيـةـ ، بـفـضـلـ بـعـضـ الـمـتـفـرـجـيـنـ مـنـ اـبـنـائـنـاـ ، فـلـنـدـفـعـ عـنـ اـذـنـ هـذـهـ الـتـبـعـيـةـ ، لأنـ الـعـاـيـ وـالـمـوـاضـيـعـ وـالـاسـالـيـبـ عـرـضـ الـمـوـسـيـقـيـ مـهـماـ سـمـتـ ، تـقـدـمـ رـوـعـتـهاـ بـتـعـدـيلـ الـاـنـفـامـ وـاـشـكـالـ الـايـقـاعـ ، اـذـاـ تـضـارـبـ بـيـنـ الـجـمـالـ الـعـنـويـ وـالـجـمـالـ الـمـادـيـ ، فـيـكـنـاـ اـنـ نـطـلـ الـأـوـلـ دـوـنـ اـنـ هـمـلـ الـثـانـيـ ، وـلـيـسـ عـلـىـ هـذـاـ الـعـصـرـ اـمـرـ مـسـتـحـيلـ .

والآن بعد أن عرفتم تجديد ادعىاء الفن ومحترفيه ، تدور كون فوراً أئم
شرذمة من المتشاعرين والموسيقيين المقلدين ، مبتلة بداء السطحية ، ضعيفة في اللغة
وعلومها ، بعيدة عن التحسس الفطري بصفاء الانقام ضعيفة في اساليب عرض الفكر والتميز
بين ونات الايقاع ، فئة ضالة مضللة ، تحارب بشدة بدائئع العروض ، لأنّه يحصل
المبتدئين عن السقوط في الاخطاء ، وتحارب فلسفة الموسيقى لأنّها تفضح قيادة التعديل ، وترشد
الناس الى الحق والجمال ، ورحم الله من قال =

اذا كنت لا تدری فتاك مصيبة
وان كنت تدری فال慈悲ية اعظم
ان البلاد العربية ملأى بن يتذوقون الشعر والأدب ، ويميزون بين صحيحه وفاسده ،
مع ذلك نرى دعاء **الشعر الاعوج الجائع** ، يعلمون صبح مساء على افساد ذوق الجمهور ،
وليس من قوة فعالة توقفهم عند حدث ، فكيف تكون حالتنا في الموسيقى وادعياؤها كثيرون ،
وتجارها المتغرون أكثر وأكثر ، بينما عاملوها أقل من القليل ، ان اولئك المتعفين يحاولون جر
الأمة العربية الى التبعية الفنية في الموسيقى ، وليس هذه التبعية سوى تقليد الافرنج بالاصوات
المعدلة ، والاقلام المشوهه ، ان هذا التعديل المشؤوم يشبه تعديل اشكال الواقع في الشعر
ملحوم ، ان لم يكن اشد وطأة وابلغ تأثيراً ، لأن الاقلام المشوهه تفسد التفوس بصورة
لا شعورية ، اما الاوزان المحظمة فان عد المقاطع وفحصها يمحكم بأمرها ويدعي فسادها .

ولو كان الافرنج على حق في تعديل الانقام الطبيعية لتبناهم لأن الحق محرر والضلال مستبعد ، ولكن الحق مع العرب ، ونحن لسنا على استعداد لاتباع الخطأ ونبذ الصواب ، فالاجدر بال Afranj اقليم ان يبنوا الخطأ ويتبعوا الصواب ، في اوزان الشعر النظمية وانقام الموسيقى الطبيعية ، هنا اذا كانوا حقاً يريدون ، ثم واتباعهم ، ان يقفوا في جانب الحق والجمال ، والفهم والانصاف ، وانني على استعداد لاقناع علماء الشرق والغرب ، فليتقدم من يشاء للدحض أقوالنا ، والا كانت قانون الفن العالمي ، حاربه المعارضون فأنكروه ، وهم عما قريب سوف يقدسوه .

من أدب الوجودان



بقلم : عبد المعين الملوي

باب السوق يتهدّم .

انه اليوم وبعد مئات السنين يسابر ركب العمran فيتوارى من
حص ليفسح الطريق الى بناء جديد، انه وهو الحجر فهم مالم يفهمه كثير من البشر .
مررت به أمس وقد انها دكاناً بعد دكان ، وسقفاً بعد سقف ،
وجداراً بعد جدار ، فامسك بي وقال لي :

تعال فاسمع قصتي فطالما حدثت بها هؤلاء الناس الذين مروا بي بأعلى
صوتي فلم يسمعوا اقولي ، ونظروا الي في اشمئزاز يخافون ان يأوثوا بغيري ثيابهم .
كنت امرأ يحب أن يسمع ولا يحب أن يتكلم واعجبني أول
حديث السوق ، فتخطّيت الحجارة واجتزت التراب وجلست فوق حجرة
بيضاء كبيرة بروز بعضها يتنفس الهواء وبقي اكثراها مفروزاً في الأرض :
الخرائب تقد من كل جانب ، وكأن ما بقي منها يستأذن بالرحيل ،
 فهو يضع يدأ على الأرض ، ويمد يدأ في الهواء ، وهنالك عمال يصدعون على

سقف دكان وينهالون بالماول فتسمع زجل الاحجار التساقطة ، وهنا وهناك تتناثر الطناب تحمل الاحجار والتراب الى مكان ما ليتمهد الطريق الى قصر ما ، والناس في الشارع الضيق الذي زادت في ضيقه اكواخ الاربة حتى كاد ينسد ، يروحون ويغدون ويتدافعون ويتصادمون عامدين وغير عامدين ، وباعة الحلوى الذين أقاموا حصونهم فوق الحجارة ينترون هذا ويلفتون اتباه ذاك ويسحبون صدور الحلوى خشية ان يعثر بها ذلك ، والى الشرق بدا صحن الجامع الكبير ورواقه الصيفي وقد ضربت الشمس حجارتة فلمعت ، والى عينيه اشرأبت مئذنته عالية تنظر الى الناس الذين يبدون في هذه المدينة — المقبرة في شموخ وكبراء تراهم صغاراً صغراً ويرونها سامة ناحلة .

وسكّت الصخرة فلم تتكلّم .

ودقت الساعة المتّصبة أمامي الساعة الواحدة وانا ما ازال أضرّ بها ييدي أسأّلها وأختى أن يراني أحد فيعرفني فيقول ما يقول ، والصخرة تلتزم الصمت فتزيد في اصراري وعنادي .

وخيّل اليّ أنّي طفل صغير يسأل جدته العجوز قصّته طعام ليلته ، وجدته لا هية عنه بصلاتها ثم هي لا هية عنه بسبحتها الطويلة ذات الالف حبة وجبة والطفل يسكي ويطلب الحكاية لا ليسمعها كلها فطالما سمعها ، ولكن لكي ينام على نبرات صوت العجوز المتهيج الذي يصفر صفيرًا من بين توالى الاسنان ، وكدت أبكي كما يبكي هذا الطفل ، وإذا الصخرة تنبّح بحديث طويل .

قال العجوز :

كنت منذ أربعة آلاف سنة زاوية من زوايا صخرة بيضاء كبيرة قائمّة على سفح جبل في الهرمل تطل على نبع العاصي وطالما تشوّقت الى أن أرشف من مائه هذا المذهب السلسلي وطالما وردت الى قمة الصخرة جماعات الزائرين لهذا النبع وطالما سمعت في الليل حديث عاشقين فرحاين بصباهم ولقاهم ، ينسكب مع

أشعة القمر فينساب على جسدي فارتجف لذة وطرباً ، وطالما سمعت في الليل صدى
قبلتين يتردد في سقسة الجدول ويضيّع بين حفييف الاغصان فاهتز حنيناً ولوّعة .

وما هي الا قرون حتى ابصرت جماعات من العبيد يشون الى ، والسياط
تلعب أجسامهم العاريات القائمات والعرق يتتصبب على جبينهم فيملاً أفواههم ومن
على صدورهم فيليل أقدامهم ، واقترب هؤلاء مني يحملون الفؤوس والماواعل وسمعتها
تضرب أقدام الصخرة ضربات اليأس والانتحار ، ثم رأيتني انحدر الى الوادي
فاقتلع في طرق شجرة أو شجرتين واكسر اغصانها واجرف في طريق عبداً
أو عبدين فاسحق عظامهما مسحقاً .

ورأيتني أحمل الى حصن حملاً . ثم يأتي نحات ماهر فينفتح على سطحي
عنقوداً من العنب ، ثم أراه يركع لي في خشوع واسمه يدعوني في ضراعة :
باخوس ، يا الله الحمد . أضرع اليك ان تمن على كرومنا بالماء والبركة .

ومضت قرون وقرون فإذا أنا أحمل مرة أخرى الى يد نحات ينقش على
سطحي صليباً فوقه ابن الانسان يتلوى ألمًا وينزف دماً ، ثم أراه يركع لي في
خشوع ، ثم اسمعه يرجوني في ضراعة :

انت يامن اشتريت آثامنا بدمك ، ادخلنا في ملكوتكم ، يا يسوع رب ،
ومضت قرون وقرون فإذا أنا أرى رجلاً يقترب مني ثم يصعد علي وينادي:
الله أكبر ، الله أكبر .

ومضت قرون وقرون ، وإذا أنا أحمل الى جانب طريق وترصف الحجارة
فوقى ويمتد فوقى رواق ذو عقود وإذا أنا أصبح جداراً في دكان .

ومنذ ذلك اليوم فاسيت اشد الآلام . كنت استيقظ عند الصباح على
صرير الباب يفتح ، وأنام عند المساء على صرير الباب يغلق واظل بين هذين الصريرين
بحنونا او كالجنون ، ولكنه بحنون يشعر بحنونه وشقائه ، وأشد ما يعانيه الكائن
ان يحن وان يكون محظياً بشعوره في أخطر مراحل جنونه .

كنت أسمع في كل يوم الف يمين غموس يحلفها أصحابي واحدا بعد واحدا
وهم يكذبون ويأثرون .

ولقد مر بي مئات من البائعين : من تجارة وأصحاب حرف ، من باياع
اقشة الى عطار ، ومن صانع اقفال الى نجار ، مر واي وقد دخلوا حياة العمل
وهم شباب ، ومر واي وقد حملوا الى المسجد ليصلوا عليهم وهو أموات ولقد كانوا
اذا مروا بي وقفوا نعوشهم قليلا ، فقد تذكروا في هذه الدكان شواهد عدوا
تشهد عليهم يوم القيمة ولا تشهد لهم ، ولقد تذكروا ان في هذه الدكان حجارة
تمنى ان تكون يوم القيمة وقودا لجهنم ولا تمنى ان تبقى جدارا للدكان .

كنت افتح عيني على الكذب واغلقها على الكذب ، واظل يان افتحها
واغلقها حملقة في الكذب .

افتتحها على صاحب الدكان يحلف بالله انه قد خسر في بيته ، واغلقها على
صاحب الدكان يحلف بالله انه لم يستفتح نهاره ذاك ، واظل اسمع صاحب الدكان
يشتم جاره هذا مرة وجاره ذاك مرتين ، ويحتج المرأة العابرة بنظره كلها فجور
ويتبرأ السائل العجوز بالفاظ كلها لعنات ، ويدعده فيبعث بمقابل الفلاح المسكين
ويرميء الى الارض ويزعم انه لا يعرف من رماه ويطفف الميزان فإذا وزن الناس
اخضر وإذا وزن له الناس استوفي ، ولربما كنت حينا مطمورة محشوة بالذهب
والفضة ويأتي صاحبي ولده العاري يطلب منه لباسا يواري به سوءته فيحلف له
انه لا يملك القطمير ، وزوجته الحائنة فيحلف لها انه جائع مثلثا ، اما الفقر
فيحلف له انه أكثر منه فقرا .

منذ قرون وقرون وأنا اكاد اخزق بؤسا وألما ، ولربما تحركت وقد سمعت
الأقسام الكاذبة أريد ان احطم نفسي ويتلفت صاحب الدكان يظن ان فأرا قد انتقل
من حجر الى حجر . ثم أسكن وأشقى .

* * *

وجعل الحجر يتحدث ويتحدث وأنا اصني وأصني ، وإذا أنا اسمع عاملًا يقول لي من فضلك : نريد أن نقتلع هذا الحجر وخيالي وأنا أقفز من فوقه أنه يريد أن يلحق بي : ماذا يريدون ان يفعلوا به ؟

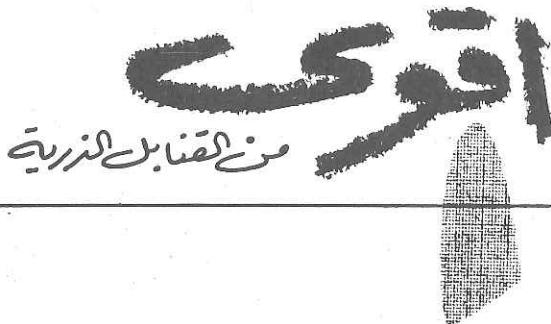
تركك الحجر وسرت وأنا أقول :

رب حجر كان أكثر لينا من ضمير .

وتركت السوق المتهدمة ، وهي تقول : رب سوق ، كانت أكثر إحساساً ب نهايتها من جيل .

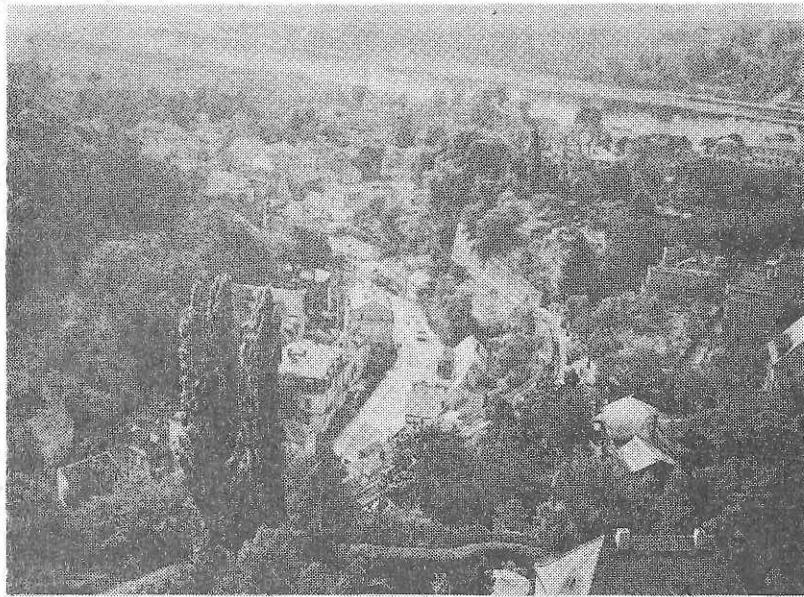


من خواطر الأسفار



بقلم: جلال فاروق الشريف

كان ذلك في نهاية الصيف الماضي . كنا ثلاثة نتناول قهوة الصباح في لوizen هوف Luisenhof . مثقف الماني شاب ، ومدرس في كلية الطب في احدى جامعات رومانيا ، وانا . ولوizen هوف مطعم الماني معروف في ضاحية « فايسر هيرش Weisserhirsch » في درسدن . والمطعم والضاحية اشبه شيء بقهى انيق معلق في قمة جبل في احدى قرى الاصطياف في لبنان بين الارز والصنوبر . كانت درسدن ترى راقدة امامنا في الاسفل بين ضفتى نهر « الالب Elbe » الفادم من براغ بعد مسیر لا يتجاوز المائة كيلو متراً وبالندر الميسير ، والذي كان عليه ان يختار المانيا كلها تقريباً صاعداً نحو الشمال كي يصل الى هامبورغ ويصب في بحر الشهاب . بين الفينة والفينية كانت عيوننا تتعلق ونحن نتأمل المدينة المسترخية في احضان النهر بالخلفية الكهربائية



نهر «الاَلْب» في درسدن كما يبدو من ضاحية «فايسرهيرش»
 وهي تسلق الجبل قادمة نحونا من الاسفل ، من درسدن . التفت الى صاحبي
 الالماني على حين غرة وقال :
 — بأي شيء تفكرون ؟
 قلت :
 — لا افكر بشيء محدد . غير ان اسم «سان ريعو» هناك قد لفت
 نظري . واثررت يدي الى فيلا جميلة على مرتفع صغير الى جانبها كانت الحافلة
 الكهربائية تزحف قريبا ببطء . بين السطوح الخروطية للفيلا المقاطعة بالقرميد الاحمر
 كان ينتصب برج صغير يمتد الى جانبه اسم «سان ريعو» . بدا لي الاسم الايطالي
 غريباً هنا في صميم المانيا بين الاسماء الالمانية التقليدية المفرقة في طابعها السكسوني
 والتي كانت تقع سمعي وبصري اينما ذهبت :

ابتسم صاحي الالماني وقال .

— انه اسم غريب حقاً . ان القلة من اهل الضاحية كانت تعرفه . اما بعد ليلة ١٣ شباط من عام ١٩٤٥ فان احداً من اهل درسدن الذين يبلغون نصف مليون نسمة لا يستطيع ان ينساه . انه منحوت في ذاكرة ملايين عديدة من الالام .

* * *

اذا ما اجترت جسر « اوغست » القديم على « الالب » الذي يصل ما بين شطري درسدن قادماً من ضفته الشرقية ، فستجد نفسك في ساحة « اوغست » التي أصبحت تدعى اليوم ساحة « ديتروف » امام « آلت شتات Alststat ». وآلت شتات هي مفخرة درسدن التاريخية . انهـا « المدينة القديمة » او مجموعة القصور الرائعة لاجيال من ملوك سكسونيا وامراها . أنهاـا يـة في فن العمارة والهندسة و بما احتوته في ساحتها وابهـا وحدائقها من اللوحـات الفـنية والتـمثـيل والـذـكريـاتـ التي تمثل مرحلة مجـيدة من ازدهارـ الفـنـونـ في عـهـودـ مـلـوكـ سـكـسـونـياـ . واذا ما اجترت ساحة اوغست متـجـهـاـ نحوـ الـيمـينـ فـستـجـدـ نفسـكـ فيـ سـاحـةـ اـخـرىـ يـقـومـ فيهاـ مـثالـ لاـ حدـ مـلـوكـ سـكـسـونـياـ انـهاـ سـاحـةـ الاـورـاـ التيـ يـقـومـ عـلـىـ طـرـفـهاـ المـلاـصـقـ لنـهرـ الـالـبـ مـقـصـفـ « القرـبةـ الاـيـطـالـيةـ Dotschen Italienisches » وهوـ منـ المـغـانـيـ المعـروـفةـ فيـ درـسـدـنـ . وـعـلـىـ الـطـرـفـ الـاـخـرـ منـ سـاحـةـ الاـورـاـ يـقـومـ قـصـرـ « تسـفـنـغـ Zvingrـ » اوـ عـلـىـ الـاـصـحـ بـمـجـمـوعـةـ قـصـورـ تسـفـنـغـ التيـ تـحـولـتـ الىـ مـتـحـفـ منـ اـشـهـرـ المـتـاحـفـ العـالـيـةـ وـالـتـيـ تـضـمـ يـاـنـ جـدـرـ اـنـهاـ « غالـيرـىـ » درـسـدـنـ الشـهـيرـ اوـ مـتـحـفـ درـسـدـنـ لـلوـحـاتـ الفـنيـةـ الـذـيـ يـقـفـ اـلـىـ جـانـبـ اـعـظـمـ المـتـاحـفـ العـالـيـةـ بـاـيـ يـحـتـويـهـ مـنـ اللـوـحـاتـ الشـهـيرـةـ لـكـبـارـ الـفـنـانـينـ الـعـالـيـينـ الـكـلاـسـيـكـيـنـ اـمـثالـ « رـامـبرـانتـ » وـ « فـانـ دـايـكـ »

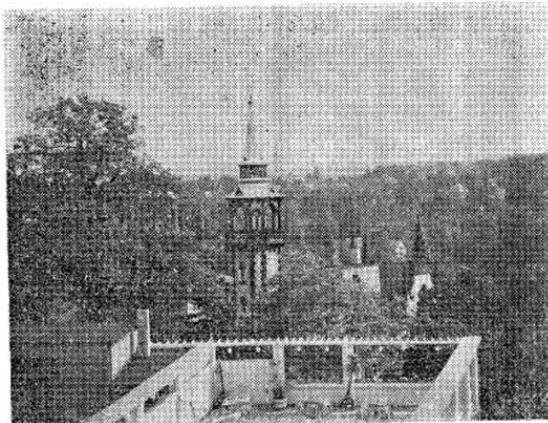
و « روبنس » وغيرهم . كل هذا بالإضافة إلى متحف آخر تاريجي و متحف لروائع البورسلان و متحف للفضيات .

خلف قصور تسفنغر يقع مباشرة قلب مدينة درسدن . وإذا ما دخلت إلى المتاحف من ساحة الاوبر فأنك تستطيع إذا ماسرت على خط مستقيم أن تخترج من « تسفنغر » بعد أن تجتاز الجسر الأثري المقام على خندق الماء المحيط بالقصر ، ليجد نفسك أمام دار المسارح « شاوشبيلهاوس Schau Spiel Haus » المطلة على ساحة « مارتن لوثر » حيث تقوم أطلاال كنيسة النساء . ومن ساحة لوثر حتى ساحة « آلت ماركت » أو السوق القديمة يمتد شارع فسيح يحاذى طرف « آلت شتات » قفر إلا من أبنية متباشرة . ومن « آلت ماركت » يمكنك التوجه مباشرة إلى « هاوبت بانهوف Hoapt. Bahnhof » الخط الكبرى أو الرئيسية في درسدن في أرض عراء يدهشك وجودها في قلب المدينة و يبعث في نفسك العجب . وفي منطقة السوق القديمة التي كانت ذات يوم قبلًا ينبض بالحركة يقوم جمع من المباني تمرّكز فيه الحركة التجارية . إن الـ « كونسوم Konsum » والـ « H. ٥ » هما النوعان من المؤسسات التي تصرف شؤون التجارة الداخلية و يبيع السلع . أما الكونسوم فهي تعاونية الاستهلاك التي تضم جميع محال البقالة وغيرها . وأما الـ « H. ٥ » فهي المنظمة التجارية التي تدير الفنادق والمطاعم والمخازن الكبرى هي « Handles. Organisation » وفي هذا الجمع يمكن ان تجد كل ما تريده شراءه من درسدن . وفيها « مقهى براغ » وهو من أشهر ملاهي درسدن .

* * *

عندما اقترب منها رئيس الخدم الوقور همس صاحبي يناديه بادب :
— « هر أوبر ... لها المعلم .. ثلاثة فناجين من الموكا Moka . والموكا
هي القهوة المصنوعة على الطريقة المتبعة عندنا ، والتي يسمونها أيضًا القهوة التركية .

برج
فيلا
سات
ريو



ثم التفت الي يقول :

- لقد عاشت درسدن في ١٣ شباط من عام ١٩٤٥ ليلة رهيبة لا يمكن ان تنساها . ان قرابة مائة الف نسمة ذهبت ضحية غارة جوية رهيبة غير متوقعة شنتها عليها القاذفات الاميركية في تلك الليلة ولما يسبق انتهاء الحرب العالمية الثانية غير اسابيع قليلة .

لقد خلت بلدنا الوادعة طيلة سنوات الحرب بمنأى عن القتال والغارات الجوية . انها مدينة جمال الطبيعة والمدورة والواحدة التاريخية والفن قبل كل شيء . وهي بالإضافة الى هذا في اقصى الجنوب الشرقي من المانيا أي في الركن القصي الذي لم تصل اليه الحرب .

ولقد جعلها موقعها هذا محط انتظار جميع المهاجرين من اهوال القتال فازدحمت باللاجئين الذين زحفوا اليها من كل مكان . ولقد عاشت على هذا الامل امل النجاة من الكارثة أعوام الحرب كلها وعندما أقبل عام ١٩٤٥ وبدا ان الحرب قد اقتربت من نهايتها أخذ أهلها يتৎفسون الصعداء . فالكاروس الرهيب

الذى عاشوا فيه أخذ ينحسر . وفجأة وبدون سابق انذار جاءت الضربة القاتلة التي طلوا السنين اقاسية بمنجاة منها . في تلك الليلة المظلمة من ليالي الشتاء كرت على المدينة الماجحة مئات القاذفات تذهب وتحبى وتلقى عليها بحمها الحيفة فتحيل بردها القارس الى جحيم حقيقي وليلها الدامس الى نهار أحمر .

وتتابع صاحي الالماني حديثه قائلاً :

— لا يوجد حتى الان احصاء دقيق لعدد ضحايا الغارة الرهيبة . غير أن كل احصاء اجري قد اعترف بان العدد لم يقل عن المائة الف نسمة . وعلل صاحي ذلك بقوله :

— اذا كان من الممكن احصاء ضحايا الغارة من اهل درسدن ، فقد كان ذلك ضرباً من المستحيل بالنسبة الى الاجئين الذين كانوا يتقدرون عليها كل يوم وكل ساعة والذين لقي القسم الاعظم منهم حتفه في تلك الليلة المشؤومة .

قلت :

— ولكنني لم اعلم حتى الان صلة « فيلا سان ريعو » التي نطل عليها بتلك الغاره ؟

قال صاحي الالماني :

— ان دور فيلا سان ريعو في الغارة على درسدن هو جانب آخر من جوانب فاجتمعا . بل ان هذه الفيلا قامت بالدور الرئيسي فيها . لقد كانت الفيلا ملكاً لأحد اثرياء الصناعيين في درسدن ، وقد اتخذها مقرًا صيفياً له . وكان على صلة باجهزة مخابرات الحلفاء يقدم لها المعلومات . وفي تلك الليلة قام من برج فيلا سان ريعو بتوجيه الغارة على المدينة . كان يعطي الارشادات للطائرات تقوم بعمليات القصف . كانت له مصالح معروفة في المؤسسات الاقتصادية في المدينة ،

فأراد أن يجنبها ويلات الغارة ، لذلك قام بتوجيه الطائرات إلى الاماكن الأذية والتاريخية ، وإلى قلب المدينة الخالي من المؤسسات الصناعية والأهداف العسكرية ، والذي يزدحم فيه السكان وعلى وجه الخصوص اللاجئون إلى درسدن !.

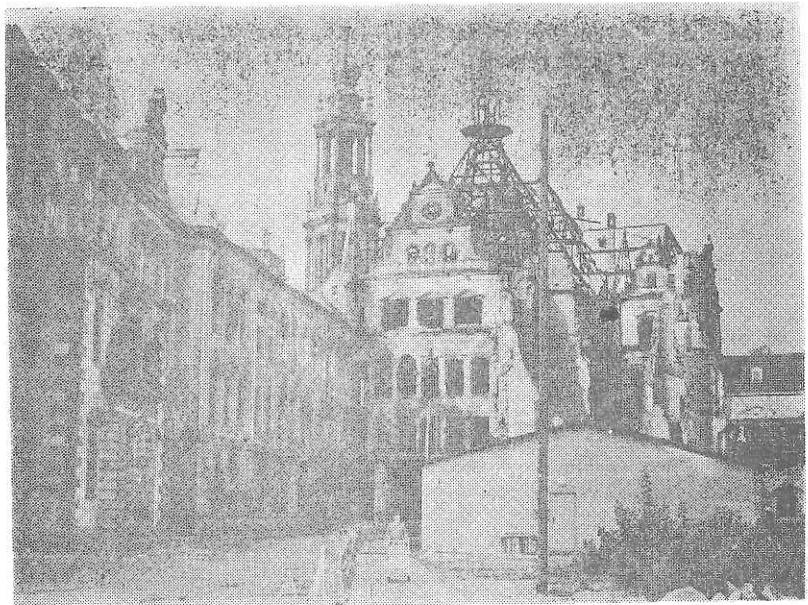
لقد تحولت قصور «آل شتات» العظيمة إلى اطلال وخرائب .

ان هامات بقايا اسوارها وقاعاتها وقبابها التي كانت مفخرة درسدن مازالت قائمة على ارتفاعاتها الشاهقة مكللة بالخراب وسود الحريق ينبع فيها البوم وتعشش فيها الهوام تشهد على هول الكارثة . ان قلب درسدن من امتداد ثلاثة كيلو مترات ، من «آل شتات» حتى «هوت باهوف» قد تحول من منازل آمنة واسواق وبيوتات وقصور وكنائس إلى اطلال مرعبة تزقت بينها أشلاء مائة الف ضحية . ان كنيسة النساء التي تقوم انقضاضها الآن في ساحة لوتر قد احترق بثلاثمائة طفل وامرأة ، ولهذا السبب يطلقون عليها اليوم اسم كنيسة النساء . ان درسدن هي «هيروشيمَا» صغيرة او ناكازاكي ثانية في قلب أوربا ولكن بدون قنابل ذرية.

* * *

كان الام الممزوج بالحقد الدفين يقفز من خلال كل عبارة من عبارات صاحي الالماني .

لم تكن معرفي به تتجاوز الاسبوعين . غير ان اسبوعين متصلين من رفقة الطريق وعشرة الاسفار جعلتني اكثراً سرعة في فهمه . لقد تبادلنا من الاحاديث والافكار ماجعلني قادرًا على فهم عمق مشاعره الإنسانية . انه يعلم ان الكارثة ليست كارثة درسدن وحدها . انه لا يجهل ان مدنًا كثيرة في المانيا وفي اوربا لقيت مثلما لقيت درسدن وما هو اشد هولاً . ولكن مأساة درسدن كانت بالنسبة اليه نسيج وحدتها . انها ليست كارثة من صنع الحرب فقط . ولو كانت كذلك طهانت المصيبة امام غيرها من المصائب الأخرى . كانت بالنسبة اليه رمزاً

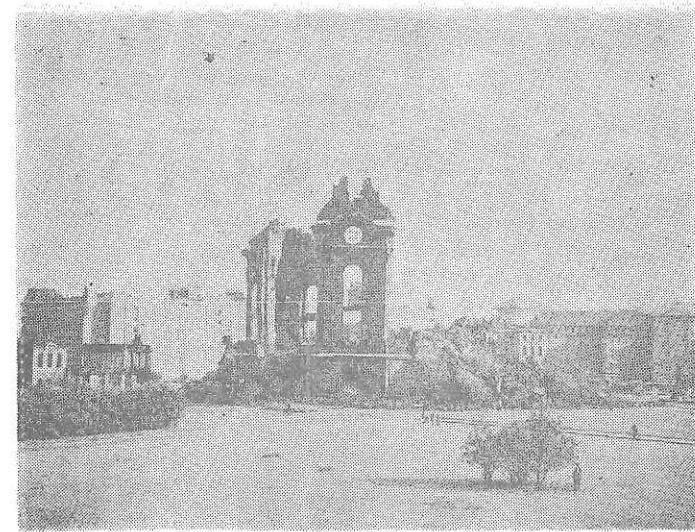


جانب من قصور آلت شبات وقد هدمتها النار على درسدن

من رموز هذا العصر . إنها الدليل الحي على المدى الذي يمكن أن تصسل إليه
قسوة الفرد وتبلغ منه الوحشية عندما تتحكم فيه مصالحه ويطلق العنوان لوحشيته .
إنها قد تطلق فيه شياطين شر أشد عتواً وهجمية من غرائز اعرق الغواة في القرون
الأولى الذين حاولوا تدمير الحضارة وافناء البشرية .

لقد عرف التاريخ غزاة كثيرين بنوا أهرامات من رؤوس
اعدائهم ولكن قل أنت عرف التاريخ غزاة بنوها من رؤوس مواطنهم
وابنياء شعفهم حفظاً لمصالحهم المباشرة .

قد تكون شهوة المجد والفتح هي التي ساقت عبر التاريخ من ساقتهم
لأنزال الكوارث بالشعوب وبالإنسانية ، غير ان هذه الشهوة التي ساقت فرداً إلى كارثة
درسدن ، شهوة من نوع آخر . إنها شهوة ليست كشهوة المجد والفتح . إنها
أكثر ضعة وحقارة ولكن أشد فتكاً وعتواً . إنها شهوة المال وشيطان المنافق



جانب آخر
من آثار
الغارة على
درسدن التي
ماتزال قائمة

والصالح . إنها تجبر النفس من كل القيم الأخلاقية وتحلها من جميع ارتباطاتها الاجتماعية والانسانية .

إن فيلا سان ريفو قد توجد في كل مكان . وكل مكان يمكن أن يتحول إلى درسدن ثانية اذا قامت تلك المنافع والصالح ، وتحكمت في فرد او مجموعة من الأفراد مثلما تحكمت هنالك . إنها لا يمكن ان تهدم ابنية مشادة وتقوض صروحًا قائمة وتفتك بثات الا لفوف فحسب ، وإنما قد ترقق اوطاناً وتزيل دولًا وتدمير حضارات . إنها آفة القرن المشرين و « المسخ » الرهيب الذي يهدده .

* * *

كانت السيارة تتسلق في احدى الهضاب وانا في طريقى الى « فايغار » بلد غوثه وشيله عندما القيت من على نظرة اخرية على درسدن الالب يجري ودرسدن على ضيقه بين الخضراء اليانعة . وهنالك في الوسط بقايا « آلت شتات » .
هل الحجارة اكثر خلوداً من الانسان ؟

مائة الف من الرجال والنساء والاطفال ذهبوا دون ان تبقى منهم بقية ،
اما الحجارة فما تزال لها في درسدن بقايا .



مسرحية فلسفية في ستة مشاهد

بقلم: خليل الحنروي

الأشخاص :

ال الخليفة يوسف بن عبد المؤمن

ال الخليفة يعقوب بن يوسف

ابن طفيل الفيلسوف

ابن رشد أبو الوليد

أبو جعفر الذبي الحكيم

أبو العباس الحافظ الشاعر

أم الوليد زوج ابن رشد

أبو عامر

} قاضيان من عادة ابن رشد

القاضي أبو عبد الله

ابن بندود الحكيم

مقدمة

هل عرفت فخر الفلسفة العربية ؟ هل عرفت
ابن رشد ؟ ابا الوليد ؟

في سنة (٥٢٠ھ) ، في مدينة قرطبة ، اعظم
مدن اسبانيا شأنها ، واكتراها سكانا ... في بيت يتراحمي
على حدود مسجد قرطبة ، ذي الاعدة المرموية الفنية ،
والتسعة عشر بابا من البرونز ، يضيء فيه خمسة الاف
مصابح وهاج ، تفوح منها الزيوت المعطرة ، فتملا فضاء
المسجد والمدينة نوراً وعبقاً .

في هذه المدينة الجبارة ... ولد فيلسوف كبير،
جبار . هو « ابن رشد »

عرف الحكمة فضلها ، واعترفوا بنبوغه ، وهاهو
ذا الفيلسوف « ابن طفيل » صاحب القصة الرائعة
« حي بن يقطان » يقدمه للعلم والعلماء « يوسف بن عبد
المؤمن » ...

وابن رشد في الثامنة والعشرين من عمره ، لينتقل
إليه « آثار ارسسطو » .

(المشهد الأول)

المكان - قرطبة: مجلس الخليفة الاشخاص

١ - الخليفة يوسف بن عبد المؤمن

٢ - ابن طفيل

٣ - ابن رشد

٤ - يعقوب - وهو حديث السن (ابن
الخليفة يوسف)

ابن طفيل - لشد ماحسن استظهارك لكتب الفلسفة يامولي !

يوسف - وقد بدأت بالطبع . مفضل حياة لانفافة ولا فلسفة فيها ؟ .. انتا
هنا - ظلال لا خير فيها اذا لم ترك وراءها أثراً .

ابن طفيل - ليت كل الخلفاء يتطلبون ماتطلب !

يوسف - اذا ، لتحققـت جمهوريـة افلاطـونـيـة لا يـحـكمـ فيها الا فلاـسـفةـ وـعـلـمـاءـ .
ولـكنـ ايـنـ مـنـ هـذـهـ الجـمـهـورـيـةـ ؟

ابن طفيل - ولكنـكـ يـامـوليـ ، ذـهـبـتـ الـىـ اـبـعـدـ مـنـهـاـ .. فـهـاـ هوـ ذـاـ بـلـاطـكـ يـغـصـ
برـجـالـ الـعـلـمـ وـالـطـبـ وـالـفـلـسـفـةـ . كـأـنـكـ تـرـيدـ انـ تـجـعـلـ رسـالـةـ الـعـلـمـ رسـالـةـ
الـمـلـوـكـ المـقـلـاءـ .

يوسف - لكـ الفـضـلـ ، يـابـنـ طـفـيلـ ، فـيـ ذـلـكـ .. انـ كـثـيرـينـ منـ الـمـلـوـكـ الصـالـحـينـ
اـذـاـ وـجـدـواـ سـرـجـاـ وـهـاجـةـ تـهـيـهـمـ ، فـانـ مـنـهـمـ مـنـ تـسـهـيـهـ الـمـلـازـاتـ
الـحـقـيرـةـ ، فـتـمـيـتـهـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ يـكـشـفـ اللهـ لـهـ الغـطـاءـ عـنـ قـلـبـهـ ، فـيـكونـ
قوـةـ فـيـ قـلـبـ قـوـةـ ..

ابن طفيل - مـأـهـدـىـ أـمـةـ يـقـوـدـهاـ رـعـاـةـ مـهـتـدـوـنـ !

يوسف - ان الراعي الصالح لا يريد ان يستغل الغباوة في رعيته لينسبدها . انه يحررها من قيود الجهل والغباوة لتحرر عقولها ، وتهتدي نفوسها ..

ابن طفيل - الويل كل الويل لمن يغرس الجهل في أمته لينستمره .. إن حصاده للشقاء — ليس بعيد .

يوسف - إننا أحبنا العلم والفلسفة ، ولذلك زيد نشرها في أواسط الشعب حتى يست LZ ما تذوقناه ، وترفع مستوى ما بلغناه ... هل تجد في ذلك من خير علينا .

ابن طفيل - ان الحكمة - لو اختارت مسكننا في اطراف العالم - لما اختارته الا عندك يا مولاي ..

يوسف - ذلك ما زيد نفسي غبطة .. والله ، ليس لهذه الخزائن الملوءة بالذهب ، من غبطة في نفسي مثل ما لهذه الخزائن التي تراها تتحشد بالكتب .. لقد اجتمع لنا من الكتب الكثير منذ استبحنا مصادرها في بيوت أربابها !

ابن ط菲尔 - لقد كانت عادة الملوك ان تستدعي مصادر الاموال من عند اصحابها . اما انت فقد استبيحت مصادر الكتب ! مع التعويض لأصحابها .

يوسف - ما تصنع الكتب المصفوفة على رفوف جامدة ؟ ان الكتاب لا يحيى الاين أيدي أحياء لنجمع الكتب ولنوزعها على العلماء يدرسوها . رب كتاب كان شعلة لمعرفة جديدة ... المتصادر كتب أبي الحجاج وولينا ولاية حسنة ؟

ابن طفيل - ياله من اغتصاب جميل !!!

يوسف - وهل ظفرت بن يوضع فلسفة « ارسسطو » ؟ ان هؤلاء المترجمين قد أفسدوا آراء ارسسطو لكم تمنيت ان تكون البادئ بتوضيح أغراضه .

ابن طفيل - ان « ارسسطو » طود صعب المرتفق ، لانه معجزة العقل في كل حين .

يوسف - لو وقع من يلخصها ، ويقرب اغراضها بعد ان يفهمها لقرب مأخذها على الناس ، ما اجمل ان تقوم يابن طفيل بذلك ، اذاً لاغنيت الفلسفة العربية .

ابن طفيل - مامعني عن ذلك الا الكبير... وهذا عمل يحتاج الى نشاط الشباب ودأبه.

يوسف - وهل وقع لك من الشباب احد يصح لاستناد العمل اليه ؟

ابن طفيل - لا اعلم الا فقي اوتى ذكاء متقدماً ، وادراماً كما نفاذًا . لم اعرف فقي قبله ولا كهلاً يلم بمسائل الفلسفة إلمامه بها .

يوسف - ومن هو هذا الفتى ، لقد زدتني رغبة في معرفته... لنكرم هذا الفتى . ولنفتح له دارنا . لأنه رسول الحكمة .

ابن طفيل - إنه « ابن رشد » .

يوسف - ابن رشد ... لا أذكر اني سمعت اسمه فاستزره لزيارة ...

— المشهد الثاني —

(المجلس نفسه)

ابن طفيل - هاهو ذا « ابن رشد » .

يوسف - الحكيم « ابن رشد » ؟

ابن طفيل - ليس في قرطبة « ابن رشد » سواه .

يوسف - ان العبرية تبني عن نفسها والزهرة العطرة — منها توارت — فان ريحها ينم عنها . ليجلس الحكيم معنا .

ابن طفيل - لست ، عن الامير بغرير . هذا ابن رشد نشا في بيت فضل وعلم ، ليس في سلفه من لم يشتغل بالعلم ، والفقه ، او الطب ، او الفلسفة ،

وكأنه ، الآن ، يirth — في شخصه الواحد — كل هذه الأغراض التي اجتمعت له على حداثة سنه .

يوسف - إن هذا ، من فتى مثله ؛ لأمر عظيم . إنه ليسبني جداً أن يتبغ هذا
الفتى في عصري ، حتى يذكر التاريخ أن عصر يوسف هو عصر
ابن رشد لقد آن للتاريخ أن يؤرخ برجال العلم والادب والfilosofie :
ابن رشد - لقد غالى ، يامولاي ، في صفات لا احظى منها بحسنة واحدة - لولا
استاذي ابن طفيل .

ابن طفيل - اتي اردت ان اكون شهيداً بهذه الحسنات ،
يوسف - وهل انت تشتغل بالفلسفة الآن ؟ ومن أحب الفلسفه اليك ؟
ابن رشد - (يتلعم) ولكن استاذي ابن طفيل يعلم أني الى الطبع اميل ..
اما الفلسفه ..

ابن طفيلي - لاتحاول اخفاء ذلك عن الامير . لقد قدمتاك له كفيلسوف ،
لا كطبيب .

ان رشد - ولکن ...

يوسف - (ضاحكا) ولكن ... رجاء سبق الى وهمك أني من الذين يكرهون الفلسفة ، ويشددون النكير على الفلاسفة .

ابن طفيل - ان الامير - لو لا شواغل الملك - لما اخذ له شاغلا غير
شاغل الفلسفة ...

يوسف - لست من الذين يعملون على خنق التفكير ، وقتل الفلسفة. لأن الفكر
الخنوق لا يلد الا أمة مخنوقة .

ابن طفيل - لقد كلفي الامير ان اوضح فلسفة ارسسطو ، وأزيل عنـا القلق والغموض . وما يعنـي من ذلك الا ما تعلمـه من كـبر سـنـي واسـتـغـالـي

بالخدمة . فـأـنـ كـانـ فـيـكـ فـضـلـ قـوـةـ لـذـلـكـ فـاـفـعـلـ وـاـنـىـ لـاـرـجـوـ اـنـ تـقـىـ بـهـ
لـاـ اـعـلـمـ مـنـ جـوـدـةـ ذـهـنـكـ وـصـفـاءـ قـرـيـحـتـكـ .

يوسف - سـيـكـونـ بـذـلـكـ (ارـسـطـوـ) لـاـيـوـنـانـ ، وـ (ابـنـ رـشـدـ) لـالـعـربـ .
ابـنـ رـشـدـ - إـنـيـ فـاعـلـ ذـلـكـ ... وـارـجـوـ اـنـ يـسـعـفـنـيـ حـسـنـ ظـنـ الـامـيرـ بـيـ فيـ مـهـمـيـ .

يوسف - لـقـدـ تـرـكـنـاـ لـكـ مـاتـرـيـدـ، وـأـطـلـقـنـاـ يـدـكـ فـيـاـ تـرـيدـ .

(يـدـخـلـ اـبـنـ يـوـسـفـ - يـعقوـبـ)

يعقوب - أـبـيـ، إـنـ عـنـدـكـ — مجلـسـاـً ..

يوسف - تـعـالـ يـاـوـلـدـي .. اـنـهـ مجـاسـ الحـكـمةـ . هـكـذاـ فـلـيـكـنـ أـعـوـانـكـ وـجـلـسـاـؤـكـ
حـيـنـ تـصـبـحـ خـلـيـفـةـ . هـذـاـ الفـقـيـهـ (ابـنـ رـشـدـ) قـدـ اـكـتـشـفـنـاهـ ، وـكـلـفـنـاهـ
بـتـرـجـمـةـ حـكـمـةـ اـرـسـطـوـ . فـكـنـ لـهـ عـوـنـاـ فـيـاـ يـرـيـدـهـ ، وـانـصـرـهـ عـلـىـ كـلـ
حـسـودـ . اـنـ اـبـاـكـ لـاـيـوـصـيـكـ الاـ باـكـرـامـ الـعـلـمـاءـ حـيـثـاـ كـانـواـ . اـنـ دـوـلـةـ
— بـدـوـنـ عـلـمـاءـ — لـضـعـيـفـةـ مـهـزـولـةـ مـهـاـ اوـتـيـتـ مـنـ قـوـةـ .

يعقوب - اـبـتـاهـ . اـنـيـ عـلـىـ خـطاـكـ . لـنـ يـكـوـنـ آـثـرـ عـنـدـيـ مـنـ مجـالـسـ الـعـلـمـاءـ .

يوسف - وـالـفـلـاسـفـةـ .

يعقوب - هـؤـلـاءـ هـمـ فـيـ الـقـدـمـةـ .

يوسف - وـاجـعـلـ اـبـنـ رـشـدـ — فـيـ طـلـيـعـهـمـ ،

ابـنـ طـفـيـلـ - مـهـلاـ يـاـمـوـلـاـيـ . كـانـكـ تـوـدـعـنـاـ ،

يوسف - اـنـاـهـوـ أـبـ يـوـصـيـ وـلـدـهـ .

يعقوب - اـبـتـاهـ ، لـنـ اـنـسـيـ اـسـمـهـ اـبـداـ ... اـبـنـ رـشـدـ ..

المشهد الثالث

وـهـذـهـ حـلـقـةـ كـانـ اـبـنـ رـشـدـ يـجـتـمـعـ فـيـاـمـعـ اـصـحـابـهـ مـنـ شـعـرـاءـ وـحـكـماءـ . وـفـيـ

طليعة هؤلاء الحكم ابو جعفر الذهبي والشاعر الضرير ابو العباس الحافظ .
انها حلقة تبين منازع العلماء وتصور الفلسفة التي يشعر بها الفلاسفة بعد موت
الخليفة الاول ، وقيام ولده يعقوب بعده .

ابن رشد مع اصدقائه - في بيته
١ - الحكم ابو جعفر الذهبي
٣ - الشاعر ابو العباس الحافظ

ابو العباس - كفت اليوم في حلقة الامير يعقوب ...

ابن رشد - هل مدحته بشيء ؟

ابو العباس - انشدته ماجاد به خاطر ... وانه لأمير يشبه اباه ... ولكن اين العطاء ؟

ابو جعفر - ايكون الفرق - بينها - مجرد العطاء ؟

ابن رشد - ولكنني لا اعرفه الا عالماً اديباً كائمه .

ابو العباس - ليس الاثنان من نبعة واحدة ، ذلك كان يجمع العلماء ، والاطباء ،
والفلسفه ... وهذا لم اجد عنده الا جماعة التصوفين ...

ابن رشد - جماعة التصوفين ...

ابو العباس - وماذا تقول فيهم ؟

ابن رشد - ليس التصوف من رأيي ... لأن مدرسة التصوف محصوره بذاتها ...
انه يعتمد على الكشف النفسي ولا يفكر الا في نفسه ...

ابو جعفر - وماذا تريده ان يفعل اذا لم يفكر في نفسه ؟

ابن رشد - ان عندي لا يكفي ما زعمه الصوفيون لاتصالهم بالله بالتأمل العميق
بدون درس... أي اتصال يكون في التأمل الجامد العقيم ؟ ان السعادة
العليا لا ينالها الانسان في هذه الحياة الا بالدرس والاجتهد والمثابرة .

ابو العباس - ولذلك أفنيت حياتك في الدرس والاجتهد والمثابرة . فانبني هل وصلت ؟

ابن رشد - لقد تجلت لي اشياء كثيرة بفضل الدرس ؟ ولكن بقيت اشياء كثيرة لا تنجلي . ومن ذا يزعم انه بلغ كنه الحياة ؟ لو بلغنا اذاً لاتهينا.

ابو جعفر - وماذا رأيت - مما لم نره ؟

ابن رشد - رأيت أن اتصال الانسان بالله ممكن اذا تمكّن من رفع النقاب عن وجه الحقيقة ؟ ونظر اليها مباشرة وبغير حجاب، امّا غاية الانسان انتصار أرقى اجزاء نفسه على حواسه . وهذه أرقى درجات السعادة . ان السبيل اليها وعر ، والوصول قادر الا على العظماء . كم من فلاسفة سعوا اليها ، وحين لم يصلوا قالوا انها وهم باطل.

ابن العباس - وهل ترى الانسانية واصلة اليها قبل فنائها ؟

ابن رشد - ومن قال لك ان الانسانية في طريق الفناء؟ الانسانية تعيش عيشة دائمة لأنها تمثل العقل الأذلي الدائم . وأمانحن بعقولنا الفريدة ففني... ولكن المراحل التي تقطعها هذه العقول تبقى متواصلة ... متلاحقة... كل موجة تعانق موجة . وكل مرحلة تتواصل بمرحلة . وهذا هو الاحياء الدائم للانسانية .

ابو جعفر - يالها من حياة لا تفنى !

ابن رشد - نحو غاية لا تتناهى ...

ابو العباس - وادأ ، فلستنا نحن الا ظلالاً ترسم ثم تتحى ...

ابن رشد - بل لسنا الا هشيميا يقترب من النار الخالدة فيحترق، ويستحيل طبأ بقر به من عنصر النار ... فإذا هما شيء واحد ..

ابو جعفر - غاية ما أقربها من التصوف ؟

ابن رشد - ولكنها تدرك بالوعي ، لا بالغيبوبة . وبالدرس لا بالتأمل العميق :

ابو جعفر - ولذلك بت أخشى على الفلسفه ان يستبدل بهم أهل التصوف الذين

أحدقوا بالامير ، واستبدوا بعقله ... حتى سمعته يقول عنهم
هؤلاء هم ... جندي .

ابن رشد - ما أشقي الفلسفة والفلسفه . كلما همروا برفع شعلتها طفت عليهم ريح
الدسائس والأهواء . وكلما اراد العقل ان يتكلم آخر سره الجباء ..
ابوالعباس - ان منرأيي ان نعتزل الناس ، ونقتصر عن زيارة الأندية العامة ... لأن
قلي يشعرني بان الفلسفة قادمة على اضطهاد شديد .

ابن رشد - ومتى عاشت الفلسفة يوماً بعيدة عن اضطهاد؟ بل متى مثى العقل على
طريق لم يسرج بدم اصحابه...؟ كل قطرة من دم عالم شبيه اغنا هي مشعل
اضاء الانسانية . أتخشى الاذى ؟ اتذكر عقيدتك ؟ اما انت فافعل اذا شئت
واما ابن رشد فهو لا يتزحزح عن رأي رأيه عقله ، ولو انكره الناس جميعهم .

ابوالعباس - ما هذا قصدت . انا نحن اصدقاء جمعتنا اخوة الفكر ولن يفرقنا انسان
ولكنني اردت الاحتراس . الم تسمع ما قاله ابو جعفر؟ ماذَا يقول الامير
غدا واعداً نـا عندما يلـعـهم قولـك ؟ — ان الظـالمـ هو الـذـي يـحـكمـ الرـعـيـةـ
لـصـلـحـتـهـ لـاـمـلـصـحـتـهاـ . وقولـكـ بـتـعـلـيمـ الـأـمـةـ الـفـضـيـلـةـ بـقـوـةـ الـفـصـاحـةـ
وـالـشـعـرـ وـالـعـبـارـةـ ... —

ابن رشد - لقد قلت هذا كله كمبألي ...

ابو جعفر - وهل يفهم الامير هذا ؟ وهو الذي قتل اخاه وعمه صبرافي سبيل ملكه
وامس قبض على أخيه الثاني وحاكمه وقتلها بحضور من الناس ؟

أم الوليد - (داخلة عليهم)

- رباه . ما سمعت اصواتكم تعالى في ليلة كهذه الليلة . هل اتم في جدل ،
ام خلاف ... ام مازا ؟

ابوالعباس - مهلاً يا أم الوليد — قد أطلنا الليلة اكثر مما يجب .

ام الوليد - ولكن الدار داركم ...

ابن رشد - لن يزعج ام الوليد مناشيء ... انها صارت منا ... ولو نزعت النساء
منزعاها لأصبحن مساويات في العقل والفنون للرجال . ماذا يمنع المرأة
ان تكون كمثلنا ؟ لامرأة موهب لا تقص عن مواهب الرجال .

ابو جعفر - (متضاحكاً) ولكن لو استثنينا ام الوليد فain المرأة الموهوبة ؟

ابن رشد - أتنسى يا أبو جعفر . ان حال العبودية التي أنشأنا عليها نساءاً أختلفت مواهبهما
العظمى ؟ وقضت على اقتدارها العقلي .. ؟ ان الجحول - فيها - داعم وروث
فلنعطيها حرية العمل والتفكير تعد اليها مواهبا حية ، فعالة . أما الآن
فيحياتها تنقضي كحياة النبات الطفيلي ...

ابو العباس - قم ابا جعفر . لقد طال بنا المكوث ... ولنترك ابا الوليد مع ام الوليد .
(يذهبان)

ام الوليد - لقد فهمت سبب الجدل ... وانت لا اراك ترفق بنفسك ... أفينت حياتك
بالدرس والثارة والاجهاد . وأخشى ان تذهب حياتك هدرا .

ابو الوليد - اني لا اشاطرهم سوء الظن في هذا الامير اشاب ، منها احيط به . انه ابن
اييه ... يحب العلم ، ويكرم الفلسفة ... ولشن تصوف اليوم فانه سي الفلسف غداً .

ام الوليد - ان قلبي خائف منه ... ان الرجل الذي يسفك الدماء لا يحترم الحكمة .

ابو الوليد - انه كلما رأني اكرمني وكلما لقيتني حشني على اقام ما وكلني به ابوه .

ام الوليد - ودسائس الحساد والمعصين ؟

ابو الوليد - قد تكون هناك دسائس ووشيات ، ولكنني لا اخشاها لأن عقيدتي أقوى منها ؟

ام الوليد - ولماذا لا تقيمها بالإنسان ؟

ابو الوليد - لا خير في علماء يكتمون رسالتهم حين يضطهدون . رسالة العالم لا تشتعل
إلا في زمان الا ضطهاد .

ام الوليد - او معول انت على الشبات اذاً !

ابو الوليد - وماذا يتضرر ابن رشد من الحياة بعد السبعين الا ان يموت مخلداً رسالته.
ام الوليد - واذا أعدمت ...

ابو الوليد - فان التاريخ لن ينسى اسمي .

ام الوليد - اجل ان التاريخ لن ينساك ...

(لقد صح ما توقعه اصحاب ابن رشد . لأن الفوس الدينية تصيب باهل العقول العالية ، وطالما نسبت مثل هذه المؤامرات لأهل الفكر . وطالما حرّكوا الحكام والعوامل عليهم . وهاهي طلائع النكبة تذر ابن رشد) .

المشهد الرابع

« في مجلس الأمير يعقوب ؛ وقد اكتظ عليه علماء ، ومتصوفون
يشرونـه على ابن رشد ... في مدينة قرطبة »
الاعداء - ابو عامر - القاضي ابو عبد الله .

ابو عامر - ما أهنا قرطبة الآن بظل اميرها .

ابو عبد الله - لقد أعدت الى الملك هيئته . وأدبت كل طامع .

ابو عامر - ولكن ليـت الجهاد يقف عند هذا الحد . ان الشريعة تنتظر من يصون
حرمتها .

يعقوب - وهـل من يجرؤ على مواجهة الشريعة ؟

ابو عامر - هؤلاء الحكماء الذين هـوـا بدراسة الفلسفة ، وأكبـوا على كتب
الاقـدمـين ، وافسدوـا على الناس اعتقادـهم .

يعقوب - الحـكمـاء ... وهـل يخرج حـكـيمـ على الشـريـعـة ؟

ابو عامر - ان ابن رشد لم يزد الا ضلالا... فهو في الفلسفة يفسر احكام الشريعة، وفي القضاء ، لا يقى الا باحكام عقله ، حتى ضع الناس منه... وعجبوا لسكت الامير عنه .

يعقوب - ابن رشد الرجل الذي أحسن اليه أبي يقرف هذا؟
ابو عبدالله - وكأنما أطمعه ذلك فيه .

ابو عامر - بل تحامل عليك ، وسخر من تصوفك بعد تركك دراسة الحكمة ،
وصحبة الحكماء .

يعقوب - أنا لم ار الا ان يكمل وصية أبي .

ابو عامر - والآن يريد ان يحكم الناس بالفلسفة ...

ابو عبدالله - ان سعادة الانسان عنده تقاس بعمله بالمنطق... ولا شيء يوصل الى
الحقيقة المثلث المنطق .

ابو عامر - بل يريد بالمنطق أن يبدل المعيشة الاجتماعية .

ابو عبدالله - بل وضع (جمهوريّة افلاطون) اساساً لبناء الدولة الجديدة .

ابو عامر - تحمل محل دولة الشريعة ...

يعقوب - إذًا ، لقد ضل الرجل ...

ابو عامر - ما كان مسكوتاً عنه ليزيده الا ضلالا .

ابو عبدالله - الجهاد في الشريعة كالجهاد في الحرب .

ابو عامر - بل يكون جهاد هؤلاء أولى من كل جهاد، لأنهم يستهدفون تحطيم الدولة.

يعقوب - وما عقاب أمثال هؤلاء؟

ابو عامر - الا أن يُقتلوا ، أو يُحرقوا ، وتحرق آثارهم معهم .

يعقوب - ويحثك يا أبو عامر . أنستحل قتل أهل الفكر لفكيرهم؟

ابو عامر - ولكنك تقتلهم لكتابهم .

يعقوب - وهل فعل أسلامي بذلك من قبل؟

ابو عامر - التاريخ مملوء بالشواهد .

يعقوب - أخشي ان ارتكب شيئاً لا ترضى عنه روح ابي .
ابو عبدالله - لنترك أمر ذلك الى القضاء .

يعقوب - ذلك أدعى الى العدل . حاكموه في مجلس عام .
ابو عامر - ومن يذهب مذهبة ؟
يعقوب - ومن يذهب مذهبة .

المشهد الخامس ——————

(في نفس المسجد الذي تلقى فيه ابن رشد عاومه ، يفتح صدوره
الآن ، ليلاه متهمًا ، لا متعلماً . وقد جاء القضاة من كل صوب لحاكمته ..)

(في مسجد قرطبة - مجلس قضاة فيه الامير يعقوب - ابو عامر -
ابو عبدالله - ابن رشد - ثم تدخل ام الوليد للتشكي في منفاه وجزائه .)

ابو عبدالله القاضي - ان الاشياء لا بد في كثير منها ان تكون لها جهة نافعة وجهة
ضارة كالنار وغيرها . فمتي غلب النافع على الضار عمل بحسبه . ومتي كان
الامر بالضد فالضد .

هذا ابن رشد الذي تقلد الحكمة خرج عن وجهاها النافع واستعملها
لضرب الشريعة .

ابو عامر - هذا ابن رشد واصحابه ثبت أنهم مرقوا من الدين وخالفوا عادة
المؤمنين باشتغالهم بالفلسفة وعلوم الأولئ .

ابو عبدالله - هل لابن رشد ان يدافع عن نفسه ؟ وصحبه ؟
(سكوت).

أبو عامر - تكلم إيهما الحكيم ... هل أسكنتك التهمة، وأخرس الحق بيانك ؟

ابو عبد الله - عرفناك متتكلماً منطقياً . فما لك لا تحسن اليوم الكلام

ابوعامر - ارأيت يامولاي؟ كيف يهت الجرم اذا دعي الى الحق

ابو عبدالله - انهم استوجبوا اللعنة جهاراً .

ابو عامر - والحرق عليناً.

ابن رشد - لا تنتظروا مني دفاعاً ! اني مستقبل حكم الامير بشجاعة كما استقبل
سocrates الموت .

ابو عامر - ها ... ها ... أرأيت أهلا الامير عمن يتمثل؟ بحسباء اليونان ومناطقهم ؟

يعقوب - سمعت أنك تحمل على التصوف.

ابن رشد - قلت ان التصوف طريق ذاتي الى المعرفة . واما المنطق فهو طريق عام
الى معرفة الحقيقة .. ليس في التصوف جهد ولا مشاربة . ولا يفيد
التصوف الا صاحبه .

أبو عامر - أرجوحاً لفضيلة التصوف والكشف؟

ابن رشد - ليس لي ما أقوله ... إن حكمكم على سبق حماكم.

(تدخل أم الوليد)

يعقوب - من الداخلة على مجلس القضاة؟

أبو عبدالله - هذه أم الوليد ...

ابو عامر - لعلها جاءت متشفحة به .

ام الوليد - لا اريد الشفاعة به اذا كان مجرما ... انا جئت مذكرة مولاي ...

هذا ابو الوليد صنيعة اييك ، (هممة في المجلس) لم يقدم الاعلى ما طلب

منه أبوك ... أحذر يا مولاي أن تخذل يدك بدم الحكماء ...

أبو عامر - أمينة أنت ؟

أم الوليد - لاتعد مأساة (سocrates) ! لقد مات سقراط ومن حاكموه لكن حياته

باقية ... وحياتهم ملحوظة .

ابو عبدالله - ليس في مجلسنا قضاء لامرأة .
يعقوب - دعوها تتكلم . ان قضاء قرطبة لا يعرف الا العدل .
ام الوليد - إن قضاتك لا يحرّكهم الا الحقد والحسد والتشفى . فلا تكتب في تاريخك
صفحة سوداء .

ابو عامر - اتخافين على حياته ؟
ام الوليد - ان ابن رشد بقية اليوم أوغد ... ماذا يرجو من الحياة بعد السبعين ...
ولكنني اخاف على تاريخك ان يتلوث .

ابو عبدالله - ياله من دفاع !
ام الوليد - أتريدون محاربة الفكر ؟ بتعذيب اصحابه ؟ لقد مات المعنّيون ولكن
الفكر نفسه لا يموت .

ابو عامر - نزيد استج gio اباً على ما اتهم به زوجك . وهل تقضي على الشريعة
اكراماً للفكر ؟

ام الوليد - ليس للشريعة من مدخل ؟ ... ماذا اخذتم عليه ؟ ادرسته الحكمة ؟
ابراعاته في الطب ، اجتهاده في القضاء ؟

ابو عبدالله - لا شيء لنا من ذلك ... ان الشريعة تطلب حقها .
ابن رشد - ان كانت تطلب دمي فهذا هو دمي ...

يعقوب - قد انتهت الحاكمة ... لقد حكمت بنفي ابن رشد وصحبه في معزل
عن الناس ...

ابو عامر - لقد نصر الله الحق ، وظهرت البلاد من دنس الملحدين .
ابو عبدالله - لا يدخل عليهم احد ، ولا يخرجون الى احد ... ومن عثر على كتاب
من كتبهم فليحرقه في النار ... حتى لا يذكر بعد اليوم احد اسمه ...
ام الوليد - ابو الوليد لا يذكر أحد بعد اليوم اسمه ؟ ...
ابن رشد - لا بأس ... ان الحكمة لا تبكي ...

المشهد السادس

(في سنة ٥٩٥ هـ شهد جماعة لابن رشد واصحابه ، وتأثر

ضمير الامير نفسه)

١ - يعقوب على فراش العلة الأخيرة .

٢ - ابن بندود .

يعقوب - أريدان أسارك في شيء طالما تألت له .

ابن بندود - لعله أمر ابن رشد وجماعته .

يعقوب - هو نفسه . ولا أدرى كيف اتهموا هذا الرجل ، ولا أدرى كيف حكمت عليه بالنفي . طلبت اليهم ان يأتوني بهم جميعا . ما تقول في ذلك ؟

ابن بندود - الرأي ما يراه الامير . ولكنهم ليسوا والله - الا اهل علم وحكمة .

يعقوب - هذا ما رأيته ... ولهن يجب علي ان استغفر الله عما اتيت بحقهم وجب علي شكره ، لانه كف يدي عن الفتاك بهم . ولم يكن يبني وينهم الا ان أحكم .

ابن بندود - وتلك نعمة اخرى ...

يعقوب - اذا لكنا شر الامثال لمن بعدها من أجيال . والدي كان يقرب الحكماء وانا أقتلهم ؟ ...

ابن رشد - (داخلا مع النهي) سلام الله على الامير . وعافاه من دائه ...

يعقوب - كيف حالك ؟

ابن رشد - على ما تعرف .

يعقوب - لملك ظنت أنني دعوتك لتداوي دائني . اني دعوتك لأنستغفر لك عما جنته يدي ... لقد كنت بريئاً ... ولكن سبقت كلمة الحكم .

ابن رشد - الحمد لله الذي هداك الى طريق الحكمـة ، واذا كان الأمر كذلك فلا ذنب لك عندنا ، الحكمة بتقلي اصحابها وتهذبـهم .

يعقوب - أي يومك كان أشد عليك في محتـنك ؟

ابن رشد - ما اشتـد على يوم كذلك اليوم الذي دخلت انا وولـي فيه مسجدـاً بقرطـبة وقد حانت صلاة العـصر . فشارـلـنا بعض العـامة ، فأخرـجـونـا منه قـهـراً .

يعقوب - أصـدـأ عن بيـوت الله ؟ بـئـس ما يـفـعـل الجـهـيل بـاصـحـابـه . والآن كـيف تـجـد طـرـيقـي إـلـى التـصـوـف ؟

ابن رشد - انـ الحـكـمة لا تـعـصـب لـطـرـيق دون طـرـيق واما تـطـلـب المـعـرـفـة بـأـي طـرـيق .

يعقوب - يـالـكـمـنـ حـكـيم ! وهـل تـنسـي اـسـاءـتـي إـلـيـك ؟
ابن رشد - اذـأـسـتـ بالـحـكـيم .

يعقوب - سـأـرـدـكـ نقـيـباـ لـالـحـكـماءـ وـالـاطـباءـ .

ابن رشد - ولكن لمـيقـ منـ العـمر الاـ ماـ استـرـيـعـ فـيـه ... أـقـلـيـ منهـ اـيـهاـ الـامـيرـ . او اـسـنـدـهـ إـلـيـ ايـ جـعـفـرـ الذـهـيـ . فـوـ خـيـرـ كـفـءـ لهـ .

يعقوب - كـماـ أـوصـيـتـ ... وـكـيفـ حالـ اـمـ الـولـيدـ ؟ اـسـتـ أـنـسـيـ مـوقـفـهاـ يـومـ الـحـكـمةـ .

ابن رشد - انـهاـ كـانـتـ سـلوـتـناـ فـيـ النـكـبةـ ، وـكـانـتـ تـتـنـظـرـ الـحـرـيةـ فـيـ كـلـ لـحـظـةـ ، لـأـنـهاـ اـدـرـكـتـ انـ الـحـكـيمـ لـيـسـ بـحـكـمـكـ .

يعقوب - ماـ أـعـجلـ سـيرـ الـحـيـاةـ ؟ أـتـذـكـرـ أـمـسـ كـيفـ كـنـتـ اـدـخـلـ عـلـيـأـيـ ، هـاـقـدـ تـدارـكـيـ الشـيـبـ فـيـ سنـ الشـيـابـ ... فـشـابـ الرـوـحـ وـالـجـسـدـ مـعـاـ .

ابن رشد - هـوـنـ عـلـيـكـ . قـدـ يـأـكـلـ الطـمـوحـ مـنـ نـفـسـ صـاحـبـهـ ... هـكـذـاـ كـانـ اـبـوـكـ .

يعقوب - أـتـذـكـرـ يـوـمـ اـقـسـمـتـ لـهـ بـأـنـيـ لـنـ أـنـسـكـ ؟

ابن رشد - إـنـهـ قـسـمـ بـرـتـ بـهـ . وـهـلـ نـسـيـتـ اـسـمـيـ ؟ اـنـكـ لـمـ تـنـسـهـ رـاضـيـأـعـيـ وـغـاضـبـاعـيـ .

يعقوب - لـهـ دـرـكـ . لـقـدـ اـشـعـتـ الـفـرـحـ فـيـ صـدـريـ . وـارـجـوـ اللـهـ اـنـ يـوـسـعـ فـيـ عـمـرـكـ

حتى تقترب الحكمة بك ... ماضر ان تكون انت فيلسوفاً ، وأفامتصوغاً
مها اختلفنا فاننا سمتلaci .

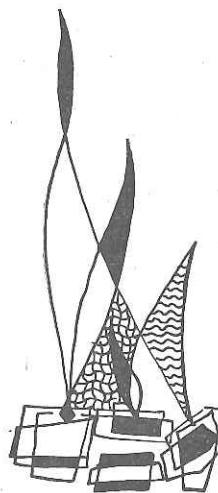
ابن رشد - لاعبرة بالطريق الى الحقيقة ... واما الحقيقة في الوصول اليها...
يعقوب - هل وصل اليانا من احد قبلنا ؟

ابن رشد - اذا لم نصل اليها كأفراد ، فالعقل الانساني العام يقترب منها... بفضل
جهاد العقول . عقل يتمم عقلا . ونار تمد نارا .

يعقوب - انه ليسعني جداً أن اكون في عصرك .
ابن رشد - ولكنك تبقى صفوه غصراً داماً.

يعقوب - ولكنك حي بي وبدوني ... ما قيمة الأندلس بدون فلسفة ابن رشد ؟
ابن رشد - ان الأندلس لن تنسى اسمك ابداً ..

يعقوب - مادامت تذكر اسمك ابداً ...



الكتاب والموضوعات

● الصورة الذاتية

كالير هيلين هووك

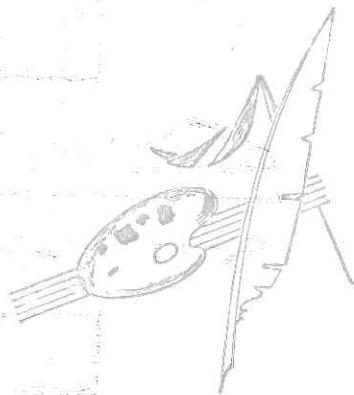
تعريب الدكتور ابراهيم الكيلاني

● تأملات في آداب النقد السرحي
نجاة قصاب حسن

● أثر الشرق العربي

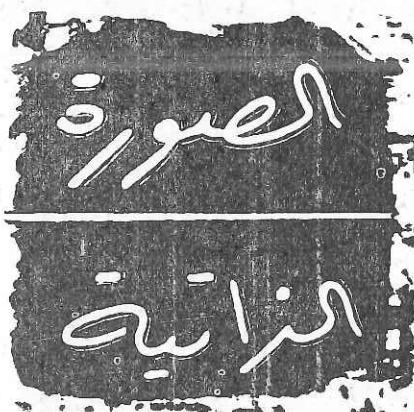
في الفن الأوروبي

عفيف هنفي



الفتنون

AUTO-PORTRAIT



بقامٍ : كلير هيبلين هوئ

تعریف : الدكتور ابراهيم الكيلاني



تدخل الصورة الذاتية ، أي صور الفنانين التي صنعواها بأنفسهم ، ضمن تيار تطوري بدأ منذ عصور ، أي عندما أخذ الفنان يعني شخصيته وفرديته .

أما اليوم ، وبخاصة بعد أن وصل إلى التراث الرومانسيي للقرن التاسع عشر ، فإن المشاهد لا يعجب إطلاقاً من انفراد الفنان بصنع صورته . فإذا كان الفنان ، ككل كائن إنساني ، قد شعر بحاجة إلى أن يترك صورة ثانية لذاته تكون أكثر دعوماً من واقع جسمه الراويل ، فإنه لم يجرؤ تقريباً إلا منذ ثلاثة أو أربعة قرون على أن يكل إلى آثاره دور تأييد وجوده . وقد طفى الفنان ، سواءً أكان محدثاً أم خجولاً في تصير فاته ،

ام مخالطاً المجتمعات ، ام قلقاً ، يعبر عن نفسه بطريقة أكثر حرية تبعاً لتطور الأفكار .
وكان نوع من الخضر في الماضي يمنع الفنان من صنع الصورة الذاتية ،
على اننا اخذنا نشهد في عصرنا الحديث نوعاً من التهتك المساير في صنع الصور الذاتية
وقد اقضى عدم تهيب الفنان من الظهور في آثاره ، والاعتراف من خلالها
بدخائل نفسه ، ان تم جميع مرافق التبدلات الأخلاقية .

بداية ظهور الفنان

إن الحاجة الأولى إلى وضع الطابع الخاص على الأشياء هي حاجة كل كائن ، لأنها يخضع لرغبة البقاء في أثر يخلد من بعده . وهذا في الأصل من الدوافع الأساسية التي أهابت بالناس إلى صنع الآثار الفنية ؛ فالصورة الذاتية إذن أكثر الأساليب كلاًّ التي تتيح للشخصية التعبير عن نفسها بصورة مستمرة في شيء ينحها الدمومة . وقد حاول الإنسان ، قبل الالجوء إلى هذه الوسيلة أن يدفع القلق الذي يشير فيه أزواؤه المحروم عن عالم الأحياء ، وان يتحاشي الإضلال بوسائل اصطناعية مختلفة .

إن أولى تلك الاعترافات هي بصماتيدي التي سجلت على جدران مغاير ماقبل التاريخ امثال آثار الإيزي (١) Eyzies ، وقد يكون ، في بعض الأحيان ، نقش الحروف الأولى من اسماء الفنانين الصناع المفهورين على أحجار الكاتدرائيات من مظاهر هذه الاعترافات ، إلا في الحالات التي نجد فيها انفسنا تجاه علامات استعملت للدلالة على طريقة مثلى في الحاسبة تسجل عمل كل فنان .
ولا حاجة إلى التحرى عن الصور ، فإن الآثار المضادة فحسب ، هي قبل عصر النهضة نادرة جداً، ومن المفيد الاشارة إلى وجود كنيسة في منطقة لوٹ Lot في فرنسا

(١) بلد في جنوب فرنسا اكتشفت فيه آثار من الفرون الوسطى ، كما انتهي في متاحف ماقبل التاريخ .

يحمل سقفها توقيعاً . ان وجود الاسم بروز محتمل للشخصية ، ويعتبر تسجيله ، بشكل أدق على الأثر الفني ، كتقديم فكرة تمثيلية عن ذاتية الفنان ، بما يقتضي نوعاً من الفردية .

إن هذا الانفكاك من صميم الجماعة لا يتناسب وروح الخشوع التي فرضها الدين المسيحي ، والتي غلت على الذهان في ذلك الزمن .

كانت الحياتان ، الفنية والعلقانية ، في المصور الوسيطة غارقتين في نزوع وجداني نحو الله ، وكان معنى الأثر الفني لا يبلغ مداه إلا في القربان المقدم إلى الله ، إنه لاعيان صهرت فيه أنواع النبوغ كما تصرّف في دممات الصلة المغفلة ، إنها تلك الكاتدرائيات المتتصبة الصاعدة نحو هذا الذي تريد تمجيده ، إنها تلك اللوحات التي عندما تريد أحياناً أن تشير إلى القربان ترسم ملامح نصير الفن الذي صنعت له الصورة ، وبهذه المناسبة ترى الفنان يبرز في شيء كثير من التردد والخجل ، فهو يقف إلى جانب الواهب ليهب هو أيضاً بيوره نتاج ابداعه ونبيوغه ، إنه يؤدي فريضة عبادة ، ولكنه يشعر بحرى — يقل وعيه ويكثر — بأنه سيخلد ذكره في العمل الذي يهبه ، والشكل الذي يعطيه إياه .

الفردية في عصر النهضة

إن انقلاباً آخذ في الاقتراب ، فان العصر الوسيط قد آذن بازوال ، وسيشهد انهايارات الاعيان الذي كان يدعمه ، واصبحت روح العصر مهددة ، كما أصبح التوازن الاهلي المركزي Théocentrique الذي يسند له مفهوداً ، واخذ الانسان يقترب رويداً رويداً من واجهة المسرح لكي يؤدي فيما بعد الدور الأول ، وكما يشهد بذلك كتاب « عجائب الدنيا » لم يعد الفنان سنة ١٤١٥ يركع امام الله ليقدم له أثره الفني بل امام رجل آخر هو الملك .

ولاريب في ان المراحل ستكون متعددة ، وادا لم نصل بعد الى مرحلة
الصورة الذاتية كغاية في حد ذاتها ، فاننا نشهد في معزل عن مجموعة مامصورة على
اللوحة تنفصل عنها شدف Silhouette الفنان ، وهكذا نرى في لوحة « مدرسة
ائينا » رافائيل مصحوبا بأحد الاساتذة الذين يجلّهم ، وقد نلحظ احيانا ان وجود
الفنان مردّه الى الاعجاب الذي يكتنّ لهؤلاء الذين جمعهم في لوحته ، وفي لوحة
« التجار المطرودين من المعبد » ترى ان لوغريكو Le Greco غير موجود برقعة
تيسينيان Titien وميكلانج Michel-ange ورافائيل Raphaël او كلوفيو Claudio

الجهد الهرمي

ان الفرد يبلو بسرعة في المستوى الامامي للوحة وذلك في البلاد الجرمانية حيث الانفصام عن الكثلكة اكثر وضوحاً ، فهو هنا في واقعية

حياته اليومية . فان الكاثوليكي الالاتي يشعر بوازع وجداً يحول دون انفصالة عن الجموع ، حتى اذا هدأ الاعتراف الديني من ثورته كان شعوره بضرورة الانفصال بدخيلاً نفسه الى شخص آخر اقلَّ عنفاً .

وفي الوقت الذي انضم فيه الفنان سينيوري إلى جماعة الفنانين الايطاليين الاولئ الذين مثلوا انفسهم في لوحاتهم نجد الفنان دورير Durer في المانيا يصنع عدداً كبيراً من الصور الذاتية ، تراه باديء بدء في شكل شخص صغير الحجم في اسفل لوحته « الثالوث المقدس » في فيينا ، ومن الصعب القول فيما اذا كان هنا كثيرون من الفنانين الذين يقدمون بخشوع آثارهم كقرابان ، ام انه يجدر بنا ان نقرنه بفناني عصر النهضة الفخورين باثبات وجودهم المبدع نظراً لما يكتنف الانتقال من العصر الوسيط الى عصر النهضة في المانيا من الغموض . وقد اتخذ دورير نفسه كثيراً مثلاً سواء في الرسم الزيت او الرسم ، ولم يكن هدفه من ذلك ايصال الفائض من روحه المضطربة الى المشاهد ، فان هناك دوافع نفسية وراء هذا العمل ، في اللوحة الخصصة لخطيبه مثل دورير فيها رمز الوفاء ، وقد لقى باصبعيه زهرة الشوك ، وفي اللوحة المهدأة الى طبيه حيث اشار فيها الى موطن الداء ييدو الفنان الموجع كالو كانت ملامحه تشبيه ملامع المسيح في لوحة « هذا هو الرجل » Ecce Homo . ان اشهر صور دورير الذاتية هي الصورة المحفوظة في متحف بینا کوتیک Pinacothéque في مونیخ ، فهي محاولة لطلب الانسجام في اسلوب النهضة أكثر منها محاولة اعترافية ، ففيها هندسة في الشعر المنسدل على الكتفين ، وتوازن في التأليف مع نظرة مغناطيسية جذابة لا تقاوم . اما رسومه وبخاصة تلك التي صنعها لنفسه في صباه فقد غالب عليها طابع عفو يكاد يكون قلماً ، يهد الطريق لرامبراندت Rembrandt .

من فيرمير الى فان كوغ

ان الفنانين يتلمسون الطريق في لوحاتهم كما يتلمسون في المرأة ملامح وجوههم ، ثم يتوجّهون اكثراً كثراً نحو ذواتهم ، ولكنهم لا يتوصّلون الى كشف دخالتهم والبوج بها دفعة واحدة ، يحول دون ذلك في الظاهر الخجل ، فان فيرمير Vermeer قد أدار ظهره في مشغله ليكمل وهم الحقيقة ، كأنه لا يجرؤ بداع من تواعض على نقل مكانه كي يراه الناظر جيداً . اما روبانس Rubens فهو يشبع رغبة واقعية ، يدو متزهاً وأسرته في بستانه تارة ، او منتصباً مزهوا الى جانب زوجته الثانية تارة اخرى ، او ملتحفاً مطرف السفير معجباً ومتباعداً عن الناس ، انها لواقعية بل هي لذة البقاء في نظر الاجيال المقبلة في وضع راجح . ولاشك في أن هناك نوعاً من روح الملاطفة عند فان ديك Van Dyck الذي يدو فاتناً في وضع مدروس ، او كما تظهر فيما بعد السيدة فيجييه لوبران Mme Vigée Lebrun في وضع أم ، رؤوم ، رشيقه حيناً ، او انيقة وجذابة حيناً آخر .

ومن الفنانين من يفضل انت يظهر وهو يزاول مهنته كما فعل فيلاسكيز Velasquez في لوحة «الوصيفات» Mévines ، وكذلك فعل سوبيلراس Subleyras في القرن الثامن عشر ، وميلنذر Mélendez وغويا Goya ، وفي العصور الحديثة دوانيه روسو Le Douanier Rousseau وسيزان Cezanne وفان كوغ Van Gogh .. وبقى هناك الشكل المصفى للصورة الذاتية ؛ وهي الصورة المصنوعة بيد الفنان وللفنان . فان هذا يقضى وقتاً طويلاً قبل ان يستسلم لهذا الاستبطان العام كما يفهمه رامبراندت وحتى فيلاسكيز ، فمن الصعب علينا عندما تتأمل الصورة التي تركها الفنان عن نفسه ألا نشعر بازعاج غريب أو قلق خفيف . ويحدث هذا غالباً في بعض الصور المفجعة يدو الفنان فيها لوحده ،

فإن نظراته تحدث فيها انقلاباً غريباً، إذ يبدو لنا أن الفنان المبدع لا يعيش مورة أخرى بصورة مبتذلة على قماش اللوحة بفضل وهم الملحمة أو دقة الألوان ، بل هو يعيش في نفووسنا فان قوى مزاجه المبعثة قد طردت شخصية المترجر وحلت مكانها ، وعندما تلتقي نظراتنا بنظره الفنان نشعر بشرود البال الذي اعتراه عندما حلل نفسه أمام المرآة مترصداً مظهراً الخارجي ، متلمساً بشيء من الابهام من خلال النظر غير النسيع منفذًا يطل منه على نفسه .

البحث القلق عن ذاتية الفنان .

ان هذه الرؤيا قد ادخلها رامبراندت فعلاً في التصوير الزيتي ؛ إنه لقناع مؤلم يطفو على سطح غليان الذات . ولا ريب في ان الصورة كانت باديء بدء اي في دور شباب الفنان وسيلة لارتياد ذاته ، فهو يحرص في لوحاته المحفورة على التعبير الخارجية جاعلاً من دراسة ملامح وجهه مدرسة لفن الاعيادي Mimique ، وقد تتبع رامبراندت من خلال صوره الذاتية ، وقبل ان يعالج لب القضية ، مظاهر وهمية من شخصيته حيث صور نفسه جندياً ، او ضابطاً مقبراً ، او واضعاً على ركبتيه ساسكيما Saskia او شاهراً بيده قدحاً من التمر ، على أنه لم يلبث سريعاً ان عجز عن الامتناع عن مواجهة نفسه ، واستجلاء سره الذاتي ، فحل وجه الشاب المدهوش قليلاً محلاً وجه الشيخ الأيام والخذاب ، فهل كان يندب حياته المضطربة ام كان يتوقع موتاً قريباً ؟ وكذلك فعل غويا فقد حمل مطاشته Palette مؤونة تمكيناً من التنبؤ من خلال وجهه عن الشياطين الكئيبة التي تقع في اعمق نفسه ، والتي ستذهب الى صوره ! .

ويبدو ديلاكروا Delacroix في صوره الذاتية متعرجاً غازياً ، ويبدو كيروكولت Cye'ricault ذا اندفاع مكبوت ، ودو كا Degas (وهو في سنة

١٨٥٧) باثاً حنينه العميق ، ورودون Rodin فريسة المقلق الذي يبعث على « الانزال التام » الذي دفع اليه كل فنان ، وأخيراً يدو بوكلان Bocklin متأملاً ومتيناً لرسم جسده الفاني في حين يبدو الموت في المستوى الخلفي وهو يوّفق اوتار كاته .

وهكذا تركز الفنان فيما بعد في التحري عن شخصيته ، فنحن تتبع من صورة الى اخرى توسيع قضية الفرد خلال العصور الحديثة ، وبخطى لا تقاوم وابجه الفنان قلقاً اخذأ في التزايد تبعاً لتجهاز المضاراة نظاماً كانت تعقدنه نهائياً ، والتي اطلقت بفضل اختراعاتها ذاتها قوى افلات من سيطرة الانسان واخذت تهدده .

إن جميع التفاسير السالفة الذكر تظل موضوعية في القدر الذي تعود فيه الى الوراء ، ولكن سيأتي يوم تكون فيه هذه العودة غير ممكنة ، ان تيار الفكر العنيف آخذ في هدم العقل وزحم الطمأنينة ، كما أن القلق الداخلي والظروف من الذات او من الحياة يحرقان وسط عاصفة ودوار الفنان الذي غمه هذا المول ، فهل هذا اعتراف كما هو في الآثار السابقة ، ام هي صرخة متأتية عن خوف الكائن الذياكتشف فجأة جهله حقيقة طبيعته العميقه وفطاعة حياته ؟

إن فان كوغ الذي يبرز في لوحته وسط الاهيب لا يستطيع ان يعرف المدوع ، وكذلك موننج Munch فهو لا يعرف المدوع بحكم وجوده في ضباب الاذخنة الجهنمية التي تأكله ، فقد مات الاول بعد ان أصيب بأزمات مخيفة ، ومات الثاني بعد ان اعترته مدة من الزمن نوبات العقل المتداعي ، ففي هذه الصور انباطامية فن يخلق وسط الألم والهلوسة .

والحق فان الصور الذاتية اعتراف نحيف ، فان صاحبها يكشف الغطاء
عما يريد ان ينفع عنه ، ولكنه ينم بالرغم منه عما لم يكن عنده شبه شعوري ،
فهؤلاً عن ان يهدى الفنان المذنب قلقه فهو يزيده اتساعاً ، وتوجد هناك ايضاً
صورة الرجل الأعلم الأذن لفان كونغ كما توجد صور ذوي الشخصيات المفككة ،
المؤثرين ، صور كثيرة من ارباب العاهات العقلية الذين تجاوزوا حدود الاستقرار
والذين لا عمل لهم — فيما وراء الابداع الفني — سوى التعبير عن اضطراب الفرد . لقد
شعر بذلك كثيرون من الفنانين ولكن اعتراف بعضهم بمخاوفهم قد توصل الى
ضبط هذه المخاوف ، على ان المقارنة كانت مع ذلك واجهة ، أليس استارة الى ان
عصرنا يشعر بصورة خاصة بصفته تجاه الاسرار التي عجز عن حلها والتي يزيد
العلم في عددها باستمرار .



تأملات في آداب التصرّف المسرحي

بضم: نجادة قصاري حسن

١ - قضايا النهضة المسرحية

في ميدان النهضة المسرحية سبع قضايا كبيرة تطرح نفسها معاً ، ولا بد من التوفّر على حلها في نفس الوقت هي : صالات المسارح ، النصوص المسرحية والبرامج السنوي لالية فرقـة ، لغة السـرح ، المؤلف المحلي ، المـمـلـلـ وـ ثـقـافـتـهـ ، الـجـهـورـ وـشـبـاكـ التـذـاـكـرـ ، النـقـدـ وـالـنـقـادـ . قـلتـ انـهـاـ وـاجـيـةـ الـخـلـ فيـ نفسـ الـوقـتـ لـتسـاوـيـهـاـ فيـ الشـأـنـ وـلـأـنـ إـحـدـاهـاـ لـتـتـنـتـظـرـ الـآـخـرـ ، وـلـكـنـيـ لمـ أـقـلـ انـهـاـ تـحـلـ مـرـةـ وـاحـدـةـ . فـمـ المؤـكـدـ أـنـ سـنـينـ كـثـيـرـةـ ، بـلـ عـشـرـاتـ سـنـينـ ، سـوـفـ تـنـقـضـيـ قـبـلـ أـنـ نـكـونـ وـجـدـنـاـ لـهـاـ جـمـيـعـاـ الـخـلـ الـذـيـ يـرـضـيـنـاـ . وـهـذـهـ الـبـلـادـ الـتـيـ تـقـدـمـتـنـاـ بـهـنـاتـ سـنـينـ فـيـ مـيـدانـ الـفـنـ الـمـسـرـحـ (ـ فـرـنـسـاـ ، اـنـكـلـتـرـاـ ، رـوـسـيـاـ ، الـمـانـيـاـ ، تـشـيكـوـسـلـوـفـاـكـيـاـ وـغـيـرـهـاـ) لـاـتـرـالـ حـتـىـ الـآنـ تـطـرـحـ هـذـهـ الـقـضـائـاـ مـعـاـ أوـ تـبـاعـاـ ثـمـ لـاـتـفـرـغـ مـنـهـاـ . وـقـدـ سـعـتـ فـيـ بـرـاغـ مـنـاقـشـةـ فـيـ مـسـرـحـ إـسـ . كـ نـيـومـانـ يـنـ الـمـؤـلـفـ الـمـسـرـحـ كـوـهـوـتـ وـعـدـدـ مـنـ روـادـ الـمـسـرـحـ قـابـلـوـهـ بـعـدـ أـنـ رـأـواـ رـوـايـتـهـ الـتـيـ اـقـبـسـهـاـ مـنـ جـوـلـ فـرـنـ (ـ الطـوـافـ

حول العالم في ٨٠ يوماً) ، وكان موضوعها : أين المؤلف المحلي ؟ وسمعت بجدل حول عدد المقاعد التي يجب أن توفر في مسرح برنو وهل هو ٨٠ أو ١٥٠٠ .. وقرأت ولا أزال عن مناقشات حول لغة المسرح وهل هي الفصحى (آية فصحى في آية لغة) أم لغة الحوار اليومي ، وتابعت الابحاث الانكليزية حول أفضل الأسلوب لجلب الجمهور الى المسرح امام مراجحة السينا والتلفزيون ، الى غير ذلك من المسائل التي نعانيها نحن ولكن بقياس مصغر ، مقاييس المبتدئين .

على اني من قبيل التركيز على موضوع واحد ، اولاً ، حتى تباح له معالجة شبه وافية ، ولو اوجه سيل المقالات النقدية التي رافقت موسمنا المسرحي الاول ، من الناحية الثانية ، سأقصر بحثي اليوم على موضوع النقد والنقداد . إن هذا الموضوع قد بدأ يفرض نفسه علينا ولو كان البحث فيه لا يحمل المشكلة . والافكار التي سأعرضها في هذا الصدد اعتبرها أساساً للمناقشة العامة المرجوة ، على اعتبارها وجهة نظر رجل هو ، بحكم المنصب الرسمي ، أحد المسؤولين عن خطة النهضة المسرحية ، لا وجهة نظر رسمية .

٣ - خطورة شأن النقد

يجب ان نعرف اولاً بأن الناقد — منها كان فحوى مهمته مما سيأتي في البحث فيه — رفيق لا يستغني عنه للفنان المبدع . فهو بحكم ثقافته الفنية المفترضة أقرب الناس الى فهم دقائق العمل الفني ، والى شرحه للجمهور ، والى ابداء الرأي في مستوى ، ولفت نظر الفنان المتميء بنفسه وانتاجه الى ما لا يمكن ان يراه ، الى وجهة نظر المتذوق والجمهور . واذ كان الفن المسرحي ، بوجه خاص ، فن جماعة ، لم يكن في وسع أي من المشتغلين في ميدانه ان يرى الامور من وجهة نظر فردية . واذا كان الرسام يستطيع ان يثبت انفعالاته على اللوحة كما يشاء تاركاً لاناساً أن يحبوا

او لا يحبوا ، اأن يفهموا او لا يفهموا ، فان المؤلف المسرحي والمخرج والممثل وكل الجماعة الفنية المتకاففة التي تعمل حول هؤلاء ، لا يمكن لهم ان يتذدوا من الجمهور هذا الموقف التميز بعدم المبالغة . ان الرواية اما ان تتجزح او ان تسقط في نظر الجمهور ، وعلى الفنان المسرحي — اي كان اختصاصه — ان يبدي اشد الاهتمام لرأي الجمهور والفتنة المتميزة من هذا الجمهور بوجه خاص ، اعني القناد المسرحيين .

ومن المؤكد ان الفنانين ، بحكم آدمتهم وما فيها من ضعف ، يضيقون بال النقد القاسي ويفسرون ، في اعماقهم ، ان يسمعوا الثناء ويشعروا رائحة البخور . وقد يتمنى الفنانون في وقت من الاوقات لو أن الدنيا خلت من القناد ، من هذه الزمرة « المزعجة » التي تعطي لنفسها الحق في صنع الصحو والمطر ، في أن تشيل العمل الفني فترفعه الى اعلى علية او تهبط به الى اسفل سافلين . ولكن هذا موقف الانفعالي — وكانا يقع فيه — ليس موقعاً صحيحاً ولا ذا فائدة . فالناعد يوجد حيثاً وجد الفنان المنتج ، بنوع من التلازم المحظوظ والمفید . وعلى الفنان ان يجعل هذا في حسابه ، وأن يحسن الاصفاء الى كلة النقد ، وألا يستسلم الى راحة الثناء ، ولا يتغاذل امام الالم من تقد ظالم . وليدرك داماً كلة بندیتو كروتشه : « ليس في وسم اي ناعد ان يخلق فناناً من انسان غير فنان ، كما انه لا يسع اي ناعد ابداً ان يهدم او يصرع فناناً حقيقياً او يمسه بأذى ولو خفيف » !.

٣ — مهمة الناعد

والامر في القناد مختلف . فمن الناس من يعطفهم موقف المريء والمشرف والشرع والرسول ، ويجعل في يدهم أن يضعوا القواعد التي يجب ان يتلزم بها الفنان . ويقول كروتشه في هذا الصدد (١) « ينظر الفنانون في اغلب الاحيان

(١) الآراء المنسوبة الى كروتشه اختتها من كتابه « فلسفة الفن » في الترجمة الممتازة التي قدمها الاستاذ سامي الرومي لهذا الكتاب — منشورات دار الفكر العربي ، الصفحة ١٠٤ وما يليها .

إلى الناقد نظرتهم إلى مرب صعب المراس طاغية ، يصدر اوامر غريبة فيمنع شيئاً ويسوّغ آخر ، ويكون لا ثارهم مفيداً او مضرًا تبعًا لما يشاء هو اه او يفرض عليها من مصير . ولهذا السبب ترى الفنانين إما منحازين إلى جانبه ، خاضعين له ، اذلاء أمامه ، يدارونه ويتملقونه وان كانوا في اعماق قلوبهم يقتلونه ، وإما اذا لم يصلوا إلى غاياتهم أو كانت نفوسهم الالية ترفض أن تهبط إلى مستوى المتملقين المتزلفين ، ان يشورو عليه وينكروا عليه آية فائدة ، ويحرموه ، ويسيخروا منه ويشهروه (كما فعلت) بمحار دخل إلى دكان خراف وأخذ بتحطيم الآثار الفنية المرهفة » ...

« ومن الناس من يعتبر الناقد حاكماً أو قاضياً ، يسند إليه واجب التمييز في الفن الذي تحقق ليقدس الجيل ويتجدد القبيح باحكام صارمة منصفة مما » ...

« ومن الناس أخيراً » من يجعل النقد مجرد شرح أو تأويل قصارى عمله أن ينفض الغبار عن الآثار الفنية ، ويخرجهما إلى النور ، ثم يقف عند هذا الحد تاركًا للفن أن يفعل فعله بطريقة عفوية في قلب التأمل أو القراء أو المشاهد ، ليحكم هذا بما يوحى إليه ذوقه الداخلي .. حتى لقد عرف أحد النقاد فن النقد بأنه فن تعلم القراءة » ...

ولكن النقد في صورته المثلث هو هذه الأشياء الثلاثة جميعاً . فهو طريق يرسمها الناقد بعلمه ومعرفته ، ويحكم في انطباق الآثر الفني عليها بذوقه ، ثم يشرحها بجده وادراكه . على انه وهو يفعل ذلك كله يجب أن يعترف للفنان بحق اصيل هو ان يخرج على الطرق المرسومة ولو كان الذين رسموها عباقرة ، وأن يدع في حكمه ثغرة ينفذ منها الجمهور إلى حكم معاكس لو أراد ، وان يكون في شرحه وتأويله متواضعاً مما يمكن لأحد منها كانت بصيرته نافذة أن يزعم أنه تغلغل في اعماق الفنان إلى حد يجعله نائباً عنه في الكلام والتعبير ...

وإذا كان الامر كذلك فالناقد ملزم بثلاثة أمور : المعرفة ، والتجزد عن الهوى ، والشرح الصادق .

ومعرفة شرط لا يسوغ التجاوز عنه ، وقد اوضح الغزالى في مقدمة « المنقد من الضلال » شروط المناقشة فقال : « إنك لن تجادل صاحب مذهب أو ملة أو نحلة إلا إذا ساويت في العلم بمذهبيه أعلم الناس بهذا الذهب ». ولو كان الناقد أقل معرفة من المتقود لجاز لهذا الاخير ان يقذف بوجهه عبارة التحدي : اذهب قبل هذا فتعلم ! .. وكيف يسوغ لم يجهل قواعد التأليف الموسيقى ان ينقدمؤلفاً ، أو لم يجهل قواعد الحركة المسرحية ان ينقد مخرجاً؟ وذوق وحده لا يكتفى لتفطيم موقف الناقد ، فالذوق نفسه من مسائل الجدل ، وهو عنصر شخصي انسعاني مختلف من رجل الى آخر باختلاف موقفه الفكري او الاجتماعي كما يتاثر بالروابط الشخصية من حب وكره ومنافسة واستلطاف ...

والتجزد عن الهوى عنصر مستقل لا يرتبط بالمعرفة ارتباطاً ضرورياً . ولذا كان من آداب النقد ألا يصدر عن منافس ، ولا عن شعور سلي تحاه الفنان . وقد لمحنا في بعض ما يكتبه اشخاص لا ريب في معرفتهم الفنية ما يفضح الهوى والتحيز ، فأسقط الفرض المعرفة في شراكه ، وسقطت معها سمعة الناقد الفنية .

أما الشرح الصادق فهو أخطر العناصر في المرحلة الحالية التي تمر فيها النهضة الفنية في بلادنا . فإذا كان النقد يتوجه الى الفنان ناصحاً ومنبهً فانه اكثر اتجاهها الى الجمهور . ولا ننسى أن النقد الذي نعيه ليس مكانه الرسائل الخاصة التي توجه الى الفنان من قبيل الرأي والتنبيه ، وإنما مقالات الصحف التي يطلع عليها عامة الجمهور . ومن حق النهضة المسرحية على المقاد ، وهم سدتتها الحقيقيون ، أن

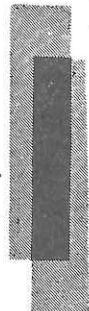
يشجعوا الجمهور على الاقبال على المسرح أولاً ، وان يساعدوا هذا الجمهور على أن يرى مواطن المجال في العمل المسرحي ، ثم لهم بعدها ان يمسوا برفق أو خشونة — والرفق في البداية أولى — نقاط الضعف باحثين لها عن تفسير وحتى عن التبرير في ظروف البلد والمرحلة .

وهذه الناحية الأخيرة أراها مسألة شرف بالنسبة للنقد . فمن الواضح أن الناقد رجل يقيس العمل الفني بمقاييس أعدتها مسبقاً ، فمن أين جاء بها ؟ إن جاء بها من المطلق المثالي ، فالنسي الواقع يقصر عنه دائماً . وان جاء بها من بلد متقدم عريق فالبلد المتأخر الحديث عهده بالفن يقصر دائماً . إن ما هو اطول من شبر أقصر من متراً . ولذا فاتي اتي ان يذكر النقاد هذه الحقائق حين يقيسون انتاجنا الفني في بداية عهده ، وان يذكروا في اية ظروف نشأت النهضة المسرحية ؛ وكم ينقصها من المقومات المادية والبشرية ومن التقاليد . فاذا هم غالوا في النقد وتشددوا في المقاييس فكأنهم يطالبون الطفل بما لا يطلب من رجل كبير مقتدر وخرج الامر من رعاية النهضة الفنية الى تحطيمها وهي بعد ناشئة ...

* * *

هذا هو بعض مابدالي أن اطرحه في موضوع النقد من الناحية النظرية . على اتي وأنا هنا «أنقد النقاد» قد أقع في نفس الخطأ اذا رجوت — من الناحية العملية والواقعية — أن يكونوا جميعاً في هذه السوية . فاذا كانت نهضتنا المسرحية ناشئة ، فالنقد المسرحي الذي ينشأ على هامشها لا يزال هو الآخر طفلاً . وكارجوت أن يرقى النقاد بالنهضة في أولى خطواتها ، علي أن ارافق أنا بالنقاد في أولى خطواتهم فلا أقيسهم بالطلاق ولا المثالي، ولا أطلب منهم جميعاً أن يملكون عنان المعرفة كيمللوكه الختص ، غير اتي أرجو منهم ملخصاً أن يتبعدوا عن الهوى ، وأن يكونوا في صيف الفنان في معركته الكبرى الرامية الى كسب الجمهور وترسيخ أساس النهضة .

أثر الشرق العربي في الفن الأوروبي



بعلبكي : عفيف بحنسي

كان الشرق العربي ، منذ بداية حضارته الموحدة بالاسلام ، وحتى إبان الحضارات المترفرفة القديمة يعتمد على تراث فني عريق ، متصل بوسائله و حاجياته ولباسه ، قرب مما نسميه اليوم بالفنون التطبيقية ، إلا ان له طابعاً مميزاً يجعله غالباً ، في حكم الفن الصرف .

ولقد ألف الناس ما حولهم من مظاهر الفن ، فلم تكن الصناعة الرفيعة شيئاً آخر ، يدفع الى تقدير منفصل عن القيمة الاستعمالية لشيء في ذاته ، ولكن اتصال الشرق بالغرب ، عن طريق التجارة أو الحرب أو الاختلاك الثقافي والدبلوماسي ، كشف عن مظاهر رائعة لفن ، اقتبسها الفنان الغربي والمواطن العادي ، في اعماله الفنية أو في اشيائه الخاصة . ونلاحظ ذلك بوضوح بعد الفتح العربي للأندلس ، أو بعد قيام الامبراطورية البيزنطية ، وإبان الحروب الصليبية .

على ان الفن الشرقي ازدهر في حياة الاوربيين ، في البلاد التي كانت بينها وبين العرب تجارة مستمرة ، كالبنديقة وهولندا ، أو مبادرات للتمثيل الدبلوماسي ، كما تم ايام الحكم العثماني . وقد استهوى الاوربيين الفن الشرقي الغريب لديهم ، والذي يقترب مما اسميناه بالفن التطبيقي ، اما التصوير والحرف ، فلم يكن بطراقة الفنون التزيينية الأخرى . رغم تقدمه وتطوره ، خلافاً للاعتقاد السائد بأن الرسم كان ممنوعاً على المسلمين .

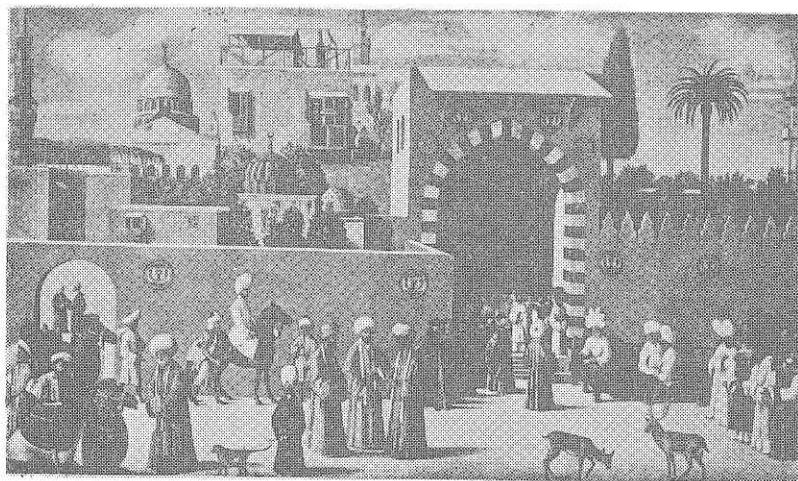
والحق اتنا نرى في العصور الاسلامية المختلفة رسوماً وصوراً مازالت باقية ، رغم الاحداث الرجعية التي مرت بها الدولة الاسلامية ، وفيها اتجاه خاص ، وعلمه احياناً شبيه بالأسلوب فن ما بين النهرين ، كصورة الرسول محمد ، وهو يتلقى الوسي من جبريل ، والصورة محفوظة في المكتبة الوطنية في القاهرة ، وهي ترجع الى عام ٦١٢ هجرية ، او إلى الرسوم التي وجدت على جدران « قصیر عمره » الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، شرق عمان . ومنها رسم الخليفة ، ومشاهد الصيد والاستحمام ، ورسوم اعداء الاسلام ، ورacaصات عاريات أو مرتدات » ويکاد اسلوب الرسم والتصوير يكون اساساً لفن البيزنطي ، وقد قام بالتصوير . فنانون من سكان البلاد .

على ان ماوصل الى اوربا ، هو مظاهر الحياة الجميلة في الشرق العربي ، وقد تأثرت النهضة الايطالية اولاً ، ب التقاليد الفن الاسلامية التي ورثها العثمانيون وقلوها الى القسطنطينية .

فلقد أصبحت الازياز العثماني ، مووضع إعجاب اهل البندقية وفلورنسا ، لغرابتها وبهائها ، فالروبر الطويل الشرقي ، والعامة العالية ، أصبحت مألفة لديهم ، للعلاقات المستمرة التي كانت بين الدولة العثمانية ، وبين ايطاليا . ولذلك فانتنا لن تستغرب ابداً ، اذا مارينا « مازاتشيو » أيا الفن الايطالي ، وقد تناول في صوره موضوعات وشخصيات ، ارتبطت تماماً بالتقاليد الاسلامية .

ولم يقتصر تأثير الشرق العربي ، على ما انتقل الى اوربا من مظاهر الفن ، بل ان بعض الفنانين حول الترحال الى الشرق ، للتعرف على غرائب الحياة ، وعلى مظاهر الحضارة ، التي كان ماركو بولو « من البندقية » قد حكى عنها ، بعد اسفاره التي قام بها عبر الشرق ، في مؤلفه « كتاب رواي العالم » .

الا ان القيام بمحاضرة الترحال بالنسبة لفنان ، أمر آخر ، فلقد كان الشرق ، وبالذات العرب بشكل خاص ، — على روعة الحالات التي كانت تقل سحر الحياة لديهم — العالم الفامض ، الذي يخفي وراءه الكثير من الاساطير المرعبة والقصص الخارقة ، والاهول الذي يرافق اختلاف الدين ، وما ينقل عن الدين الاسلامي والاديان الشرقيـة الأخرى ، لذلك قان سكان البندقية ، بما فيهم الدوج ، جزوا اشد الجزء ، عندما ارسل محمد الثاني السلطان العثماني ، يطلب عام ١٤٧٩ ان يفديه الفنان الشهير « جيوفاني بلايني » ليقوم بتصويره . وانعقد مجلس المشيوخ في البندقية ، لبحث هذا الطلب ، فلقد شق عليهم أن يفاصروا بارسال هذا الفنان العظيم ، الى بلاد يسمعون عنها الغريب من العادات ، وعن سلطان تقل عنه الروايات المختلفة في سلطنته وسلطانه . ولما لم يكن لهم من بد في تلبية طلبه ، ارسلوا اخاه « جنتيلي بلايني » وكان اقل منه شهرة . وقد مكث جنتيلي مايزيد عن السنين في القسطنطينية ، لقى خلالها الترحاب والتقدير ، وتأمس عن قرب معلم حضارة



استقبال السلطان لقنصل فرنسا

تحتفل عن تلك التي في بلاده ، فالطقوس والزياء والعادات ، وطرز العيارة والزخرفة والمنمات الفنية ، كل ذلك كان أساساً إضافياً جنتيلي إلى أعماله التي انجزها هناك ، كما أضاف إلى لوحته الوجيهية ، وخاصة صورة السلطان ، مسحات صوفية ونفسية ، أعطتها قيمة خاصة مميزة . وما زالت لوحة السلطان محمد الثاني ، محفوظة في أكاديمية الفنون الجميلة في البندقية ، وقد نفذ جنتيلي ميدالية برونزية عن هذه الصورة ، محفوظة في باريز .

على أن الفنانين الذين جاءوا بعد جنتيلي ، تأثروا ببعضه ، ولعل منهم من زار القاهرة وصور لوحة « استقبال السلطات لقنصل البندقية شكل » (١) المحفوظة في اللوفر ، والتي كانت منسوبة منذ عهد قريب إلى جنتيلي نفسه ، ولكن المعتقد أن الصورة للسلطان قاصدو الغوري عام ١٥١٢ — ولم يكن جنتيلي قد سافر إلى القاهرة قط . على أن ما يربو من هذه اللوحة التاريخية ، تعيش الفنانين الإيطاليين في ذلك الوقت للموضوعات العربية الإسلامية التي الفوها في البندقية عند زيارة التجار والسياح ، والذين كانوا يأتون باستمرار ويتقدلون في إيطاليا من دوله . وهكذا استفاد المصور « باتوريشيو » من الزياء الشرقي والي كان يراها على الفناصل والسفراء في روما ، وقد تأثر إلى حد بعيد بالصورة جنتيلي ، وخاصة في لوحة — « استشهاد القديس سبستيان » . وفي ذلك الوقت أيضاً كان « غوزولي » يضم لوحته الجدارية كثيراً من الوجوه والزياء الشرقية العربية .

وقد تجاوز تأثير الشرق إيطاليا إلى أوربا كلها . وابتداً بذلك بأن قدم الفنانون الأوروبيون

إلى إيطاليا ، للاستفادة من وجوه الشرقين فيها ، في عام ١٦٢٠ زار فلورنسه المصور الفرنسي جاك كالو Callot ، وقد بقى أربع سنوات ، يصور عن مصر شمالي أفريقيا ، وقد صور أيضاً عن بعض قصص النبي سليمان ، فاستعمل غاذج شرقية وأزياء عربية ، ومعالم تتعلق بالوطن العربي.

وإذا عدنا إلى البندقية ، وجدنا « كارياشيو » وقد أحس بسحر الشرق ، متأثراً بالحدث عنه معاصره جنتيلي ، ويدو ذلك في لوحته الاربعة « تاريخ سانت اينتن » الموزعه في ميلانو وشتوتغارت وبرلين وبارييس . وعندما أراد أن يصورخلفية الوحدة التي قتل زواج العذراء ، اضطر أن يتخيّل المسجد الأقصى ومسجد عمر ، وأن يرسم الناس ، وقد ارتدوا ملابس لانتسب لأي زي معروف ، ونسبها إلى الزي العربي الذي تخيله ، والذي تله عن جنتيلي محرفاً من القدس طينيه ، ومن المتقدّد أن كارياشيو سافر مع جنتيلي إلى القدس طينيه ، ولم يسافر إلى سوريا أو مصر .

وفي المانيا ، كان « البرته دورر » Durer قد تأثر بالفن العربي بصورة غير مباشرة ، عندما زار كلورنساو فأقام فيها عام ١٥٠٦ ، واحتك بالجاليات العربية من التجار والممثلين الدبلوماسيين.

على أن المواقع الدينية كانت أمّا شغل الفنانين الأوروبيين ، فكانت أكثر مواضيعهم عن قصة السيد المسيح التي وردت في الانجيل « وقد كانت العادة لديهم أن يقلّلوا ذلك وفق الطرز الشائعة ، والوجه المألوفة ، والأزياء المستعملة في زمانهم ، أو انهم كانوا يضيفون على شخصوص هذه الموضوعات ، مسحة هنية ، ويغلقوها بخلاف يزني بياني ، أو غلاف كلاسي اغريقي ، كما هو الأمر عند « شبابوي » او عند رافائيل ، وليوناردو دافنشي فيما بعد .

وفي لوحة محفوظه في أكاديمية الفنون الجميلة في البندقية ، صورها « جيوفاني مازروتي » ، عن القديس الانجيلي مرقس ، نرى أن الأزياء العربية التي صورها ، استعيرت من الطرز العثماني التي كان التجار الاتراك يتحلون بها عند زيارتهم البندقية .

على أن « فيرونيز » ، فنان البندقية الاشهر ، كان بارعاً في استحضار تقاليد الحياة في القدس أيام المسيح ، في لوحته الكبيرة « الغداء عند ليفي » ، والغداء عند شمعون وغيرهما ، نراه وقد كسى شخصه بقمش البروكار العربي الحلي بالجواهر الشرقية ، وحاول أن يتصور الطابع الصحيح على أقرب وجه .

وعندما كان الفنان ، يحاول تصوير المواقع الغوية التي قتل الحياة المستمرة في الشرق ، والمشاهد المثيرة التي ترد عن الشرق ، كان يلجأ غالباً لتصوير ذلك في جو قريب من الجواهير ، في لوحة « الرجل ذو الجاهة » لروبرت ، نلاحظ مدى التزام الفنان لتفاصيل اللباس والهيئة التي

الباشا

فرانوغارد



يتميز بها انسان الشرق ، وخاصة العربي ، كما نلاحظ تقييده بميزات هذا الانسان ، كالبسالة والفروسيّة التي أجاد روبنز التعبير عنها في لوحات صيد الاسود .

ومن الواضح ان الفنان الاوربي لم يكن ليميز في تصويره ، الانسان الشرقي في مختلف جنسه وجنسياته ، فلقد اختلط لديه العربي في الشام ، وفي مصر ، وفي المغرب ، بل لقد اختلط لديه العربي المسلم بغيره من المسلمين في تركيا وإيران ، ولعل الاسلام لديه ، كان اشبه بالقومية التي تضيق فيها حدود الامة العربية بالامم الأخرى المسلمة ، وهذا ما نراه في لوحة « داي الجزائر » فلاسكس و « هضبة سيناء » لألغيرسكيو ، أو في صورة « موسى » لبوتيشلي ، او صورة « الفتاة بالعمام » لفيريمر ، أو صورة « حديث مع الشرق » لرامبرانت .

يد ان الصور التي خص بها الفنانون الاوربيون ، المماضي التركي والشخصيات العثمانية الشهيرة في ذلك الوقت تنازع في ناحيتين ، أولاً أنها كانت في اعتقاد الغرب قتل الشرق التمدن ، إذ ان الامبراطورية العثمانية امتدت حتى شملت جميع الدول العربية والاسلامية ، بل إنها وصلت حتى حدودينا في اوروبا . ولم يكن في نية الفنان الاوربي ، ان يدقق في الاجناس التي اضفت تحت سيطرة العثمانيين ، فقد كان شعار الاسلام كافياً لشهر جميع هذه الدول في بوتقة دولة واحدة شرعية ، وخاصة بالنسبة للدول الارجعى الغربية ،

والناحية الثانية هي واقعية الاعمال الفنية التي انجذبها الاوربيون عن الشرق العربي ، فلقد تقلت مباشرة ، وليس عن طريق الوصف او الداكرة او الخيال . واللوحات الشخصية التي رسماها فنانون اوربيون لشخصيات عثمانية (يدخل في ذلك العرب) ، كثيرة . ذلك لأن الاتصالات

الحرية والفتورات الكبيرة ، أدت إلى وجود طبقة ارستقراطية متوفة ، أثرت ورفات بالنعمـة ، وكان لا بد أن يزبن أصحابها قصورـهم بلوحـات تـذلـهم ، وتشهدـ على اتصارـهم وسلطانـهم ، كما في لوحة « سعيد باشا » فنـصل الـباب العـالـي ، التي رسمـها المصـور الفـرنـسي أـفـيد « Avid »

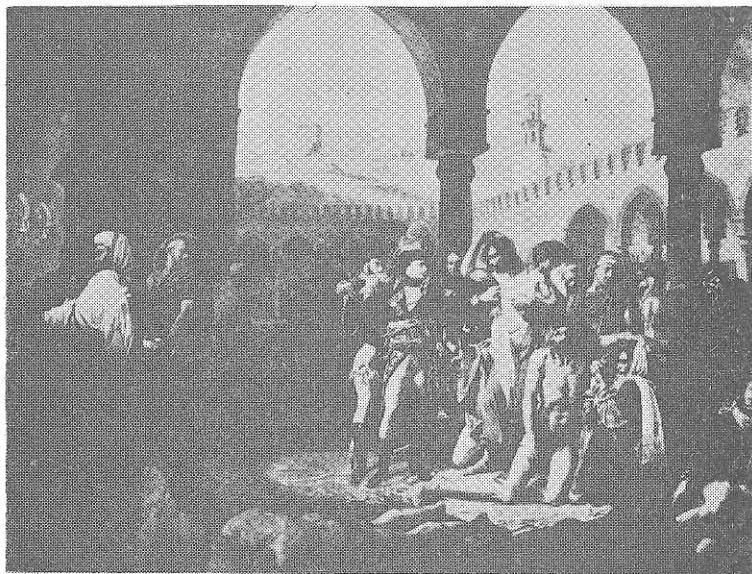
على ان الرداء الشـرقـي ، والـزيـ وطرـزـ التـزـينـ وانتـجمـيلـ الشـرقـيـةـ ، وقد أـصـبـحـتـ مـفـرـطـةـ في اـنـاقـتهاـ وفـخـامـتهاـ وـبـهـائـهاـ ، استـهـوتـ الاـورـيـينـ ، حتىـ كانواـ يـتـحلـونـ بـهـاـ وـيـقـلـدـونـهاـ وـيـطـلـبـونـ تصـوـيرـهـمـ بـهـاـ ، كماـ فيـ لوـحةـ تـأـيـرـيـنـهـ ، لـفنـانـ Largilierـ ، اوـ فيـ لوـحةـ «ـ المـركـيـهـ اـولـمـارـتـانـ » اوـ فيـ لوـحةـ «ـ فـنـسـاـ لـدىـ السـلـطـانـ » اوـ صـورـةـ «ـ كـوـنـتـ فيـرـجـينـ » بـالـلـيـاسـ التـرـكـيـ .

ولاـ يـعـنيـ هـذـاـ ، انـ الفـنـانـ كانـ يـتـبعـ نـزـوةـ الرـاغـبـينـ بـتـصـوـيرـ اـنـفـسـهـمـ منـ العـمـانـيـنـ ، اوـ اـلـحـبـيـنـ للـطـرـزـ الشـرقـيـةـ ، بلـ انـ مـوـاضـيـعـ العـمـانـيـنـ المـشـيـرـةـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ ، وـعـادـتـهـمـ الـفـامـضـةـ ، وـحـيـاتـهـمـ الغـرـيـبةـ عنـ حـيـاةـ اـورـيـاـ ، كـانـ تـشـيرـ لـدىـ الـفـنـانـ الرـغـبـةـ الـلـامـحةـ لـتـصـوـيرـهـاـ ، لـماـ فـيـهاـ منـ جـمـالـ وـسـحـرـ وـطـرـافـةـ ، وـرـىـ ذـلـكـ وـاضـحـاـ فيـ صـورـةـ «ـ مـحـمـدـ اـفـنـديـ قـنـصـلـ تـرـكـيـاـ بـارـيسـ » الـتـيـ رـسـمـهـاـ رـيـغوـ ، وـصـورـةـ «ـ الـبـاشـاـ » لـفـرـاغـونـارـدـ شـكـلـ ٢ـ ، وـالـمـوجـودـةـ الـآنـ فيـ الـلـوـفـرـ . اـمـاـ الـلوـحـةـ الـمـوـجـودـةـ فيـ فـرـسـايـ الـمـصـورـ «ـ بـارـوسـيـلـ — Parouselleـ » وـالـتـيـ قـدـومـ الـقـنـصـلـ مـحـمـدـ اـفـنـديـ الـقـصـرـ التـوـيـلـلـيـ ، فـقـدـ جـمـعـتـ الـأـيـزـاءـ التـرـكـيـةـ عـلـىـ مـخـتـلـفـهـاـ ، وـمـاـ لـاشـكـ فـيـهـ اـنـهـاـ كـانـتـ وـاقـعـيـةـ إـلـىـ اـبـعـدـ حدـ .

وـلـمـ تـكـنـ قـصـصـ صـيدـ الـوـحـوشـ الـتـيـ يـتـناـقـلـهـاـ اـلـأـورـيـونـ عـنـ الـعـربـ ، إـلـىـ جـانـبـ حـيـاةـ الـخـادـعـ وـالـفـصـورـ ، إـلـاـ مـلـهـيـاـ فـنـانـيـهـمـ ، عـنـ تـصـوـيرـ المـرـوعـ مـنـ الـمـغـارـاتـ الـتـيـ كـانـ يـفـقـدـهـاـ الـأـورـيـ . وـمـنـ الـمـصـورـيـنـ الـذـيـنـ صـورـواـ مـغـارـاتـ الصـيدـ وـالـفـصـنـ ، لـانـكـرـيـهـ ، وـفـانـلـوـ ، وـبـوـشـيـهـ خـاصـةـ فـيـ لوـحـتـهـ صـيدـ الـاـسـوـدـ الـمـحـفـوظـةـ فـيـ الـلـوـفـرـ .

اماـ الصـورـ الـتـيـ اـخـذـتـ عـنـ قـصـصـ الـفـلـيـلـةـ وـلـيـلـةـ ، فـقـدـ كـانـ الـخـيـالـ يـلـعـبـ دـورـاـ هـاماـ فـيـهاـ ، وـكـانـ الـطـقـوـسـ الـمـعاـصـرـةـ تـسـجـلـ بـأـمـانـةـ ، رـغـمـ دـمـ اـنـطـبـاقـ تـارـيخـ الـقـصـةـ عـلـىـ تـارـيخـ الـصـوـيرـ ، كـماـ فيـ لوـحةـ فـانـلـوـ ، الـمـحـفـوظـةـ فـيـ الـلـوـفـرـ .

علـىـ اـنـ اـحـتكـاكـ اـورـيـاـ بـالـشـرقـ الـعـربـ ، لمـ يـكـنـ دـائـماـ لـيـتمـ عـنـ طـرـيقـ الـمـبـادـلاتـ التـقـافـيـةـ ، اوـ الـدـبـلـومـاسـيـةـ ، اوـ التـجـارـيـةـ ، بلـ كـانـ هـنـاكـ حـرـوبـ عـدـيدـةـ ، تـبـتـدـيـءـ بـالـحـرـوبـ الـاـنـدـلـسـيـةـ ، ثـمـ الـحـرـوبـ الـصـلـيـبيـةـ ، وـالـحـرـوبـ الـعـمـانـيـةـ وـحـرـوبـ نـابـلـيـونـ . وـكـانـ قـصـصـ هـذـهـ الـحـرـوبـ تـصلـ الـخـيـالـاتـ الـفـنـانـيـنـ ، اوـ انـ الـفـنـانـيـنـ اـنـفـسـهـمـ كـانـواـ يـرـاقـقـونـ الـتـجـارـيـنـ ، فـيـكـونـلـهـمـ زـادـ لـلـوـحـاتـ كـبـيرـةـ تـارـيخـيـةـ وـفـنـيـةـ ، كـلـوـحةـ «ـ جـمـوعـهـ مـنـ الـعـربـ » لـغـوـيـاـ «ـ وـالـمـادـافـونـ عـنـ الـقـاهـرـةـ » بـجـيـروـدـيـهـ ،



نابليون يزور المصاين بالطاعون في صيفنا
غروس

والمصابون بالطاعون في حيفا » شكل ٣ وهي اللوحة الكبيرة المحفوظة في الموارف ، والتي رسّمها غروس Gros ، وفيها صور نابليون وهو يزور احدى مستشفيات المصابين بالطاعون من جنوده ومن السكان . ومن المعروف ان غروس قد صور المئات والامكنته والازياز دون ان يرها عن قرب ، على أن هناك لوحات صورت مباشرة ، عند مراجعة بعض الفنانين لجملة نابليون نحو الشرق ، منها صورة « معركة أبي قير » الموجودة في متحف كوندي ، وصورة « حرب الاهرامات » التي قتل اتصار نابليون ، والمحفوظة في متحف فرنسا وراء البحار . وقد سار على خرار غروس بعض المصورين امثال غيران Guerin في لوحته المحفوظة في فرساي ، والتي قتل نابليون يكرم المدافعين عن القاهرة . »

ولقد كان غروس وغيران معلما الرومانتيين في الالفادة من المواضيع الشرقية، الاسطورية منها والحقيقة ، حتى اصبحت الرومانطيه تميز بالاطيام المستغرب ، أو جحسب تعريف الغرين بالاطيام المستشرق Brotique ، كما هو الأمر عند جيريكو ، ودولاكروا ، وفي رينيه Vernet في لوحته « الحمل » .

على، ان دولاكروا Delacroix ، وهو زعيم الرومانتيين ، كان اكثراً اهتماماً بتتبع اسرار

الشرق العربي ، فلقد سافر الى المغرب حيث سحر الصحراء والطقوس ، وحيث الانوار المذهبة والألوان الواضحة ، وحيث التقاليد والتحف ، وحيث الاسلام وقواعد ، وحيث صيدا والحوش الضاربة بسالة وشجاعة . وتنتقل دولاً كروا ين طبقة ومكتناس ، وسافر الى وهران والجزائر ، واقام في كل من هذه المدن مايزيد عن خمسة شهور . يزود نفسه وخاليه عاشهده وعاشه ، وقد بقى دولاً كروا يمتحن من كنوز ما ادخله في اقامته هذه حتى نهاية حياته ، ترکا اروع اللوحات الشرقية العربية . وخاصة منها مايتمثل الحياة الداخلية الخاصة ، كما في لوحة « نساء جزائرات » شكل ؟ و « مغربي في حالة الراحة ». ولدواً كروا صور كثيرة عن مغاربات العرب ، وعن الحريم والوصيفات ، رسمهن بملابس مطرزة جميلة .

ولم يكن انفر Ingres ، الذي سبق دولاً كروا في رومانتيته ، بأقل منه تأثيراً بعاداته الشرق العربي وآثاره ، ولقد تخيل « الغاريات في الحمام التركي » ورسم الوصفات ، كالوحة « وصيفة العبد » المحفوظة في نيويورك ، وهي حافلة بالمعالم والوجوه الشرقية ، ففيها المغربي والمصري والتركي .

ان موقع الشرق العربي الجغرافي ، كان يسمح دائماً ان يكون جسراً يصل الشرق بالغرب ، وان يكون مركزاً تجتمع فيه حسائل الناج في العالمين ، وكان من الضروري ان ينشأ سكان تلك المنطقة ، وهم العرب ومن معهم من دخل الاسلام ، على التجارة والنقل ، عدا ما كان يوجبه ازدهار الحياة من تصدير واستيراد ، يدفع بالناجر العربي ، الى المغامرة في مجال الحوض الايبي المتوسط ، او في مجال الشرقي الاقصى ، ولقد كانت المرافئ الشهيرة في ذلك الوقت ، كالبنديبة وجنه ومرسيليا ، قد تعودت على التعامل مع الناج الشرقي العربي ، واستأنفته واحترمت مقدمه ، بل ونظرت اليه على انه الانسان القادم من بلاد الشمس ، بلاد الاساطير الرائعة والحضارة الواسعة والثراء الذي لا يحيد . وكانت مرسيليا شرقياً فنادق مخصصة للعرب ، وفيها اسواق يتصدرها التجار القادمين من الشرق العربي ، وكان الفرسيون يتوددون الى هؤلاء التجار ، ويفضلونهم على سواهم من الوفدين ، لاستقامة سلوكهم ، وأهمية بضائعهم ، ويسحر مظهرهم وزيهם . وهكذا كان الفنانون في مرسيليا ، كما كانوا في البندقية ، يستفيدون من وجود هؤلاء الزائرين ، فنقوي عرى الصدقة بينهم ويكون من ناج ذلك لوحات خالدات ، كالي ترکها لنا بوفي دوشافان Puvis de Chavannes ، ومن اشهرها لوحته الكبيرة « مرسيليا مرفاً الشرق » وفيها البواخر العربية التي تحمل ركاباً من العرب المسلمين والنصارى ، وعليها طنافس شرقية ، وقد رتب ذلك بكثير من الدقة التاريخية مما يجعل تلك اللوحات ، وثائق هامة ، تفيد في تاريخ الحضارة العربية .

نساء جزائريات

دوا كروا



كذلك ترك لنا كورو Corot ، بعضاً من الموضوعات العرية الجزائرية ، التي اخذها عن الجزائريين الذين تعاملوا مع فرنسا منذ زمن بعيد .

وإذا دخل الشرق في حياة الرومانطيين مصدرأً هاماً ، فإنه أصبح بعد ذلك عند الانطباعيين ، وسيلة للاستفادة من الألوان الأصلية ، التي امتاز بها الشرق العربي ، ومن التور الساطع الذي اهتم به الانطباعيون وافتقدوه في أحواهم . ولكن الموضوعات الغربية كانت دائماً أكثر جاذبية عند الفنانين الأوروبيين جيماً .

ولقد ابتدأ مانيه بعض المراضيم الشرقية ، فرسم الوصيفه ورسم الخادم في قصور العرب والمسلمين ، كذلك اهتم « دوغا - Degas » ببعض الموضوعات الشرقية المثيرة ، فرسم العروس المسماة إلى جانب المقنية والجازية ، ومعهن حصان عربي ، وقد نظرن جميعاً إلى غدير يسألن عن حظهن وسعادتهن في المستقبل . كذلك صور بيسارو ورودون وتولوز لترك ، وبازي الذي سافر إلى الجزائر ، صوراً مستوحاة بصورة خاصة من المغرب العربي .

اما سيزان ، فقد حاول في احدى لوحاته المسماة « الباشا » ، ان يقلد لوحة الاوليسية ملائكة من جهة ، وان يستفيد من اسرار القصور في الساحل الجنوبي من حوض المتوسط .. على أنه لم يسبق أحد من الانطباعيين ، ما وصل إليه « رونوار - Renoir » في تصوير الموضوعات

الشرقية - العربية . فقد استفاد من اقامته في الجزائر ١٨٨١ - ١٨٨٢ في الجهاز موضوعات كثيرة واكثراً يمثل المرأة بجلالها وفنتها ، او في مجالس الطرف والرقص .

على ان اثر الشرق العربي في الفن الاوربي ، اصبح اكثر وضوحاً في الفن المعاصر . فقد ارتبطت الجزائر مع فرنسا ثم بعدها تونس والمغرب ، ثم اتتبت على سوريا ولبنان ، مما فتح المجال امام الفنانين الفرنسيين بصورة خاصة ، ان يزوروا هذه الاقطان العربية ، وان يقيموا فيها فيعيشوا عادتها وتقاليدها ، ويكتشفوا غموض الشرق من ورائها .

ولقد كان مatisse من ابرز من تأثر بال المغرب العربي ، بعد دولا كروا ، فقد زار المغرب واستسلم لفن العربي وتأثر به حتى آخر ايامه ، وقد ترك لنا صور الفوانيس مرتدية ، المقص المخلي بالجلواهر ، او الحائل الشائع المطرز بالذهب والفضة ، وعليهن الأساور والقروط ، وقد رسم ذلك بحساسية حارة صحراوية ، ولعل هذا كان سبب ترعمه المدرسة الوحشية التي اهتمت بالألوان الساطعة . ثم استفاد في اسلوبه من التوريق العربي Arabesque حتى اصبحت لوحته هدياً لكثير من الفنانين العرب للمعود الى فنهم الاصيل . وفي متحف الفن الحديث في باريس لوحة لمatisse ، قتيل جارية وقد ارتدت سروالاً أحمر شكل (٥) ، وقد اكد Matisse في حواشي اللوحة وخلفيتها ، على زخرفة عربية محقة .

كذلك سافر الى المغرب وطبيجه ، Zemil Matisse المصور ماركيه Marquet ، وبقي طوال الحرب العالمية الاولى يتبعون بين تونس والجزائر ومصر ، وقد ترك لنا الكثير من المناظر المماثلة لتلك الاقطان العربية ، ثم قام بعده الفنان الهولندي فان دوتفن بزيارة مماثلة الى تونس ومصر ، ومن اشهر لوحاته التي استوحاهما من زيارته تلك « امرأة من مصر » وهي صورة صادقة للمرأة الرشيقية ذات العينين الكحلتين الواسعتين وذات الرداء المحبب الطويل ، والأساور العريضة الملونة ، وقد حملت جرتها تضي بها الى العين

ومن الفنانين الذين زاروا شمال افريقيا ايضاً ، اوتون فريز Othon Friesz « الذي امضى هناك فترة ما بين الحرمين ، وترك اجمل اللوحات عن الحياة هناك ، ودينويه Desnoyer ولورسات Lurçat الذي اقام في الصحراء وفي المغرب ، ورأواه دوفي Duffy الذي اخذ بالطرز والعادات المغربية خاصة . وقد زار مؤرخ التكعيبية المصور اندره لوت Lhote مصر وشمال افريقيا ، واقام فيها زمناً ، وكتب عن الفن المصري تحليلاً رائعاً ، في مؤلفه ، « الفن في وادي الملوك . »

ومن الفنانين الاوربيين الذين صوروا في المغرب باسين Pesein و La Patellierre

امرأة ذات سروال أحمر

ماتيس



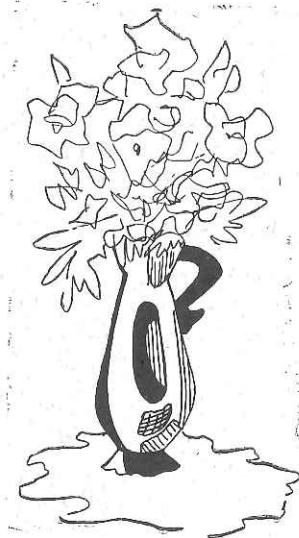
الذى اقام في تونس ، كما زار المغرب العربي عدد كبير من الفنانين ، منهم مارشان وبرتونه Augame Limouse وأوجام Berthoné .

اما بول كلي Paul Klee الفنان السويسري الالماني ، فان سفره الى تونس عام ١٩٢٤ قد غير مجرب ابداعه الفني ، كذلك افاده سفره الى مصر عام ١٩٢٩ — ١٩٢٩ كثيراً في ابتكار مجموعة من الاساليب التي اتبعها ، فلقد اخذ عن الفن العربي ، اغفال البعد الثالث ، وأخذ عن صناعة السجاد ، التخطيطات الهندسية التي نفذها في بعض لوحاته ، والتي حرص فيها على اظهار موضوعه باشكال تختلف باختلاف وضيع الماظر . ولقد كتب وهام هاوز نشطائين في كتابه « القيروان ، او تاريخ بول كلي » . الكثير عن جو الحياة العربية الذي جذب كلي وأثر فيه . ومنذ منتصف القرن السابق ، توافد على مصر والشام ، عدد من الفنانين الاوربيين ، واغلبهم من الفرنسيين . ويعتبر اميل برنار ، على رأس الفنانين المستشرقين الذين زاروا الدول العربية وخاصة مصر ، لكي يهيدوا من نور الشمس وتقاليد الحياة الجليلة ، ومن هؤلاء ايضاً « ديكام » و « كرايميله » ولكن « اميل برنار » الذي كان صديقاً لتولوز لوترك وغوغان وفان غوغ ، كان قد كتب كثيراً عن الجلو في الشرق العربي ، فأثار اهتمام عدد كبير من الفنانين الاوربيين ، واقام في باريس معرضاً لاعماله التي انجزها في مصر . ومن اشهر لوحاته المحفوظة في الاسكندرية « بائعة اللقمة » و« موسقيات » .

ومن الفنانين الفرنسيين ايضاً جيروم وتلميذه لينوار . وقد اقيم في باريس عام ١٩٤٩ وفي جناح الملوف معرض مصر - فرنسا ، ضم اروع مجموعة لاعمال الفنانين الفرنسيين في مصر .

على ان اثر الشرق العربي في الفن الاوربي ، لم يقتصر في الواقع على الفن التشكيلي والتصوير خاصة ، بل تعداه الى فن العمارة والفن التطبيقى عامة ، يidan مانسى اليه في هذا البحث الوجز ، هو حصر البيان في تأثير تقاليد الفن العربي على الفنون التشكيلية ، وذلك لكي يكون امام الفنان العربي المعاصر شواهد جديدة ، تؤكد لديه اهمية تراثه الفني من جهة ، ومدى امكان نشر هذا التراث المتتطور بتطور الحضارة الحديثة ، في العالم اجمع . وقد ثبت لدينا ، ان الاقبال على الاعمال الفنية ذات الطابع العربي ، في الاسلوب وفي الموضوعات وفي الالوان ، قد نجاحاً كبيراً في الاوساط الفنية العالمية .

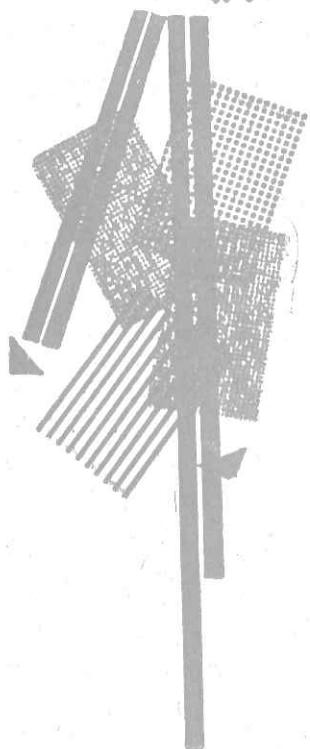
وما يهمنا في هذه المناسبة ، هو ان تطلق كفناين ، في مجال تطوير فتنا الأصيل ، لكي نساهم في تركيز اسس المهمة الفنية التي يعتبر جيلنا المعاصر مسؤولاً عنها .



مجلة المعرفة

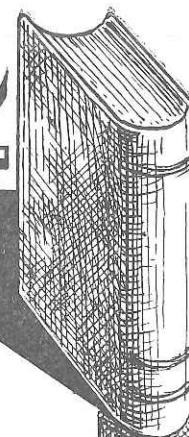
العدد

التيارات الفكرية
العربية والعالمية



كتاب الله

شراط



وابط السجين

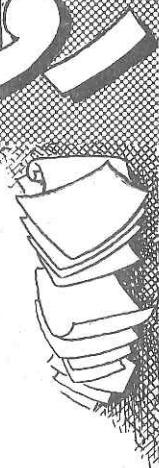
للكاتب الروسي دستويفسكي



عرض

وتحليل

صدر في اسماعيل



في شتاء ١٨٦٩ كتب ديسنوفسكي إلى صديقه الشاعر مايكوف : «منذ ثلاثة أيام بدأت بكتابه رواية .. بحثة «الرسول الروسي». وبعد شهرين كتب إليه ثانية : «لقد وقعت على فكرة غنية ، أحدي هذه الأفكار التي تترك أثراً عميقاً في الجمهور ، إنها من نوع «الجريمة والعقاب» ولكنها أساسية أكثر منها ، وأقرب إلى الواقع ، إنها تتناول مباشرة أهم المشاكل الراهنة .. لم أكتب من قبل في مثل هذه المتعة وهذه السهولة .». وكان ديسنوفسكي قد وعد «كاتلوف» مدير الجلة ، بان يوافيه بالفصل الأول خلال عام ١٨٧٠ ، ولكنه لم يستطع الوفاء بوعده . فخلال شهور طويلة لم يكتب أكثر من عدة صفحات .. وكتب إلى الناقد ستراخوف : «مامن كتاب أخذني هذا الجهد .» (١)

ولم يتحقق الصفحات الأولى من هذه الرواية ان تظهر إلا في شتاء ١٨٧١ أي بعد عامين . نشوء فكرتها عند ديسنوفسكي . وخلال هذه الفترة الطويلة التي تسمى عادة بـ «حملة الانضاج» ، كتب الكاتب الروسي الكبير ، خطوطه مسيبة تتضمن ملاحظات تحملية عن أشخاص الرواية . وهذه الخطوط كانت مسودة لرواية «الشياطين» التي تعتبر أروع ما كتب ديسنوفسكي من الوجهة الفنية ، وأعمق ما امتدت إليه تجربته الفلسفية .

. Boris de Schlozer — Carnets des « dérnons » 1954 (١)

ينطوي عليه الواقع الحياة ، حين يفقد
الانسان حقيقته الخلقة ، وتلتبس عليه
القيم التي تمنحه الجدارة والاطمئنان ،
عندئذ تستنده التجربة ، إذا صرحت — في
أكثر صورها قلقاً وضراوة . كتب دستويفسكي
في المخطوطة الفنية للقصة :

«نرواث عنيفة مهووسة .. ظمأاً إلى الشهوات جامح لا يرتوي ، ظمأاً إلى الحياة لا ينتمد. أنواع شتى من الشهوات ، وشتى وسائل الإشباع . الوعي الكامل بتحليل كل شهوة ، دون النظر إلى أنها قد تختازل ... ذلك لأنها تقوم على حاجة الطبيعة البشرية ذاتها ، بنية الجسد ، الشهوات الفنية حتى الارهاف ، شهوات التصوف ، شهوات الفقر حتى انتسول ، شهوات السرقة والاغتصاب . شهوة الاتجاه . »

وتشير مخطوطات ديسنتو يفسّكى الأولى، إلى أنه كان عازماً على كتابة رواية تصور جوح الغرائز في أقصى مظاهره ، وقد وضع لهذه الرواية اسم « حياة خاطئ » كبير « ولكنه لم يكتبه . والغالب أنه استبدل بها رواية « الشياطين ». ويرجع الاتهام المباشر في هذه الرواية إلى اكتشاف جمعية أرهادية عام ١٨٦٩ اقتربت باسم نيتشاريف أحد تلاميذ الفيلسوف الفوضوي باكونين وكان من ضحاياها طالب بريء ، وكان موته من الأحداث المثيرة بالنسبة للكاتب، ولكن شخصية

وعلى الرغم من أن هذه الرواية الظاهرة تخيّل عن كل شرح ، فإن الواقعية الفنية العينفة التي صورت بها الحوادث والأشخاص تستثير باهتمام القارئ إلى حد تكاد أن تتبدّل فيه خطورة أفكارها الأساسية . وهي تحبّس للتساؤلات الفلسفية الفقهية التي كانت تملأ نفس ديفيتويسكي وهو على اعتاب الخمسين من عمره .

ومع ان هذه التساؤلات تدور حول ناحية رئيسية هي مشكلة الایمان بالحقيقة الاخلاقية ، ومدى مانوغل فيه الميادة الانسانية من الفتن والشر والذباب ، حين يتزعزع الایمان بالحقيقة، فان دیستوفیسکی قد عرض من خلال هذه المشكلة تخریبة الوعي الانساني بصورة عامة : ما هو المعنى الحقيقي لوجود الانسان على الارض؟ وماذا استطیع من اجل صبره ..

رواية «الشياطين» في خطوطها العامة، هي تصوير مأساة التناقض في الاهواء البشرية؛ الجمود الشقي الذي

ديستو فيسكي الفنان حريصاً على أن يغفل جميـع
البرات في السلوك الانـــاني ، يقول في مكان
آخر من خطوطه :

«الامر الرئيسي انه طـوال
الرواية لاتشرح الاسباب التي جاء من
أجلها نيتـشـايف .» وفي كثير من
العبارات المتناثرة ، يـidi قـلـقـه من
الخروج على الفـنـ الروـائـيـ : «ابـةـ
فـوـضـىـ ! ..» . «ان اـكـومـ الـافـكارـ
واـحـصـرـهاـ ..» ماـذـاـ يـكـنـ انـ يـخـرـجـ
مـنـ هـذـاـ كـلـهـ ..? .. كلـ شـيءـ يـتـعـلـقـ
بـالـصـيـفـةـ ، يـحـبـ انـ أـخـلـقـ صـيـغـاـ «ـفـنـيـةـ»
تـسـتـوـعـبـ هـذـاـ الحـشـدـ مـنـ الـافـكارـ ..
«ـلـكـمـ تـبـدوـ جـافـةـ تـبـعـتـ السـأـمـ ..»
غـيرـ اـنـهـ يـتـبـعـيـ اـخـرـىـاـلـىـ هـذـاـ اللـونـ الـاحـيلـ
مـنـ الـوـانـ الـأـدـاءـ . وـهـوـ مـاـيـتـمـيزـ بـهـ فـنـهـ الـروـائـيـ
داـئـمـاـ :

«التفصيـلـ ولا شـرـحـ عـنـ نـيـتـشـاـيـفـ (أـوـ أـيـ شخصـ آخـرـ)ـ ،ـ بـلـ يـجـبـ الـاقـتـصـارـ عـلـىـ تـصـوـيرـ الـأـعـمـالـ الـيـقـومـ بـهـاـ ..ـ اـنـ اـجـعـلـ القـارـيـءـ فـيـ اـرـتـبـاكـ ..ـ وـعـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ يـاتـحـ لـلـشـخـصـيـةـ الرـوـاـيـةـ انـ تـسيـطـرـ عـلـىـ القـارـيـءـ سـيـطـرـةـ كـامـلـةـ ،ـ يـجـبـ انـ يـقـنـىـ بـالـطـلـبـ الرـوـاـيـةـ لـغـزـاـ غـامـضـاـ يـحـاطـ بـهـاـ مـنـ التـسـاؤـلـ

نیتشایف هي الی استارت باهمامه ، وقد وجد فيها خودجاً للشر الذي لايمك اي مبرر غير ان يكون غاية لذاته . وقد تهمص دیستوپیسکی نیتشایف فی مسودة الروایة یقول :

«الفكرة الرئيسية عند نيتاشايف هي ان لا تترك حجراً على حجر. هذا هو الاساسي ، بل الضروري اكثـر من اي شيء آخر . يقول الامـير : أصارحك بانه ليس من شأنـي ان أفـكر بـانـنا سـوف نـخـطـى بـحـيـاة جـيـدة أمـلا ، ولكنـها عـلـى كلـ حال سـوف تكونـ أـفـضل مـا هـي عـلـيـه الآـن ... ماـسـوـف يـحـدـث منـ تـلـقـاء دـاـهـه ، فـي قـرـن ، سـيـحـدـث الآـن دـفـعـة وـاحـدة ، لأـمـر أـسـرع بـكـثـير حينـ تـسـتـخـدـم البـلـطـة ، كـلـ شـيـء سـوـف يـكـونـ لـقـضـاء عـلـى الـانـقـسـام وـالـجـهـائـة . »

والامير الذي يوجه اليه الحديث هو نبيشايف نفسه . انهما شخص واحد ، يمثل ستافوروغين فيما بعد — البطل الاول في الرواية الـ كـاملـة . قال ديسـتوـيفـسـكي لأحد أصدقاءـهـ في ذلكـ الحـينـ : « ما أـكـتبـهـ يـعـبـرـ عنـ نـزـعـةـ فيـ أـعـمـاقـ ،ـ أـرـيدـ أنـ أـشـرـحـ نـقـسـيـ فيـ حـرـارـةـ ،ـ آنـ اـعـلـنـ كـلـ أـفـكـارـيـ » .. غير أنه في الواقع لا يـشـرـحـ شيئاـ ؟ـ فـنـذـ انـ يـكـسـوـ هـذـهـ الـافـكـارـ بـالـقـائـمـ الـحـسـنةـ ،ـ يـدـوـ

ولكي يتوصل المرء الى مثل هذا الموقف ،
لابد أن يكون قد أدان كل شيء .. اي فقد
الإيمان بكل شيء ، ومن ثم فانه لابد أن لا يقى
حجرأً على حجر .. ومن الطبيعي ان يكون
سلبياً مضطرباً تتحرك الريبة في جميع تصرفاته .
ولكن ستافروغين (نيتشايف في المخطوطة)
يبدو على القبيض . لفند توصل الى هذه الادانة
لانه صم على العمل من أجل الخلاص .. وهذا
التصحيم هو العنصر الانساني الوحيد الذي احتفظ
به ستافروغين في غمرة تحمله الخلقي الغريب . قد
تكون هناك غاية قصوى هي تحرير الانسانية
— كما يردد احياناً — ولكنه لا يفكر بها على
الاطلاق . المهم في البداية ان تقضي على الا كاذب
والترهات ... وكلمة الترهات هذه يطلقها
ديستويفسكي في المخطوطة على كل ما يؤمن به
الناس في الواقع المنسخ .. ومن أجل هذا
المهدف المهم تقوم المنظمة الارهادية ؟ وقد جلت
في قضية نيتشايف شعار الانتقام ؛ والمكلمة
الاولى هي العمل : يقول ديستويفسكي :

«... ويسأله أحدهم . فيجيب :
انكم تسألون كثيراً وتريدون ان
تعرفوا سلفاً ؟ فما لهموا ان هذا كان
حتى الآن يضيع الرجال العاملين .
سؤال — ولكن كيف لا اعرف سلفاً
وفي وضوح ما أريد ، وما أتحمل فيه

والانتظار ، ان لا يكون مسرحاً للخيال — كما
هو شأن الابطال التقليديين لقصة — بل تجربة
ذاتية للمقاريء نفسه . وهو ما يشير اليه سارتر في
معرض حديثه عن الالتزام في فن الرواية
مستشهدًا بشخصية ستافروغين ، يقول : «عندما
أقرأ ، لا أحلم ، بل أفك الرموز » ومن دون
هذا فلا معنى لكتابه الرواية — كما يقول
ديستويفسكي إنها تصبح ركاماً من الوراق
الجافة (٢) » على حد تعبير سارتر ايضاً .

بهذه الروح يتساءل ديستويفسكي في المخطوطة :
ماذا كان يريد نيتشايف ؟ لقد استقر لديه ان
كل شيء ينبغي ان يدمّر ؟ فالواقع الذي يحياه
الناس هو الشقاء الذي لا يحتمل . ذلك ما لا يستطيع
ان يتذكره أحد ، إلا اذا فقد احساسه بكيانه
الشخصي وزرواته وآلامه ، وما دام الشقاء هو
واقع الجميع ، فلابد أن تكون مظاهره الاولى
في طبيعة المجتمع . يقول نيتشايف :

«أن نلغى المعتقدات ، الزواج ،
الامرأة ، الملكية .. وكما ترى لأعرف
ماذا سيكون بعدي ... ولكنني
أعرف ان هذه الامور هي أساس
الحياة الراهنة ، وأن هذا الأساس
هو شر السموم ... ولكن ذلك يعني
الفاء المجتمع .. ومهمها يكن من أمر
فاننا نكون قد قضينا على السم ..»

يعرف أن ذلك يعني أن يفصل عن الارستقراطيين (وهو أمير في قمة هذه الطبقة) وعن دعاة الحياة الغربية وعن العدمين . ولكن المسألة لديه هي : من هواذن؟ الجواب : انه لاشيء . ان له من الذكاء ما يكفي لأن يدرك بأنه لم يعد روسيّاً ؟ ومن ثم فهو يجد انه ليس من الضروري أن يتمنى الى شبيهه ، وحين يجدو له ما في هذا الموقف من حماقة ، يقول : إني أ مثل ذاتي . ولما كان لا ينتهي لأي حزب فانه يستطيع ان يطلق احكاماً كلاية وان يصغي الى الجميع ولكن من أعلى . انه يستذكر ويتهمن ، ولكنه حين يفعل ذلك ، يسخر من نفسه ويشعر بالندم ... »

« يقول : يدهشني اني لا أستطيع أن أغيش كالآخرين . (الجواب : لأنـه يشعر بالتفوق عاليـم .) ولكن فكرة المؤلف هي ان يصور (انساناً) يرى من الامور المهمة ان لا تكون له جندور .. »

وعلى الرغم من ان ديمستو يفسـكي قد صور في الرواية هذا النموذج الغريب دون أن يحـكم على قيمة الإنسـانية وجـدارـته فقد حـرص على ان يـيزـ في شخصـيـته وعيـاً شاملـاً للقضايا الكـبرـى التي تـحيـطـ بهـ . فعلـى الرـغمـ من طـبـعـته العـقدـةـ ومـظـهرـهـ المـتـناـقـضـ ، كانتـ أفـكارـهـ غـنيةـ إلىـ أـبـعدـ حدـ ، وـكانـ يـوحـيـ بـأنـ لـديـهـ سـرـأـهـيـاـءـ

مسـؤـلـيـةـ اـرـتكـابـ جـريـمةـ؟.. يـحـبـ نـيـتشـاـيـيفـ : كـلامـاتـ فـارـغـةـ ، ثـرـثـاتـ . أـلـاـ يـكـفـيـ انـ تـعـرـفـ انـ كـلـ فـسـادـ سـوـفـ يـدـمـرـ ؟ وـلنـ تـكـوـنـ هـنـاكـ اـنـقـاسـاـتـ ، بـلـ سـوـفـ تـعـمـلـ اـلـاـنـسـانـيـةـ بـصـورـةـ مـشـارـكـةـ . »

كيف يفهمـ هـذـاـ التـناـقـضـ فيـ شـخـصـيـةـ سـتـافـروـغـينـ؟ التـزـامـ الحـرـيـةـ الـاـنـسـانـيـةـ وـالـعـنـفـ إـلـىـ حدـ القـتـلـ وـالتـدـمـيرـ؟ أـهـوـشـيـءـ فيـ الطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ؟ الـواـقـعـ اـتـ هـنـاكـ حـشـداـ مـنـ المـتـناـقـضـاتـ فيـ طـبـيـعـةـ سـتـافـروـغـينـ يـقـولـ دـيـسـتـوـيـفـسـكـيـ فيـ الـخـطـوـطـةـ :

« طـبـعـ سـتـافـروـغـينـ : جـمـيعـ الزـعـاتـ النـبـيلـةـ إـلـىـ حدـ الـاـفـرـاطـ الـخـفـيفـ وـجـمـيعـ الـأـهـوـاءـ الـعـنـيفـةـ ... الـخـ .. يـعـتـدـيـ عـلـىـ الفتـاةـ الصـغـيرـةـ «ـداـشاـ»ـ بـدـافـعـ الـإـنـانـيـةـ ، وـلـأـنـهـ يـكـرـهـ مـسـاعـدـةـ الـآـخـرـينـ، بـلـ لـأـيـوـمـ مـنـ بـهـ عـلـىـ الـأـطـلاقـ .. »

ويـقـولـ عـنـهـ فيـ مـكـانـ آـخـرـ : «ـ . ، شـخـصـيـةـ خـيـالـيـةـ غـامـضـةـ ، بـحـبـ الـعـالـمـ وـيـسـمـعـ جـمـيعـ النـاسـ ، لـكـيـ يـؤـكـدـ ذـاهـهـ .. ، وـيـعـرـضـ جـانـبـ آـخـرـ مـنـ طـبـعـتـهـ : «ـ آـنـهـ يـسـامـ ، يـوـيدـ السـمـوـ، وـلـكـنـ

يقول دستويفسكي عنه: حين اثار
فكرة «احراق كل شيء»... خروج
بالتالي:

١ — ان الاشخاص العاملين الذين يعتبرون هذه المسائل فارغة ، ويررون ان الحياة ممكنة من دونها ، هؤلاء هم من العوام ، حشرات ، هشيم للنار .

٢ — ان الأمر يتعلق بمسألة رئيسية ، هل يمكننا الاعتقاد بأننا متعدون ؟ التاريخ يحث بالوقائع على هذا السؤال . لا ، لا يمكننا بذلك .

٣ — هل هناك اخلاق اخرى ، قائمة على العلم : تعتبر ممكنة ؟ اذا كان مستحيلاً ، فالاخلاق الممكنة اذن هي في اعماق الشعب .

ذلك هي التساؤلات الواضحة التي يقف بها ستافروفين في البداية امام الآخرين . وبين هؤلاء شخصية ن . ب ميليكوف (ليبوتين في الرواية) موزع لرجل المبدأ، يصفه دستويفسكي في الخطوط ،

« انه رجل فكورة ، العقيدة ثلقة»
وتحتلها على نحو متميز ، ذلك انها لا تستسيطر على ذهنه فحسب ، بل تتجسد فيه ، وتتحول في كثير من المعانة والألم . الى طبيعة في كيانه ... ومنذ ان تستقر لديه الفكرة ، فانها تلزمها بان يحولها مباشرة الى سلوك ..

كما جاء وصفه في الرواية ، « كانوا ان وجهه يشبه قناعاً » (١) ، ثم أبدى الوحش مخالبه » (٢) . ومن خلال هذا المظهر تلوح الفضية الاخلاقية على هذا النحو الغريب .

« كثيراً ما فكرت في الانتحار ، وفي كل حين كانت تأتيني فكرة جديدة: مثلاً اذا افترق الانسان جويبة أو عملاً يدان من أجله ، او اية نذالة اي شيء بعد من الخazzi ، تحفظ الانسانية ذكراء مدى اجيال ، وبتصدق عليه ألف عام .. ثم تأتيني الفكرة: رصاصة في الرأس ويهي العار الى الأبد .. وماذا لهم العالم بعد ذلك .. » (٢)

والحقيقة ان تجربة ستافروفين هي تجربة الوجдан الانساني الذي انهارت فيه جميعقيم ، ولكنه احتفظ بهم واضح لمسألة انهاره . ومن ثم كان استهتاره الجامح وثرواناته الشريرة ، كان شفاؤه الذي جسده عذاب الجميع ، « العذاب انه جداره الانسان » ومن خلال هذه التجربة ثار جميع المشاكل الحقيقة على نحو فاتعنيف ؟ وليس ستافروفين هو الذي يثير هذه المشاكل بل الآخرون . كان مشروعه الخطير ، اشبه بالنور الكاذف ، ايقظ في نفوسهم جميع التساؤلات الفلسفية .

ويقول عنه ايضاً :
« ان تبديل المعتقدات لديه يعني
تبديل الحياة ايضاً .. »

ويبدو هذا الموندج لأول وهلة ، صورة مناقضة لستافروجين الذي ينكر كل اعتقاد ، ولكنها يتلقيان في العمل المشترك ، لأن « ن.ب. » كان في مرحلة من القلق ، وليس غريباً أن يكون الشك في طبيعته رجل المبدأ . يوضح ديسطوفيسكي : « مادام صاحب فكرة او مبدأ ، فلا بد من أن يرفض ما يورثه الواقع « الملوث » ان ينفصل عنه كلياً .. »

ويصفه بقوله :
« وسرعان ما أصبح ربيعاً على
نحو رهيب ، ينكر كل ما لا يؤمن
به ، اي ينكر « الشر » ويتحداه .
وحين يبلغ به الأمر ان يدين كل
شيء ، ويريد أن يحيى « فكرته » لم
يكن له الا ان يحرق وراءه جميع
السفن .. »

وبذلك كان صالحـاً للمشروع ، فلا أهمية
لنوع الفكرة التي يؤمن بها الإنسان مادامت قد
دفعته الى الرفض .
ولكن **ليبوتين** يرتبط بالاشخاص

الآخرين على نحو اكثـر قوـة ، انه يلتـقي معهم في اكثـر الاحيان ، ولكـنه لا يـستطيع التـحرر من تأثير ستافروغين . من هؤـلاء مثـلاً غـرانوفسـكي (كان في الواقع استاذـاً في جامعة موسـكو يـمثل التـزعة الى الغـرب « اـن تـبني الحـضـارة الـاورـوبـية بـكـل مـا فـيهـا ») غـوزـج القـلق الـذهـبي وـتوزـع الـمـيلـول ، الـانـسان الـذـي يـخـضـع لـجـمـيع الـمـؤـثرـات ، انه في المـخطـوطـة شـخـص لـأـهمـيـة له ، وـقـتـله الـرواـيـة في صـورـة مـتـناـفـسة ، تـهـمنـ عليه فـكـرة الـكـرـامـة الـشـخـصـية ، إـلـى جـانـب التـرـدد والـجـنـب ، والـاسـتـلـام لـارـادـة الآخـرـين . وـعـلـى الرـغـم مـن هـذـا الصـدـع فـهـو يـخـلـق الـقـسـم الـأـكـبر مـن التـحـلـيل في صـفحـات الـرواـيـة . وـاـحـيـاناً يـدـوـ شخصـيـة رـئـيـسـية ، وـيـحـمـل اـسـم : سـيـفـات تـرـومـفـيمـوـفيـتش : ان طـبـيـعـة الـاـنـفـاعـيـة الـمـذـعـنة تـجـعـل حـيـاته سـلـسلـة مـن الـأـلـمـ والـرـيـاء .. يـقـول عـلـى فـراـش الـمـوت :

« لقد كـذـبـت طـوال حـيـاتـي .. »

« ان قـانـون الـوـجـود الـاـنسـانـي » يـقـوم كـلـه ، عـلـى ان الـاـنـسـان يـسـتـطـع ان يـنـحـيـ دـائـماً اـمام شـيـء عـظـيم بـصـورـة لـأـنـهـيـة .. وـحـين يـحـرم الـأـدـمـيون مـن هـذـا ، فـانـهـم لا يـرـيدـون حـيـاة .. وـيـتوـتون فـي الـقـنـوـط .. » (١)

ذـاك ان طـبـيـعـة الـاـنـسـانـية تـطـوـي عـلـى الصــائـلة وـالـمـوـانـ . وـلـكـن هـذـه طـبـيـعـة ذـاتـها ، تـبـدو عـلـى نـحـو مـنـاقـضـ ، فـي شـخـصـيـة شـانـوـفـ وهي تـخـلـ

يكتنها للشعب دعاء الخضارة الغربية . . . ويسأل -
ولكن الجميع تحت الوصاية ، كما هي حال الشعب .
فيجيب - ولكنكم تعلمون ان الجميع تتكرروا
لوطنهم إلا الشعب ، الشعب لا يكتره وطنه يبدأ . . . »

ويوضح شاتوف هذه النظرة في الرواية .

« هناك قوة اخرى ، غير العقل والعلم ، تكون بها الجاهير وتتحرّك ، قوّة مهينة فعالة ، ولكنها مجحولة غير مفهومة .. إنها الرغبة الملحّة في الوصول الى غاية ، وهي في الوقت نفسه تتجاوز كل غاية .. إنها روح الحياة - كما يقول الكتاب المقدس - .. إنها المبدأ الديعي كما يقول الفلاسفة والمبدأ الأخلاقي ايضاً .. ان هدف الشعب في كل حركة جماهيرية هي البحث عن السبيل (الخاص ٠٠٠)»

ولهذا تحمل يقطة الشعب شعوراً متميزاً برسالة شاملة بقيادة العالم ...

ويبدو ان هذا الایمان بالشعب كان من العناصر الأساسية في موقف **ليستو يفسكى** نفسه؛ وكان يبلغ احيانا حد الصوفية القومية، الثقة بقدسيّة الشعب وجدارته، وهي الكلمة الأخيرة التي يقوّلها ستافروغن، في الخطوط طة:

«ان وطننا هو تجسيد للروح الارثوذكسيّة،
وسكناه فلاحون (كلمة فلاح بالروسية
تعني الصليب) . الرؤيا؛ وحكم
الآلاف عام . ثم السيطرة الرومانية البغي ،

الطرف الآخر في هذا الارتكاب . انه يؤمن بالقيم الاجتماعية وبالشعب . ولكنها يملأ وعيها عميقاً بالسقوط الذي يعيش فيه الجميع ، وترتبطه بسماق وغين اولاً فكرة التحرر : الانسان الجديد . كتب ديسويفسكي في المخطوطة .

« ان فكرة الحرق والتدمير كانت تعذب فينشايف كان يخشى ان يكون عديماً ، ومن ثم اجلأ إلى شاتوف من أجل « المشروع » ولكن شاتوف تردد . فسخر منه نينشايف . . . بعد ذلك قلل شاتوف على الأسر . . .

و الواقع ان شاتوف كان الضحية البريئة في الرواية .. كان غروراً بغاً للانسان الحصيف الذي يرتبط بالواقع ارتباطاً انسانياً واعياً . مهما تكون الحياة مظلة مزععة البنية ، فانها تطوي على أنسس راسخة لاسبيل الى تحديها ، هذه الأنسس يغلبها الشعب هول :

«ان وصايتنا على الشعب وانفصالنا عنه قد كشف لنابي وضوح أولاً : انه
لادعامة مجتمعنا بمحاول الدفاع عنها ،
ثانياً : ان هذا المجتمع يكره الشعب
لانه (اي الشعب) يملك دعائيم متينة
يتصدى للدفاع عنها ، ويحييا حياة
متلئة ... اجل اتنا نكره الشعب لأن
حياته ممتلئة» ويستطرد دبستوفسكي :
« كان شاتوف يتحدث عن الكراهة التي

الحس الأخلاقي ، ان يتتجاوز الإنسان حدود نفسه من أجل القيم السامية ..
ولكن الإنسان عاجز عن هذا السبيل ، لأنَّه سجين تراثه ومصالحه ، وبذلك يبدو الحال أَمِّراً مستحيلاً : حتى الذين يশرون بالمستقبل ، وهم يعيشون الانهيار ، يفشلون على نحو مضحك .
يقول ديسنوفسكي :

« في هذا المجال ، ليس للفن انت يعطي كلاماً أخيراً إلا في صورة دون كيمشوت . »

ولكن شيئاً واحداً يمكن أن يكون نقطة البداية ؟ هو رؤية الحقيقة ، وذلك ما تقبله الشخصية الأخيرة في مسودة هذه الرواية ، وبثباتها كيريلوف . يكتب عنه :

« عند كيريلوف : فكرة شعبية :
أن يضمن بنفسه مباشرة من أجل الحقيقة ... التضحية بالنفس ، وبكل شيء في سبيل الحقيقة : تلك هي السمة القومية للجيل ... لأن الفضيحة كلها تقوم على أن تعرف ما يعتبر حقيقة . ومن أجل هذا كتبت الرواية .. »

ولكن كيريلوف في الرواية يردد أمام الحقيقة ، فحين تكشف الأمور في واقعها الفاجع ،

يفك الإنسان هذا الموقف المرعب :
« تصور صخرة معلقة في الفضاء ، فوق رأسك

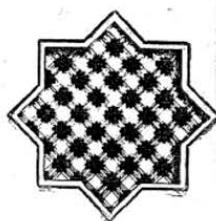
الخضوع لأوربا ، للحضارة ، اللعنة الأخيرة التي جرها اصلاح بطرس الأكبر ، ولكننا سوف نفهم ونحطم أغلال أوربا التي ضيق علينا الخناق من كل جانب . وسوف يتبنّ العـالـم ، الكرة الأرضية كلها ، ايـة روح عظيمة تأني فـنـا ، من الشرق ، فتحـرـك الجـاهـير الـأـورـيـة لـجـدـيدـ العـالـم . ذلك هو خطاب الـأـمـير (ستافروغين) . ثم يذهب إلى بطرسبورغ ويشنق نفسه . »

والواقع أن هذا الموقف يصدر عن حقيقة أساسية يوضحها ديسنوفسكي في المخطوطة ، على النحو التالي : كل اصلاح جنري ينبغي ان يكون طبيعياً ، عودة الى شيء من الفطرة في حياة الشعب ، أما الاصلاح الذي يفرض من فوق فانه لا يجدي نفعاً ، كل اصلاح يفرض إلغاؤه يقوم على فكرة « الحقوق » وهناك حقيقة أولى في حياة الشعب ، هي ان الطبيعة البشرية تتطلب شيئاً من روح التقديس ، اي ان على الشعب ان يسمو على حياته المتربدة « ان يتوجه الى الانهائين ... لحقيقة الثانية ، ان الحقوق — منها تكن فائمة على المساواة والعدالة — تبقى الانسان كما هو ... عليه ان يتعلم كيف يتخلّى عنها بلء حريته . ليس في ذلك شيء من الحرمان وال العبودية ، أو لا ، لأن التخلّي يكون طوعياً ؛ ثانياً لأن الجميع يتخلّون ؛اما الذين يرفضون (وهم الأقلية) فانهم يجاوبون الحرائق والدمار . بعد ذلك يصبح البشر اخوة . »

تلك هي صورة المستقبل كما ينتهي اليها ديسنوفسكي في المخطوطة مستندآ الى دعامة أساسية هي

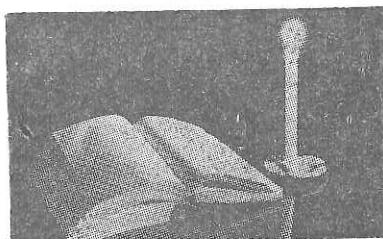
هي العذاب ، إنها الرعب ، والانسان كائن شقي كل شيء في هذه الأيام رعب وعذاب ، والانسان اليوم يحب الحياة لأنه يحب الألم ... بل ليس الانسان في هذه الايام مasicكون .. سيكون ثمة انسان جديد ، سعيد ، فخور .. سواء لديه ان يحيا او لا يحيا .. هذا هو الانسان الجديد ، انسان المستقبل ... « (٢) »

قاماً صخرة كالست ، كالجليل ترن ملايين الاطنان ..
ويكفي ان تسقط على رأسك في كل لحظة . « (١) »
ويقول الرواية :
« ان الانسان يحاف الموت لأنه يحب الحياة ..
هكذا أفهم الامر ، وهذا ما تريده الطبيعة ..
نيجيب كيريلوف :
« بل هو الجبن .. هو الذي يخدعنا ، الحياة



-
- (١) الرواية صفحة ١٠٧
(٢) الرواية صفحة ١٠٨

في المكتبة العربية



وآخرون عاشوا في ظلال النسخ الحسية
يكتبون تجاربهم الذاتية وخلجات عواطفهم البدنية ..

ثمة شعراء جعوا بين « الذاتية »
و « الموضوعية » فكانوا متباوين مع مجتمعهم
ومع تجاربهم الذاتية في آن واحد ..

وربما كانت هذه الفئة الثالثة أكثر عدداً ،
واوفر انتاجاً . وأوسع آفاقاً ، وبعد مدى في
فهمها معطيات الحياة بشتى اسرارها وملتوياتها ،
وفي تفهم واقع المجتمع بشتى ظواهره و مختلف
تياراته ..

ولا اعلم كيف خطر لي هذا التقسيم ، او
هذا الصنف لمذهب الشعراء وهم اناس ما كرهوا
 شيئاً كرههم لقيود ، وما احبوا شيئاً حبهم
للحريه والانطلاق ..

نعم ، تسائلت كيف خطرت لي هذه الفكرة ،
ثم رأيني أقف طويلاً إزاء دواوين حديثة ..
وإذا بي مع شعراء « موضوعيين » وآخرين
« ذاتيين » ، بكل مافي الموضوعية والذاتية
من ضيق قارة وشمول قارة أخرى

مع الصيرفي في ديوانه الجديد
صدى ونور ودموع

عنده وتعليق : مامي الكيلاني

لشنرنا المعاصر دور متميز في التعبير عن
الكثير من هوا جسنا وميلنا واهوانا وتجارب
هذه الحياة التي نعيش في خضمها الراهن ..
وأثره المباشر غير منكور في انتفاضاتنا
وثوراتنا وسير تطورنا سواء أكانت هذه
الانتفاضات والثورات فكرية او اجتماعية
او قومية ..

وشعراؤنا المعاصرون أكثر من ثقة واحدة .
شعراء تجاوبوا مع تيارات التطور الاجتماعي
والثوري ..

وقبة ثلاثة تجمع بين المذهبين . .

فديوان نزار القباني الأخير « جبيتي »
ديوان ضم مقطوعات متفرعة من صميم ذاته من
حبه ووجوده ، من أهياته والاعييه ، من عبته
وميادله . . .

الأخير « اصفاد واغلال » من الاخوانيات
واللوجديات واقتصر على كل ما يخص احداث قومه
هذا الشاعر اكثرا من ديوان واحد في الطبيعة
والشوق والوجد - الطبيعة المختلة الباسمة ،
والشوق الاهلي المتقد .

وال وجدان التأثر الذي يرسم اختلاجات الذات
في ذهونها العفو و يقطنها العنيفة معاً ..

ونجد عند كل شاعر من شعرائنا هذه
الارتسمات اللطاف التي تصور تجاويمهم مع
مجتمعيهم ، إلى تجاويمهم الذاتية مع الحالة .

منهم من عمد الى الرمز، ومنهم من كان صادق التعبير عن «واقع» حجب باطئاً من الخيال المأهف الذي لا يحمد افق.

وفي كلامي عن الشعراء المعاصرين اقضى

لخطات قصاراً مع شاعر من جماعة أبواللو — هذه الجماعة التي أسسها المرحوم احمد زكي ابو شادي قبل ثلاثين سنة ١٩٤٢ .. والتي ضمت صفوة من شعراء الشباب في طليعتهم علي محمود طه وابراهيم ناجي رحمة الله — وصالح جودت وحسن كامل الصيرفي وغيرهم من الشعراء الذين جعلوا وكرهم السمو بالشعر العربي من « موضوعية » شعر القダメي الى « ذاتية » الشعري الجديد .. اي الى وحدة الفصيدة ، والابداع ، وتصوير مذاق النفس بصور جديدة لا تختبر صور الماضي ولا تردد المذاق القديمة ..

نعم ، اريد ان اقضى فترة مع شاعر من هذه الجماعة — مع حسن كامل الصيرفي في ديوانه الاخير : « صدى ونور ودموع » .

ففي قصائد هذا الديوان اصداء نفس عاشت
بين الحال والاطياف ، بين الحب والوجود ، بين
النغم والصدى ، وتبين ادق نحس ان الشاعر
عاش حياته مع الطيف والوجود والصدى اكثر
اما عاش مع الواقع والحب والنغم .

ويدرك القاريء من المماعي الى هذا ان
الصيغة عاش في « صوفية من الوجود » أكثر
ما عاش في « جحيم الوجود » فما يكاد يقترب من
المرأة .. اريد من أنوثتها المصارحة حتى يتبعده
عنها الى عالم الشعر يرسم اخلاقيات نفسه ونبضات
فؤاده ..

انه يخاف الاستسلام الى اغرائهما وفتنهما
فيكتفي بالنظرة يتأمل ملأحتها ، ويستسم لفتحجها
ودلالها ، فنصف احساسه . عنة الشاعر الذي

انه دائمًا في خوف من نعيم المرأة الذي يتزاءى
له قريها جحيمًا !

حسبه منها ان يعيش مع الطيف والنغم .. ان
يتأمل الجمال دون ان يتملاه !

ففي قصيدة « الى وكرك ياقبي » يتجلى هذا
الخوف بأجل معانه .

فهو اشبه بالفارasha التي تحوم حول النور وتحاول
ما استطاعت ان تعيش قرية من الاضواء خشية
الاحتراق بالوهج ..

الى وكرك ياقبي
في وكرك احلامك
تعانق فيه ما يوح
يه من شعرك المهامك

* * *

ويقول :

فقد تسحرك الدنيا

فتسنيقط آثامك
اذاماحدت عن وكرك
ك، اوغرتك اوهامك

ويكرر هذا النداء في ثلاثة مقاطع : فهو
يختلف على قلبه ان تجنّ الدنيا حوله حيث
لا وحي ولا عقل ! ولا شيء الا الكتوس المرة
والشهوة العمياء .

الى وكرك ياقبي
فان الليل خداع

يقدس الحال لا برعشة الحب الذي يغوص الى
الاعماق ..

ف الحديث تلفوني ينساب في اذنه من فتاة لا يعرف
عنها شيئاً يشيره ويزره فيكتب اثر هذه الرعشة :

يأنفمةَ رنت
في مسمع الشاعر
ياطيب ماوحت
من خاطر ساحر

* * *
ان غرّد الببلِ
في هدأةِ الاسداف
وصفقَ المجداف
في صفحة الجدول :

فصوّتك المرسل
انفاصُه اطیاف
تطوف في دلٌّ
في مرقص الليل
كشّرد الاحلام
براقة الاجسام
من عالم الوهم

صوتها الساحر الذي انسابلى اذنه جعله يعيش مع
عرايس الالهام .. ولا اعلم ماذا يكون احساس
الشاعر لو خلا بها بعد أن أثاره صوتها ؟

.. .

ترى الاوضوء ساحرة

و هذا السحر ايقاع

وهذى الفتنة الحيرى

غوايات واطماع

وهذا الحب ياقابى

ملذات وإمتاع

وهذى حبة الجنّا

ت تلهو بالألى انصاعوا

فعد للوّكر ياقابى

فلا تشقى وتلتاع

أ يكون هذا الخوف نتيجة تجربة فاسية ذاق
مرارتها الشاعر .. ام انه محض تصوف
شاعري ؟

ولا اتهم الشاعر بل اميل الى ان خوفه نتيجة
تجربة فاسية ذاق مرارتها من احدى الفاتات
فولدت عنده هذا الخوف الذي نراه في الكثير
من مقاطع شعره ! ..

* * *

ويترك سحر المرأة ليعيش في كف الطبيعة ..
من روضة الى روضة ، ومن اريج الزهر الى
اغاريد الببل .

في قصيدة «الليل» لا يحدثنا عن اغاريده
بقدر ما يحدثنا عن هذه المهموم المكبوتة في
صدره ..

فقد جاء الربيع ، وانتشت الدنيا ، وكل شيء

باسم ويفرد ويصدق ، وهو في ثورة عارمة من
الوجود يريد ان ينطاق وان يعبر عن ثورة
احاسيسه ولكن خوفه من الام ، او من عذاب
الحب الذي اكتوى بناره مرّة هو الذي يعيده
الربيعطلق قد آب
ولكني مهيبض

* * *

الربيعطلق قد آب
فمن لي بريسي ؟
سمات النور في
عيني وارتها دموعي
وظلال الراحة المسماحة
مالت عن ربوعي
وَلَهَا الطير قد
غضّت بغير افق النجيع
فدعوني صامتاً .. ادفن
في الصمت نزوعي
ما الربيع الحق الا
خفقات في الضلوع !

حتى هذه المخقات ظلت حبيسة في صدره فلم
يستطيع ان ينفك عن كربه ، فجعل الكلام على
لسان الببل الذي طلب اليه ان لا يصمت ، وان
لاميزن ، وان يفرد ..

فوجّه الارض في الربيع يضحك ، والدنيا

- ١٩٦ -

ضمير الشاعر فكتب قصائد غاية في القوة وصدق التعبير . وكثيراً ما يناسق الفارق في بعض قصائده دموع الشاعر ووجبيه وهو يصف تلك الاحداث الرهيبة وصفاً رائعاً ، فمن قصيدة « شريعة الغاب » قوله :

وحشية نسبت للوحش ظالمة
فالوحش يأنف مما جاء اذناب
دنيا الحضارة عادت من فعالهم
احط ما وصفت - ظلماً - به الغاب
العلم - وهو اداة الخير - سخرره
للشر مستعمر باغ وسلامٌ
والعلم مالم يصننه العقل من فتنٍ
فنساك العلم دجال وكذاب
تمضي القرون ووحش الغاب يستره
قفاع وهم من الانسان خلاّب
ولن تغير من اطياعه أبداً
ديانة ، وتعاليم ، واحقاب
وهو متفاعل مع الاحداث القومية الكبرى
وله عدة قصائد تعبر تعبيراً صادقاً عن شعوره
وشعور قومه بل شعور كل عربي يخوض معركة
الحياة مع الاستعمار .

* * *

واحساسه الذي نحو من اصطدام بوده
وربطت بينه وبينهم قرابة الروح والفكر عدا
انسانه واقرباته - ان هذا الاحساس يبدو قوياً
صادقاً في روايته .

كلها تضحك الا الشاعر الكثيب النفس، المجروح
الفؤاد والنبي :

تضبت فيه الاماني
بعد ان كانت تقىض
انا ان غررت او نوحت
هل يعني القرىض ؟

* * *

سمات النور في عيني
وارتها دموعي
وظلال الراحة السمححة
مالت عن ربوعي
فدعوني صامتاً ..
ادفن في الصمت نزوعي
مالربيع الحق الا
خفقات في الضلوع !

حقاً ما الربيع .. وما هجنته اذا خدت جذوة
الحب من قلب الشاعر ووقفت خفات ضلوعه !

* * *

ان ديوان « صدى ونور ودموع » يضم
قصائد ومقاطعات شتى من احساس الشاعر في
شتى الوان الحياة .
ولئن طفت « الذاتية » في الكثير من قصائده
فشعره « الموضوعي » ليس بالقليل .
فقد صر الشرق العربي بأحداث جسام هزت

والقصيدة تصور المراحل التي مر بها الدكتور
 ادم ومتنازعه الفكرية والتهم التي الصقت به
 وموقف خصومه الذين حقدوا عليه
 الحقد داء الشرف اعيا بُرئه
 طبَّ الأُسْأَة وحِكْمَةُ الْكَهْنَان
 العبرية من أذاه جريحة
 في كل مرحلة وكل زمان
 منسية الآثار ، ضائعة الصدى
 مخدولة الانصار والأعونان
 خذلوك والدنيا اذا لم تسقها
 كأسَ الرياء جزتك بالخذلان
 وكما بكى صديقه ادم بكى اصدقاؤه الشعراء
 الذين حملوا مشعل مدرسة ابواللو - رئي احمدزكي
 ابو شادي وعلى محمود طه وابراهيم ناجي وغيرهم
 من تجاوب معهم في الروح والفكر .

وهكذا ، فقد ضم ديوان الصير في أكثر من
 الألوان والازهار والمدوع التي يترقرق في كلاتها
 الحب والشوق والوفاء ، الى ما تفرضه احداث
 الحياة على الإنسان من اثارة وبغض وحقد على
 او لئك الذين يريدون ان يسلبوك حياتك ويقوضوا
 مقدساتك ويزلزلوا كيانك فتنقلب الكلمات
 والتأملات وهجأ من سعير ونار .. وهذا ما تمسه
 في شعره القومي الذي يمثل تجاوبه مع الاحداث
 اصدق قليل .

ولا يتسع المجال لأنصف وقفات طويلة مع تلك
 البرات التي تصور لنا اسطورة الحياة
 بأكاذيبها بل حسي ان اقف قليلا مع قصيدة
 « الفكر الهايد » الذي صور فيها مصرع فقيد
 الذكاء والعلم والادب الدكتور اسماعيل احمد
 ادم الذي انتحر زاهدا في الحياة بقذف نفسه
 الى اليم صبيحة اليوم الرابع والعشرين من شهر
 قوز ١٩٤٠ .

عمر كلاماع الشهاب طوى الدُّنْيَ
 حتى تعثر في دجي الاشجان
 لو مد فيه أتى بأروع آية
 لكنه قدر من الرحمة
 وبعد ان وصف ملامح حياته ولوامع موهبته
 والاسقام التي صارت له اشار الى معركة الفكر
 التي خاضها مع خصومه يقوله :
 لما اقتحمت على العقائد بابها
 وبسطت رأي الباحث الحيران
 قامت عليك قيمة الدين الله
 والدين أثمن ثروة الانسان
 لو نقشك وجادلوك بحكمة
 وهوادة وترفق وليأن
 لرجعت عن رأي تبين خطأه
 وزلت عن دعواك بالاذعان
 لكنهم شنوا عليك حربهم
 ولقوك باليداء والعدوان

تاریخ الادب العربي

بلاشير « تاریخ الادب العربي من نشوئه حتى
اواخر القرن الخامس عشر الميلاد » ، وقد طبع
منه حتى الآن الجزء الاول الذي يحوي كتابين
يبحث في أحدهما الحيط العربي وسكانه والمؤثرات
الخارجية والتيارات التوحيدية ونشوء الكتابة
العربية مع بحث صاف عن اتخاذ لهجة عربية كلفة
أدية . أما الكتاب الثاني فيدرس الادب الجاهلي
من حيث تدوين النصوص وروايتها وجمها
و دراستها دراسة نحوية ولغوية وقدها ثم قبولها
أو رفضها في حالة عدم الثبات من صحة السند
أو صحة النص المروي .

يتألف المجتمع العربي لعرب الشمال من قبائل
عديدة يعيش أكثراً على المجرة الدائمة وانجاع
أماكن الكلاً وهذا ما جعلهم يلتجؤون إلى القوة
واليقظة الدائمة والحساسية بالكلمة والتضامن مع
الجماعة . على أن قوى الطبيعة الغالية على الصحراء
غرست في العربي قدرية عميقة يستحيل همها
المناضل الصلب الى حكيم يستسلم للدهر ويجد فيه
العبر . وقد تتوجه عن ميل العربي إلى التجسيس أن
تعددت آهاته وتشخصت على شكل قوى تتمكن
في الأشجار واليانيع والفالوات . عدا بعض
المرآكز الحضرية التي عرفت التوحيد . وكانت
بلاد العرب الجنوبيّة أهم المرآكز الحضرية التي
تأثرت بالمعتقدات التوحيدية حتى انهار سد
مارب وتفرقت قبائل الجنوب . يضاف إلى ذلك

للدكتور رئيس بلاشير
تغريب الدكتور ابراهيم الكيلاني

عرض ونقد: محي الدين صبحي

رئيس بلاشير وشارل بلات ولويس
ماسينيون أسماء مألوفة لدى دارسي الأدب العربي
القديم ، إلا أن المصممات الفكرية التي تشير إليها
هذه الأسماء مازالت مجھولة لدى الكثرة الكثيرة
من المهتمين بالأدب القديم . ومن هنا تأتُّ كـ قيمة
العمل الذي يقوم به الدكتور ابراهيم الكيلاني في
ترجمة هذه المراجع القيمة وتعريف الدارس على
نصوصها دون أن يكتفى بالإشارة إلى مذاهبه
 واستنتاجاتهم في أبحاث يكتسبها هو ويعتمد فيها
على آراء غيره وبخاصة المستشرقين ، كما فعل من
قبله طه حسين وشوقى ضيف ووزكي مبارك .
الدكتور كيلاني هو الذي ترجم دراسة
شارل بلات عن المحاظي التي تقرّج منهاجاً في
الدراسة علاوة على ما تقدمه من معلومات ؟
وهما هو يقدم اليانا ترجمته لكتاب الدكتور رئيس

الشاعر يعيد تقييم الفصيدة بعد شيم وعها فانه يفسح المجال لعدد الروايات . وحين اخذت التدوين شكلًا رسميًّا – بعد جسم القرآن – تركزت فكرة التدوين الكتابي في أذهان الناس في الربع الأخير من القرن الثامن الميلادي وظهرت طبقة من الرواية تختلف عن رواة القبائل في أنهم كانوا ذوي خبرة بحياة القبائل وأخبارها كما أنهم كانوا مقيمين في الحواضر واصهرهم خلف الأحرق وجاد الرواية والمفضل الضبي . وقد أباح بعض هؤلاء الرواة لأنفسهم التلاعب بالآثار الأدبية حتى تادى متفقو البصرة بعدم الثقة برواية حماد واعادة النظر في مرويات خلف . وقد ساعد على تفحيص المرويات نحو العلوم النحوية واللغوية في العراق فقد نشأت مدرسة البصرة على القیاس في النحو واللغة وكان من مؤسسيها أبو عمرو ابن العلاء وعيسى التقى . أما مدرسة الكوفة فقد اعتمدت على الاستعجال وبحث الشواذ واعتمدت على الكسائي . ولم يأت القرن التاسع الميلادي حتى كان العلماء والنحاة الذين أعقبوا كبار الرواية قد أثروا تدوين الشعر الجاهلي بشكل نهائي ، ومن أهمها «المفضليات» و«الأصميات» ثم «ديوان الحماسة» لأبي قام وأخيراً الدواوين و«الأغاني» وجميعها تسير على أساس نسبة الأثر إلى صاحبه والتدقيق في مناسبات القصائد . ومع ذلك فإن صحة الشعر الجاهلي تبقى موضوعاً للبحث بسبب تشكك علماء العراق أئمة التدوين وليس لنا إمام عجزنا إلا قبول الافتراض القائل بأن النصوص الشعرية ذات المظاهر الجاهلي تعطينا صورة غير بعيدة عن المثل الأعلى الحاصل للقيقة

مركزى مكة ونجران فى الشمال حيث كانا متلقى
القوافل والشعراء مع تأثيرات تشع من مراكز
عربية أخرى كدمشق وبصرى والخيرة . وقد
نشأ الخط العربي في أحدى هذه المراكز الشمالية
التي تأثرت بالأرامية وطورتها ولعل الفضل في
ذلك يعود إلى الارتباط في أوائل القرن السادس
وقيله . وبعد أن استقرت دولة العرب أدخلت
إلى الخط اصلاحات يسرت الكتابة فيه . وقد
تجاوزت هذه الاصلاحات فن الكتابة إلى اصطفاء
لهجة عربية واحدة من بين لهجات المتعددة التي
تطقها القبائل . ويقرر الفارابي « أن قيساً وقيماً
واسداً هم الذين عنهم أكثر ما أخذن معظمه »
وعليهم اتكل في الغريب وفي الأعراش والتصرف ،
ثم هذيل وبعض كتاباته وبعض الطائين » وعلى
هذا النهج الاصطفائي وفق النحوين في استقراء
قواعد اللغة عن طريق توحيد لغتي القرآن
والشعر الجاهلي واستخراج لغة مجردة على قدر
الإمكان من الاختلافات اللهجية .

وما دامت الله والخطقد رسخا فلم يق سوى
استخدامها في تدوين النصوص والاستعاضة عن
الرواية بالتأليف والجمع . ولعل ما يسهل بحث
هذه المشكلة معرفة الطريقة التي كان ينظم بها
الشاعر . هل كان يكتب ما ينظم أو يلخص الرواية
مشافهة ؟ وكيف كانت تنتشر آثاره بين الناس ؟
وعلى الرغم من ورود بعض الشواهد في الشعر
الجاهلي تدل على علم بعض الشعراء بالكتابة فانه
ليس لدينا مجال للاعتقاد بأن الشاعر الجاهلي قد
دون آثاره . وعلى ذلك فان انتشار هذه الآثار
يدل على اعتقاد الرواية طريقة للنشر . وعما أن

عطشان ياصبايا

وقد يكون التعبير الحقيقى عن الموهبة
الاصيلة انتقام وتسجيل ماهو آنى وخلد فى
وقت واحد .

واذا كان الكاتب المبدع الخلاق هو ذلك
الذى يقدوره ان يعبر عن القلب البشري الذى
يلكه انسان .. ولد في يوم من الايام وعاش
لفترة ما فوق ارض صلبة ثم وفاه الموت في الختام ..
فإن الكاتب المصري الشاب سليمان فياض في
مجموعته القصصية (عطشان ياصبايا) كان واحداً
من الخالقين الطاحفين لقول كاتمة صادقة عن هنا
القلب .

ومن الびهي ان الكاتب في عصرنا مضطرب
لان يكون رمزاً للانسان الواقع المطلوب منه
موقفاً محدداً مما حوله . وليس باستطاعة الكاتب
الانفصال عن عصره ، وسيظل تابعه انعكاساً
لحياة ذلك العصر ولكن الكاتب باستطاعته ان
يكون ثورياً صادقاً أو كاذباً غير مخلص
للانسان عصره .

والكاتب العربي في هذه المرحلة المرحة

مجموعة قصص لسلiman فياض
إعداد مؤسسة الشرق للطباعة والنشر .
القاهرة - ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط

عرض وتحليل : ذكر يا تامر

لعل قلب الانسان الذي تتلاقي فيه الافراح
والاحزان والأمال وابشاح الحبوبة ، سيظل
الموضوع الدائم الاساسي لأعمق الآثار الادبية ،
 وسيظل الصوت الحقيقى الحار الحالى الاشد روعة
من المشكلات الآنية التي قد تفرى ييريقها الساطع
السطحي الكتاب غير الاصيلين فيليون نداءها ،
ويحسدون تأثيرها في تأثيرهم الذي يفقد الكثير
من قيمته بعد زمن قليل .

الأول من كتابه . ويمتاز هذا البحث بالشكل
الجمعي الذي يعود إلى كل المراجع ويسركها
في قالب واحد يخرج منه بنظرية قد لا تكون
نهائية لكنها تفيد الدراسين باقتراح منهج يعتمدون
عليه في دراستهم اللاحقة . وليس لنا إلا شكر
الدكتور ابراهيم كيلاني على ترجمته الواضحة
السلبية التي تمتاز بدقة الأسلوب وصفاته .

الشعرية . كما أنها تقدم صورة نستطيع بواسطتها
أن نتعرف على الوسط البدوى . و علينا أن نقبل
هذه الآثار بجملتها وألا نعتبر سوى العواطف
العامة التي عبرت عنها دون الدخول في جزئيات
العبارة .

هذا هو محمل البحث الذى يقدمه المستشرق
الدكتور بالاشير عن الأدب الجاهلي في الجزء

ايضاً ليست طيبة بالمعنى التقليدي فقيمها مستمدۃ من طبيعة واقعها اليومي ، وتهمن علی علاقتها روح انسانية قائمة على تناقض مدهش يتمیز بجيویته الشبيهة بالدم الاحار الشبیق من جرح كبير ، فالأشخاص القصص هم اشارات وظیبون في آن واحد في قصة (الاص والحارس) يقدم اللص على السرقة دون ان يشعر انه يرتکب عملاً غير مشروع ، ويخونه صدیقه في اللحظة الحرجية ليتركه يواجه بندقية الحارس بفرده ، ويتردد اللص في قتل الحارس ، والحارس يرمي بمحنان اللص القتيل ويخاطبه بندم قائلاً (لوم اقتلک انا.. لقتلتني انت) وبطل قصة (يهودا والجزار والضحية) يخون المرأة التي تشققه من اجل مبلغ من المال ولكنه يوشك ان ينفجر باكيأ لحظة تناوله مستفيضة حين يهم اعداؤها ببنقها .

ان الحياة اليومية في القصص تبدو وكأنها قدر عامض موحش يتتحكم بمصير البشر ويسوّفهم نحو مصير مفجع لاخلاص منه ، وبطل قصة (عندما يلد الرجال) يعجز عن فهم الحياة التي تفسر الانسان على التخلی عن كرامته من اجل القوت ويعتبرها نوعاً من المعجزة ذات التأثير السلي المدام .

وترى على بعض القصص نظرة تعتبر الانسان مجرد عابر سبیل ، له دور صغير في الحياة، يؤدیه ثم يرحل عن الارض .. هذه الارض التي تحتاج فقط لشمس ومطر ولرجل واحد ولامرأة واحدة لكي تظل الحياة مستمرة على سطحها ، وبطل قصة (النداهة) يعبر عن هذه النظرة باعتقاده : (كان ينبغي للساقة ان تدور حتى لو كان ميتاً.. لابد ان تشرب الارض وان يكبر الارزو يكبر) .

التي تمر فيها بلاده مجرّب على ان يكون ثورياً . وسيكون غير امين لفنه ولو وجوده اذا لم يصدع قلبه عذاب الانسان المسحوق تحت قيود الاوضاع الاجتماعية ، وادا لم يینبذ الحديث الناعم عن الورد والنسماء ، ويختار خوض المعركة ضد عدو مارانضاً الفیم التي تسلب الانسب حریته وكرامتھ وحمله والا فانه سيكون مجرد منمق بارع لكلمات جوفاء لا تملك جذوراً في الانسان ومشكلاته . لذلك وجب على الفن ان يكون سلاحاً يدافع عن الانسان عندما يكون ذلك الانسان مهزوساً معدباً فالملحوق الجائع المتعب اليائس لن يستطيع رؤية الورد الجميل والسماء الزرقاء ولن ينصت لتغريد عصفور او لحرير ساقية .

ولقد استطاع سليمان فياض ان يحقق نجاحاً باهراً في تصوير عذاب البشر في حیاتهم اليومية ، وتحلى في قصصه بتجسيد همیق لادراك الواقع ادراكاً واعیاً يجدد الارض والانسان . والعالم الذي تقامه القصص هو عالم الامور اليومية حيث تصبح اهواء البشر وشهواتهم وآمالهم . علم واقعي معنى بالأشياء المرئية الملووسة ، تتوفّر فيه خصائص ومقومات متنحة وجوداً حياً دون الحاجة لإعارة ييّنة معينة .

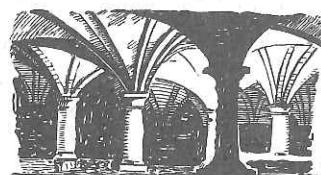
ان ابطال القصص هم مخلوقات من لحم ودم ، رؤوسها ليست مشوّهة بثقافة الكتب ، تعيش بعفویة دون اسئلة ، ولا تجادل في افكار تحریدية ولا تبتعد نظرات فلسفية او حكمًا فهي مستسلمة لتيار الحياة اليومية . واستسلامها ليس معنیه اذعنانها لواقع قاس اقوى منها اما لمعرفتها ان المزية هي نهاية كل صراع . وهي ليست شريرة ، ولكنها

تعبر بياحاز عن مزايا اسلوب سليمان فياض الذي فسره القصصي يخلو من الشرح البطيء الممل للتفاصيل والجزئيات مما يجعل من عملية القراءة نوعاً من المتعة التي يهربها الكشف عن عالم جديد يعيش بانس أبياء وحوادث الفحص ليست اعتباطية تأتي كيفما اتفق فهـى محددة بدقة ، وتجسم عن شخصيات تحيا طبائعها ، وينجح سليمان في خلقه الوهم بأن هذه الحوادث حقيقة عندما تتمو من خلال ملاحظات واحاسيس الشخصيات لاعن طريق تصوير خارجي مقحم .

وسلیمان فياض لا يقيد نفسه بمكان او زمان معين انا هو يتخطاهم محطماً الواقعـ التقليدية ليعبر بأسلوبه الخاص عن موقف يلتزمـه . ولعل هذه المزايا جميعاً تتجسد في قصة (يهودا والضحية والجزار) التي قتـل بشكل جليـ السـكـابـ في احسن حالاته ونتـيـجة لـتطورـ منـ المـكـنـ تـاهـسهـ وـمـتابـتهـ عـبرـ القـصـصـ .. هـذـهـ القـصـصـ الـتيـ تـشـكـلـ عـجمـوـعـهاـ نـتـاجـ فـنـانـ خـاصـ جـديـ يـسـيرـ فيـ طـرـيقـ النـضـجـ وـالـعـطـاءـ الـخـصـبـ السـخـيـ .

وثمة لحن فاجع متكرر يصدـدـ منـ القـصـصـ ويتردد باستمرار بايقاع عنيف وحزين ، وهو البحث باصرار عن شيء ما مفقود كأن طبيعة الحياة تقضي وجوده .. شيء مجهول بامكانه تبدـيلـ وجهـ الحياةـ الـبـائـسـ وـمنـحـ السـعادـةـ وـالـطـمـأنـيـةـ .. ويترـجـ هذاـ الـبـحـثـ عـلـىـ الدـوـامـ بـتـوقـ الـحـصـولـ عـلـىـ حـيـاةـ آـمـنـةـ مـفـعـمةـ بـالـغـبـطةـ .

واذا كان ابطال القصص خاضعين لظل اسود فليس هنا بمعنه سوداوية مريرة اما هو تعـيـرـ صـادـقـ عنـ وـاقـعـ غـيرـ اـنـسـانيـ يـهـيـشـ بـشـرـ مـعـذـبـونـ يـخـاـلـوـنـ الـظـهـرـ بـالـسـعـادـةـ .. وـتـجـسـدـ ثـورـتـهمـ الـبـعـيدـةـ عنـ التـهـويـلـ فـيـ ذـاكـ الاـسـيـ الـحـفـيـ المـرـيرـ الـذـيـ يـدـفـعـهـمـ لـانـ يـقـدـفـواـ بـجـيـاتـهـمـ فـيـ جـيـمـ الـعـنـفـ وـارـاقـةـ الدـمـاءـ اوـ لـأـنـ يـشـبـهـوـاـ بـالـوـهـ وـيـنـظـرـوـاـ مـقـدـمـ المـعـجزـةـ الـتـيـ سـتـغـيـرـ حـيـاتـهـمـ فـيـ قـصـةـ (عـطـشـانـ يـاصـبـياـ) لـاـ يـوـتـ الـاـمـلـ بـانـقـةـ كـنـزـاـ مـدـفـوـنـاـ تـحـتـ اـرـضـ الـقـرـيـةـ ، وـلـنـ يـلـكـهـ الـبـشـرـ الاـ اـذـآـمـنـواـ بـانـ يـكـوـنـ مـلـكـهـمـ جـيـعاـ لـلـواـحـدـ نـقـطـ . وقد قال مالارميـهـ قدـيـاـ : (انـ تـسـمـيـ الاـشـيـاءـ تـقـتـلـهـاـ اـمـاـ الـايـمـاهـ هـرـاـ فـهـوـ يـنـقـهاـ) وـهـذـهـ الـكـلـيـاتـ



فهي صلة التضاد ان جاز ان نسمى التضاد صلة.

و « صلة التضاد » هذه تبدو اوضح اذا عرفنا ان الاستاذ الهواري هو رئيس تحرير مجلة « الاسبوع العربي » بينما يشغل الاستاذ سلامة منصب محرر في نفس المجلة ، وبين الهواري وسلامة تقوم مسافة كبيرة في المنصب ، وفي الراتب ، وفي الوضع الاجتماعي ، وفي جو المعيشة ، وفي مستوى الاختلاط .. وهذه المسافة هي التي جعلتنا نقول بوجود صلة التضاد اى تطرح نفسها بوضوح - على شكل الاتجاه الادبي ومضمونه - بين « لن يكون وداع » و « قصائد من خشب » .

في حين يمثل « لن يكون وداع » خلاصة تجربة بورجوازية ملخصة ، فان « قصائد من خشب » تمثل مرارة التجربة التي تقع في المقابل تماماً .

ولسوف اسارع الى القول بأن اطلاق صفة البورجوازية على « لن يكون وداع » لا تتحمل في طياتها اي موقف تقدي او انتقاد ، كما يفترض القدمار كسي ، تماماً كما لا تتحمل صفة « البروليتارية » ل « قصائد من خشب » اي مدح او مؤهل ، وانما استعملت هاتين الصفتين لاقرر حقيقة الاصول التي ترتد اليها المجموعتان ، والذي يهمنا من الأمر - على الأقل هنا - هو الادب الجيد ، بغض النظر عن اي شيء آخر .

* * *

تتمثل البورجوازية في « لن يكون وداع »

لن يكون وداع

مجموعة قصص لياسر هواري
المكتب التجاري - بيروت
١٧٢ صفحة - قطع متوسط

قصائد من خشب

شعر ابراهيم سلامة - اصدار دار الفد
- بيروت - ١٠٤ صفحات متوسطة .

عرض وتحليل غسان كنفاني

من اطرف المصادفات التي تلفت النظر وتثير التأمل : صدور كتابين في وقت واحد تقريباً ، لا يجمعهما اي شيء ولا تربط بينهما أية صلة ، ورغم ذلك فان وجودهما معاً في الواجهة يثير أكثر من فكرة ويطرح الى الدراسة أكثر من باب .

الأول هو مجموعة قصص الاستاذ ياسر الهواري التي سمها « لن يكون وداع » (١) والثاني هو مجموعة « قصائد » ابراهيم سلامة التي سمها « قصائد من خشب » (٢) . اما الصلة بينهما

(١) « لن يكون وداع » لياسر الهواري عن المكتب التجاري ١٧٢ صفحة - ٢٠٠ ق.ل.

(٢) « قصائد من خشب » لابراهيم سلامة عن دار الفد ١٠٤ صفحة - ٢٠٠ ق.ل.

ينكشف أحياناً بشكل مباشر عن كل المظاهر البورجوازية التي تلفت نظر تلك المأذق التي تعيش جوهاً، وأحياناً كثيرة باقل من سطرين:

ولكن بطل «قصائد من خشب» لا يعرف هذا كله ، ليس لأنه لم يره بل لأنه لا يهم به .. فنيلك ليست مشاكلا على الاطلاق ، إن مشاكله «صغر» من ذلك ، ولكنها أكثر أهمية في تكوين الحياة اليومية لا ولنات الذين يعيشون حتى المثلة كل لحظة من لحظات أيامهم .. ان الامر التي تلفت نظره وثير افكاره وتفتح ابواب ما آسيه بالبكرة المضحك هي امور لا يلحظها إلا المؤنس:

» صاحبة الكاديلاك الاسود

يەد فیک شیء یغري

ولم يعد بإمكانك شراء السعادة

بورقة الحسين او المئة

لوعت قلبي صراراً

بطاقة ليراتك

« وانتقاء القديم منها بدل الجديد ! »

ويقول أيضًا:

» .. لا اعتقد ان شقة في الدنيا

تباعد اکثر مها بینی و پینک

وهل ابعد من انسان واقف في الشمس

مذكرة خاوية

بالماذج البشرية اولاً ، وفي الاحداث على مستوى مساو ، وفي القضية التي تشغل النمذج والحدث وتشكل خلفيتها ، ثانياً ، وفي اللغة التي ينعكس عليها هنا كل ما في كثیر من الاحان ، ثالثاً .

اما في قصائد من خشب «فان البوس»—
ولسوف نستعمل هذه الكلمة هنا مقابل
البورجوازية لأن البروليتارية توحى بالناحية
الاقتصادية فقط بينما نعني هنا ما هو اوسع من
ذلك—إن البوس ذلك يتبدى بالنموذج ،
وهو دائمًا المؤلف نفسه بالاحساس المفرط بالنانية
المقاومة لعمليات الطمس المتواصلة ، وفي القضية ،
المتباعدة دائمًا بذلك الشعور الفاضم بالتحدي ،
تحدي الحياة الخلائقية والمادية والاجتماعية للذات ،
ويعكس ذلك على الاسلوب دائمًا فطبue بالسرية
المريدة التي تومن للمهزوم سلاحه الحاد في المعارك
الطويلة التي تنتهي دون ضرجيج .

ففي «لن يكون وداع» يكون البطل المدحور دائماً هو الرجل العاشق أو المرأة العاشرة وتكون هذه القضية هي المحور الذي تدور حوله الحياة كلها ، فالشمس تشرق مع ابتسامة الرضا على شفي المحبوب ، والكون كله يرتكز على هذه القضية — في نظر النموذج — أما في «قصائد من خشب» فالشمس لا تشرق إلا على «أوناسيس» إله الالسية ، كما يقول المؤلف ، والكون كله يرتكز على العدو المدود ، الملياردير الذي كتب له الحكمة جنباً إلى جنب مع غافلتين آناشتاتيان .

أما الاسلوب فانه في «لن يكون وادع»

مع القصة السورية

رأس سمنكة

معينة من الوجود ومن مشكلات الانسان ومعضلاته، مواقف تعتمد في البرجة الاولى على المعرفة اليقينية والتجربة الانسانية الواسعة والنظرة الفلسفية التي تحمل خصائص العمق والشمول .

الا ان ذلك ، اي كون قصتنا في بدء نشأتها وتطورها ، لا يعني ان ناجنا الحاضر ينقر الى الجودة والابداع او انه اذا قيمت ظلت على مستوى ضحل لا اهمية له . ان في بعض التساج الحديث مادة ترفعه الى مستويات اقل ما يمكن ان يقال فيها جيدة ، ان من حيث المواقف الفكرية التي يتخذها اصحاب هذا النساج من معضلات الانسان وان من حيث اساليب المعالجة للمواضيع التي يتطرقون اليها في قصصهم . الا اننا نستطيع

مجموعة قصص لاسكندر لوفا - ١٨٠
صفحة قطع متوسط - منشورات دار الشعلة - دمشق .

عرض وتحليل أورخان ميسر

ان القصة في بلادنا ، اذا قيست بمعايير المعيجم العالمي للقصة الذي جاء حصيلة لدراسات كبار القاد العالميين ، لا تزال في بدء نشأتها وعند اولى المراحل التطورية التي لها من الطاقات السكانية ما يمكن ان يجعلها بعد برهة — يصعب تحديدها الان — تأخذ مكانها على مستوى القصة العالمية التي صارت اليوم من ابرز مقوماتها الخناد مواقف

— أيضاً — إلى تقييم هنائي ومفاصلة ، بعض قصص «لن يكون وداع» جيدة وبعضها الآخر ضعيف ، وكذلك الامر في «قصائد من خشب» حين تأتي بعض القصائد في غاية الروعة لتصل الى اخرى الى حضيض الاسفاف ..

وعلى اي حال فان الكتاين ، اللذين صدرتا في وقت واحد وارتفقا في الواجهات جنباً الى جنب هما تلخيص مذهل حتى لاطراف الحياة يعيشها مجتمعنا مثلاً ما هي اضروا يان لهم هذا المجتمع .

من انسان آخر يتألف بالذهب والجوهر » من انسان آخر يتألف بالذهب والجوهر » ومرة اخرى ، ليس هذا الكلام تخيئاً بوقف وانتقاداً لوقف آخر ، لا واما هو وصف لظاهرة لا اكثروا لأقل ، ذلك انه ، في الواقع ، لا يمكن ان نطلب أدباً مزيفاً من اولئك الذين لا يعيشون إلا واقعهم الحبي الوجهي ، وهم ليسوا مطالبين بان يغادروا ارتباطاتهم المقدمة بحياتهم ليصفوا حيوانات لا يعرفونها إلامن مقاعد المترفرين . ومن الطبيعي ان هذنا العرض لا يتطرق

التي تحمل اسم « رئيس سكة ». ان التطور الذي استطاع ان يتحققه الاستاذ لوقا في ميدان القصة ما بين عام ١٩٥٢ ، اي عندما اصدر مجموعة الاولى « حب في كنيسة » ، وفي عام ١٩٦١ في مجموعة « رئيس سكة » تطور يكمن ان يسجل الناقد الموضعي في مجلة الاعمال اليمانية التي قام بها فتنة خيرة من كتابنا الشاب في خلال السنوات الاخيرة . اتنا لانطلب من كتابنا القصصيين ان يكونوا صنوأ لا ولائك الذين تعرّ نواقيسهم باستمرار في الصحف والجلالات والمكتبات الغربية مثل فوكنر ودريل وكوسنبرغ وتدوين من بعد ذلك اصداء هذا الفرع في اذهان كتابنا وقراءنا دويا يفقد كثيراً من ايقاع نفمه الاصلية . وذلك ما يحدث عندها غالباً . ان كل مانطلبه من كتابنا القصصيين اليوم ان يكونوا ذاتهم على مستويات فكرية شبه عالية تتناسب مع ما حققناه من مكاسب غير قليلة في مجالات التربية والتعليم والمجتمع والسياسة الدولية منذ بدء الاستقلال حتى يومنا هذا . ولهذا السبب بالذات كان للتطور الذي سجله الاستاذ اسكندر لوقا ما بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٦١ اهمية التي لا يمكن ان نغفلها في نقد القصة السورية .

وقد تبيّن هذا التطور بالانتقال من مجرد النظرة العابرة الى شؤون الحياة اليومية نظرة فردية ذات اطار « مخروط » تتمّقه وترخرفه مافي لا وعينا من احساس عقديه ومن رصيده استجوابي لعوامل كثيرة تحيط بنا احاطة محكمة لا تستطيع الهروب منها مهبا بذلك من جهد عقلي

في الوقت ذاته ايضاً ان تدرك ان هناك عدد اغير قليل من كتاب القصة وكتاباتها قد اساعوا الى قصتنا المعاصرة نتيجة تقصيرهم في الاحاطة بفهم القصة ، كما هي اليوم ، فراح بعضهم يصطمع توتر اللفظة ليحيا في جو ذي حي وهيبة على نحو ما كان يفعله الكتاب والشعراء الرومانسيون عند بدء الحركة الرومانسية في فرنسا ، وراح البعض الآخر يحاول « ربطة » القصة اي جعلها ربيور تاجاً مما ينشر عادة في الصحف اليومية .

ورب معترض قال انه لا يجب علينا ان نقيم تناحنا القصصي وفق المستويات العالمية بل وفق النسبة السائمة في بلادنا . غير ان مثل هذا الاعتراض لا يتفق مع منطق نقد القصة مطلقاً . لأن السؤال الذي ينطلي من النقد الصحيح هو: هل عندنا قصة ، والى اي مستوى ؟ اتنا لانستطيع ان نعتبر بلادنا بلاداً متمندة فيها لو بقيت عندنا وسائل النقل مثلاً مقصورة على قطارات القرن التاسع عشر من تلك التي لا تزيد سرعتها على بعض من الكيلومترات في الساعة الواحدة بينما تستعمل البلدان الأخرى طائرات فائقة تقطع المسافات بين القارات في ساعات معدودة . الا اتنا لانستطيع ان نعتبر بلادنا متمندة لأن وسائل النقل التي ذكرناها كمثال سابق والتي تستعملها عندنا لا تقبل اليوم عن تلك التي تستعمل في اكثر البلدان رقياً ومدنية .

ومن الكتاب الشباب الذين يخطون اليوم خطوات واسعة في ميدان القصة الاستاذ اسكندر لوقا الذي قدم لنا آخر نتاجه القصصي في مجموعة

وتبدأ القصة هكذا :

شيفي رؤية الماء الجاري . والسبب يعود الى طفولي .. اذ يوم كنت في الخامسة كان ابي يصطحبني معه الى البحر ويدربني على السباحة . فنشأت على حب تكسر الامواج وسماع جريان الماء . وبعد قليل من ذلك يقول : « ولكن بقيت في نفسى لفة الى رؤية الماء » ، وكبرت معي فيما بعد » . ان في هذه البداية كثير من الفرويدية . الا ان هذا لا يعني ان الفرويدية من اسس كتابة القصة ، اما يعني ان هناك اتخاذًا لواقف ذهنية معينة لها اتزانها ولها قيمتها في المفاهيم الانسانية بصورة عامة . لذلك فان هذا يختلف كل الاختلاف عن اتخاذ مواقف شخصية فردية افعالية تزول بزوال الاستجابة التي يكونها مؤثر معين كما هو مألف في حياته اليومية في المكتب والتجربة والشارع والمقهى .

وتناول القصة صفة من حياة شاب يبحث عن عمل ، الا انه بدلا من ان يحاول ايجاد عمل لنفسه يغوص في اعماق ذاته لي Encounter ذكريات ماضية حلوة تنسيه حاضره المر . وهو بالإضافة الى ذلك يحاول ان يجعل النملات الحمراء التي تقضي امامه على التراب « جثنا » لاقية لها . ان التحليل الفرويدى لظاهر في هذه المحاولة ظهورا يتنا . اتنا لانستطيع دامئا ان تكون ما ومن نريد . لذلك فانتا نعمد الى الاستعاضة للتفصيس عن الشعور المكبوت ، وهذا ما حاول ان يفعله الاستاذ لوقا في قصته « الاله الصغير » .

في سبيل ذلك - تغىز بالانتقال الى موقف ذهني له مقوماته الخاصة وله ما يمكن ان يعتبر في مفهوم النقد الصحيحتطورا لم يتوفر بسهولة مثل واضح له في انتاج كتابنا الشباب الآخرين .

اما هنا الانتقال في قصص الاستاذ لوقا ما بين هاتين المرحلتين فانه يتضمن في تقطتين هما :

١ - محاولة التحليل للمواقف والأشخاص تحليلا ينسجم ، الى حدود بعيدة ، مع القواعد الفرويدية التي تعتبر حتى اليوم وفي جميع جامعات العالم اساساً ينطلق منها التحليل النفسي .

٢ - الشاغم المنطقي في داخل احداث القصة هذا التنازع الذي ينتهي بالقارئ الى التساؤل عن قضايا تحيط به كمواطن عربي وتحيط به كاسنان ، ثم الى التساؤل عن قضايا كبيرة لها بعض علاقتها بالوجود المطلق وببعض معضلات الانسان اللامتناهية .

وتشير هاتان القططان ببلاء في قصص عديدة من ابرزها « الديدان تحب اكل العيون » و « غدا تكون الشمس محقرة » و « لكت انساناً آخر » و « نداء القرية » و « انسان ضال » و « الاله الصغير » . ولعل هذه القصة الاخيرة هي التي تستطيع ان تكشف هاتين القططان تكتيئاً لاغموض فيه . ان القصة قصيرة جداً ، اذ انها تقع في اقل من ثلاث صفحات . الا انها تبرز ملامح كبيرة في تطور مفهوم القصة عند الاستاذ لوقا كما انها تعطي ايضاً رشقة حارة الملams لما عنده من نزوع الى تفهم المعضلات الانسانية المختلفة تفهمها صحيحاً .

ذاكر ياترى

المرأة تحررا عالقاً . فابتداء من كوليت سهيل الخوري فالسيدة أم عصام فالدكتورة انعام مسالمة فسلوى شحادة فالسيدة غادة السمان حتى السيدة فر كيلاني في القصة ، نستطيع ان نقول انه اصبح لدينا أدب يعبر عن المرأة وحياتها في مجتمعنا .

ان الاسماء التي سبقت كوليت كوداد سكاكيبي وافت الادلبي وسلمي الحفار الكبرى وغيرهن ، استطاعت من غير شك ان تقدم للادب العربي خدمات جلى ، وان في عطائهن من الاصالة ما يقدر .. على ان هذه الاسماء كانت وما تزال ، لاتقدر الفكرة الكافية على التعبير عنحقيقة المرأة . ونستطيع ان نسمى هذه الاسماء بالكتابات المخاطبات اما كوليت وما بعد ، فنستطيع ان نطلق عليهن اسم **الكاتبات المتحررات**

تنقض عادة استمرارنا في عبئية الاهداف وراءها .
وإذا ظل هذا العرض المقتنص لمجموعة « رأس سكمة » مقترضاً الى حد كبير على قصة واحدة هي « إله الصغير » فذلك لأن هذه القصة تعطى غوذجاً واسع المدى ، واضح المعالم لاتصال الاستاذ لروا الحديث الذي يتميز عن الاتصال الآخر في ميدان قصتنا بمحاولة الغوص الى اعماق الانسان عن طريق التحليل النفسي الفرويدي وفي سبك احداث القصة سبكاً منطقياً ينم عن حوصلة علمية لها ازهار وافار .

مجموعة قصص للسيدة خديجة الجراح الششوطي - أم عصام - منشورات دار الثقافة ١٩٥٠ صفحة - قطع متوسط

عرض وتحليل ياسين رفاعية

المرأة عندنا ما زالت تعاني انواعاً من الحرمان والكبت .. ولكننا لا نعني ان ذلك بدأ اليوم يعني فهو الزوال بالتطور المعقول .

والاقلام النسائية التي بزرت عندنا خلال الاعوام الخمسة الماضية تــكاد ترسم الطريق لتحرير

وكانت معالجته موقفة كل التوفيق عندما انتهى الى نهاية فيها بعض الحميد الميتافيزيائي عندما قال بعد استعراض تحليلي لفسيه البطل ذي القد الصيامية الذي حاول ان يفرق حاضره في ماضيه « مد إله الصغير يده الى مجرى النهر وخارج من جوفه كمية من الماء تفوح منها رائحة سمك » . وتجربتها بعصبية .. ». ان في هذه النهاية بداية ميتافيزيائية تحاول ان تظهر عبئية الوجود ضمن نظرة معينة في مفهوم الحياة الواقعية اظهاراً لا يقصد منه مجرد عرض للعبئية اما يقصد منه عرض فكرة

التجربة الذاتية والتجربة الشخصية ، حتى ليحس القارئ ان الكاتبة تنقل له خواطرها الخاصة في الحياة وفي تجاربها هي بالذات دون الانتقال الى الشمول الانساني الواسع .

انها مجموعة احداث مرصوفة الى جانب بعضها البعض وانطباعات لارابط بينها ، وتجارب شخصية مفرقة في ذاتيتها .

يقول وجاء النقاش : « انه من اخطر المزاعق التي يمكن ان يقع فيها الفنان ، ان تتحول القصة الى يوميات .. يجب ان تنتهي كل التجربة الشخصية المباشرة الى ما يمكن ان يسمى بالتجربة الذاتية . ان الفنان يطبع الاشياء بوجهه نظرة الذاتية الخاصة فيبدو العمل الفني منها كانت فيه من التخييل والابتکار منسوباً الى هذا الفنان مشتملا على طابعه الذاتي الاخلاص . اما التجربة الشخصية فهي نقل وتاريخ وبينها وبين الفن الصحيح مرحلة او عدة مراحل ..

وهكذا فان الكاتبة ازلفت في هذا المهاك الحظر في كثير من قصص المجموعة . بالاضافة الى ذلك ، فقد كانت تسقط على المجموعة رومانسية مفرقة في احلامها ، حتى ان حوادث القصص تشعر بها كأن حوادثها قد جرت في القرن الثامن عشر والتاسع عشر .

الواي استطعن ان يجعل الانظار نحوهن تحويلاً كبيراً واضحاً لأنهن عبرن ببرأة ، عن مشكلة المرأة الحديثة في مجتمعنا الحاضر .

احدى هؤلاء الكاتبات السيدة خديجة الجراح النسوتي « ام عصام » التي اسهمت وما زالت تساهم في حركة التحرر الادبي بالنسبة للمرأة العربية في سوريا .

وأول كتاب اصدرته هذه الكاتبة مجموعة قصصية بعنوان « ذاكرياتي » ضمنها القصص الاولى التي كتبتها وهي على التوالي : ذاكرى ياتى ، ياليل ، هذا عامك العاشر . تراه يحن يوماً ، وريقات في الخريف ، ذكريات منشورة ، بدون غد ، ضائعة ، قدر ، غير ذكرى ، ناقمة ، حنين ، انتظار ، لن انسى .

واللاحظ في هذه القصص انها حاولت الخروج من الاطار الضيق ونورة مكبوبة مخنوقة من اجل تحرر المرأة .

على ان اكثر هذه القصص تکاد « تفكك » شيئاً ، حتى ان المطلق الواي في اکثر الاحيان واضح الانفلات من يد الكاتبة ، انها خلط بين

والى يوم .. اليوم .. أصبحت امرأة . امرأة فعلاً
كما يقولون .. امرأة تعجبك . امرأة ليست
عادية .. وليست تافهة .

لقد لقنتني مبادئ الحياة حين كنت غافية عنها ،
عامتني كيف أحيي عالمي كيف أكفر بالحب .
وأتفهم الغاية . لقد أصبحت إمرأة ناضجة . امرأة
غرسـت فيها أفكارك لكـنـك خسرـتها .
وـهـمـسـ لهـ فيـ نـهاـيـةـ القـصـةـ «ـ لـقـدـ عـرـفـتـ
الـحـقـيـقـةـ وـفـهـمـهـاـ »

وهـكـذاـ عـلـىـ نـفـسـ الرـوـحـ وـعـلـىـ
نـفـسـ المـسـتـوـىـ تـضـيـقـ الـقـصـصـ الـبـاقـيـةـ :ـ انـ
الـمـشـكـلـةـ الـتـيـ طـرـحـتـهاـ السـيـدـةـ اـمـ عـصـامـ
فـيـ هـذـهـ الجـمـوـعـةـ هـيـ المـشـكـلـةـ العـاطـفـيـةـ
لـدـىـ الـمـرـأـةـ وـمـاـ يـنـجـمـ عـنـهـ مـشـاـكـلـ
وـمـآـسـ وـفـوـاجـعـ .

وفي قصة « ناقـةـ » تـبـرـزـ قـمـةـ الـاـدـيـةـ عـلـىـ التـقـالـيدـ
وـعـلـىـ الـذـيـنـ يـجـعـلـونـ الـمـرـأـةـ مـجـرـدـ آـلـةـ تـفـرـيـخـ وـالتـسـلـيـهـ .
ـ الـرـأـءـ هـيـ الـكـأسـ الزـاجـاجـ الشـفـافـ الـذـيـ
يـحـبـ اـنـ يـرـاعـيـ بـعـنـيـةـ .ـ فـكـيفـ زـرمـيـ بـهـ بـينـ بـرـائـنـ
الـقـسـوةـ وـالـظـلـمـ وـنـتـنـطـرـ مـنـهـ اـنـ يـظـلـ صـحـيـحاـ لـامـاـ .ـ
ـ كـيـفـ تـنـاسـكـ مـادـتـهـ ؟ـ وـهـوـ يـتـعرـضـ لـأـلـفـ ضـربـةـ
ـ وـرـيمـيـةـ .ـ الـرـأـءـ ذـلـكـ الـخـلـوقـ الـعـاطـفـيـ الرـقـيقـ :ـ كـيـفـ
ـ تـسـعـ اـنـ عـاشـتـ حـيـاتـهـ فـيـ ضـيـاعـ وـحـرـمانـ ..ـ
ـ وـهـكـذاـ زـخـرـتـ هـذـهـ الجـمـوـعـةـ الـفـصـصـيـةـ وـلـكـنـاـ
ـ بـالـثـورـةـ الـتـيـ تـعـتمـلـ فـيـ نـفـسـ الـمـرـأـةـ الـشـرـقـيـةـ وـلـكـنـاـ
ـ لـمـ تـجـعـلـ فـيـ كـثـيرـ الـاحـيـانـ مـنـ الـهـنـاتـ .ـ وـلـاشـكـ انـ
ـ الـقـصـصـ الـتـيـ اـخـذـتـ تـنـشـرـهـاـ الـمـؤـلـفـةـ الـآنـ فـيـ الصـحـفـ
ـ وـالـمـيـلـاتـ هـيـ اـكـثـرـ مـنـ مـحـاـوـلـةـ اـنـهـ اـقـرـبـ الـفـنـ
ـ الـقـصـةـ وـالـمـفـهـومـ الـقـصـةـ مـنـهـافـيـ «ـ ذـاـكـرـ يـاتـرـىـ »ـ .ـ

ـ لـكـ ذـلـكـ فـيـاـيـدـوـلـيـسـ إـلـىـ الـقـصـصـ ،ـ لـاـنـ الـاـبـطـالـ
ـ الـذـيـنـ قـدـمـتـمـ لـنـاـ الـكـاتـبـةـ يـزـخـرـ بـهـ مـجـمـعـنـاـ .ـ نـراـهـ
ـ فـيـ كـلـ مـكـانـ .ـ نـاـسـهـمـ كـلـ يـوـمـ .ـ اـنـ اـمـ عـصـامـ
ـ عـبـرـتـ تـبـيـأـ دـيـقاـ عنـ فـيـضـةـ مـعـيـةـ ،ـ مـنـ النـاسـ ،ـ
ـ بـلـ مـنـ النـسـاءـ الـلـوـاـتـيـ لـاـ يـسـطـعـنـ اـنـ يـنـطـلـقـنـ مـنـ
ـ تـقـالـيدـ بـحـثـمـهـنـ الـخـافـظـةـ الـقـدـيـمةـ الـبـالـيـةـ .ـ

ـ اـنـ كـثـيرـاـ مـنـ الـخـلـوقـاتـ فـيـ الشـرـقـ ،ـ مـازـالـتـ
ـ تـعـيـشـ بـعـقـلـيـةـ الـفـرـونـ الـمـاضـيـةـ وـمـازـالـتـ الـعـاطـفـةـ تـتـعـكـسـهـاـ
ـ اـكـثـرـ مـنـ اـيـ شـيـءـ آـخـرـ ،ـ وـمـازـالـتـ الـبـطـولـاتـ
ـ الـدـوـنـ كـيـشـوـتـيـةـ تـرـكـ فـيـ فـوـسـهـاـ آـثـارـ الـاتـحـيـ
ـ فـيـهـاـ خـلـيـطـمـنـ الـاعـجـابـ وـالـدـهـشـةـ وـالـخـوـفـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ
ـ عـنـدـمـاـ قـرـأـتـ مـثـلاـ قـصـةـ «ـ ذـاـكـرـ يـاتـرـىـ »ـ
ـ اـدـهـشـتـيـ مـقـدـرـةـ الـسـكـاتـبـةـ عـلـىـ رـصـدـ هـذـهـ الـعـاوـاطـ
ـ فـيـ قـصـةـ حـبـ عـجـيـبـ مـمـتـلـأـ بـالـحـوـادـثـ الـفـرـيـقـةـ وـمـعـ
ـ ذـلـكـ فـقـدـ خـلـصـتـ اـلـىـ نـتـيـجـةـ وـاحـدـةـ :ـ وـهـيـ اـنـ
ـ بـحـثـمـنـ مـلـيـءـ بـهـذـاـ التـوـعـ مـنـ الـقـصـصـ .ـ

ـ اـنـهـ قـصـةـ فـتـاةـ اـحـبـتـ رـجـلـاـ مـتـرـوـجـاـ ،ـ وـكـانـتـ
ـ تـقـابـلـهـ ،ـ وـعـنـدـمـاـ تـأـخـرـ تـتـعـرـضـ لـضـربـ اـخـيـهـ .ـ
ـ «ـ وـاسـتـقـبـلـهـ اـخـوـهـاـ حـانـقـاـ .ـ
ـ كـأـنـ غـضـبـ الـدـيـنـاـ كـلـهـاـ قـدـ صـبـ عـلـيـهـ ،ـ
ـ وـنـزـلـ بـهـ صـفـعاـ وـرـكـلاـ .ـ لـانـهـاـ اـسـتـعـمـلـتـ
ـ تـلـكـ الـطـرـيـةـ اـلـىـ أـقـصـيـ حدـ ..ـ

ـ ثـمـ تـكـتـشـفـ الـبـلـطـةـ ،ـ اـنـهـ مـنـ غـيـرـ الـمـقـولـ اـنـ
ـ تـحـبـ اـنـسـانـاـ مـتـرـوـجـاـ تـجـهـ زـوجـتـهـ ،ـ فـتـرـكـهـ وـتـرـوـجـ
ـ غـيـرـهـ ،ـ وـبـعـدـ مـدـةـ يـلـتـقـيـانـ مـصـادـفـةـ .ـ
ـ سـمـ ..ـ أـهـلـاـ وـسـهـلـاـ ..ـ اـيـنـ كـنـتـ طـوـالـ
ـ تـلـكـ الـاـيـامـ .ـ
ـ كـنـتـ اـطـقـ مـبـادـئـكـ الـتـيـ غـرـسـتـهـ فـيـ ..ـ
ـ كـنـتـ فـيـ يـوـمـ مـضـيـ لـكـ يـاـعـاصـ ..ـ كـنـتـ اـحـبـكـ ..ـ

في المكتبة العالمية

يقدمها محي الدين صبحي

قصص من الحرب

وقصص المساء —

لیخائل ساروفین - رومانا

ميخائيل سادوفين ابن فلاج روماني جاهم .
لكن ميخائيل مافقه يكتب منذ تعلم الكتابة عام ١٩٠٤ حتى توفي عام ١٩٦١ وانتبع مايقرب من ١٢٠ كتاباً أصبح بها من أعظم كتاب رومانيا . كان فانا وعلقاً سياسياً فريداً . وكان رئيس البريزيديوم في سنة ١٩٤٧ وساهم في بناء رومانيا بعد الحرب . وتوخذ كتاباته الان مثلاً على الثار الاول للثقافة الجديدة . لكن سادوفين لا ينتمي الى الثقافة الجديدة بقدر ما ينتمي الى القرن الماضي ، فزملاؤه الحقيقيون ليسوا هربنورغ أو باستراك بل تولوستوي وتورجينيف ، رغم أنه أقل مهارة منها . ومعظم كتاباته ليست قصصاً بل حكايات تهدف الى تصوير منظر ريفي او حداثة في لحظة ما . وفي قصة « البرعم الاول » يلخص الكاتب حياة كاملة بصفحات عديدة . اذ تحفل ابنة أحد الاقطاعيين بعيد ميلادها الثاني عشر ، فتتبرع بدافم الشفقة

صـدـرـقـةـ بـلـدوـ.

تالیف کارلو کاسو لا

ایطالیا

نشرت سنة ١٩٦٠ هذه القصة المصورة
الذهبة والمؤثرة عن القدر الذي يفرق بين حبيبين
شابين . وقد أصبحت آنذاك حديثاً إيطالياً يتأثر به
ونالت جائزة ستريجما بسبب حساسية أسلوبها رغم
قلة الخبرة وضعف الشخصيات التي تؤلفها . وبطلاها
فتاة قروية تدعى مارا وشاب في التاسعة عشر
يدعى بيبو وهو شيوعي ومقاوم سابق ضد
الفاشية . يغادر بيبو القرية وفي جيده مسدس وفي
قلبه حماسة غامرة تدفعه إلى قتل كاهن فاشي
وأصابه ابن أحد ضباط الميليشيا ، وهذا ما يجعله
بطلاً في نظر نفسه . وهو يبرر عمله بأن المقول
ليس شيوعياً ، فهو اذن ضد الشيوعية . أما مارا
فإنها لا تهم بمشاكل بيبو في بادئ الأمر ولكن
حين يحكم بالسجن اربعين عاماً تقرر
ان تقف الى جانبه وتساعده على النرار حتى
ينتهي الحكم الفاشي . والطريف في الكتاب هو
حماسة المؤلف تجاه بطله . اذ يعتبره شاباً مناضلاً
خانه الحظ بدلاً من ان ينظر اليه على أنه شاب
خيالي متور .

ويصف رعب جندي تركي أسير في احدى المستشفيات وجبه لاحدى المرضيات الجميلات جبا مزوجاً بالحروف من الانتقام ، لكنه يكتشف أن الرومانين ليسوا متعطشين للدماء رغم حقدهم على الاتراك. ان أسلوب سادوفين يحمل ميزات الاسلوب الروماني - بمساوية ومحاسنه - ويصلح لوصف معارك القرن التاسع عشر ومناظر الريف فيه .

بعض المدايا لضحايا احدى السفن الفرقى ، لكن السخرية التي يواجهها بها أهلها وأصدقاؤها تدفعها الى البكاء والانزعاج عن مجتمعها وترتد الى عالم الطفولة.

وفي مجموعة «قصص من الحرب» يتحدث عن بطولة الرومانى بن في حربهم ضد الاتراك عام ١٨٧٧ وهو يحسن الحديث عن الحرب القديمة بالاسلوب التقليدى ، فيصور جنود احدى الفرق وهم مرحون اثناء الحرب ذات الاساليب القديمة .



انفجار الشمع

جورج ماندل

— أمريكا —

الاتجاه ويصرف النظر عن شخصيات القصة ودرجة قوتهم أو واقعاتهم أو نفسيتهم . وقد سار الكاتب جورج ماندل في هذا الاتجاه فوصف في روايته الانهيار العقلى لفرقة مدررات أمريكية تخابر في المانيا سنة ١٩٤٤ . ويصور الانهلال الذي يحل بأفرادها اثناء القتال . وفي عالم غير معقول ، يملأه الوحش والدم والثار ، تصبح الحالة الطبيعية للجندي المقاتل قربة من الجنون .

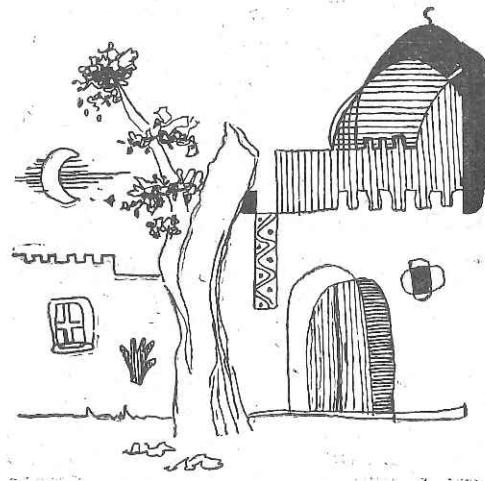
فقد طرحت هذه الفرقه ما يقرب من اربعه اشهر تحت إمرة ضابط يعتقد ان منتهى الشجاعة

ربما كانت موضوعات الجنون وال الحرب والشجاعة هي أكثر الافكار انتشاراً في العشرين عاماً التي مضت . وقد لا يعود هذا الى ان الانسانية في هذه الفترة هدرت من الدم والعقل أكثر مما هدرت في الايام السالفة ، بقدر ما يعود الى ان الكاتب يؤخذ بقيمة نضاله الفردي ضد العالم وضد الزائف الذي يتعرض لها في حياته ، وينبه كثير من كتاب اليوم الى تصوير المآزرق والحالات العامة بدلاً من ان يتحدثوا عن الناس كأفراد ، ويدو ان موضوع الحرب يساعد هنا

ان الشمع موجود بكثرة في الكنائس واماكن العبادة فيحضرونها الى الحنادق ، الا ان هياجمهم يزداد كلما ازداد النور حولهم . ويعلون انهم لن يحاربوا بعد الآن ويرفض القائد الجديدان قوادهم الا ان احد المساعدين يهبط الى الحنادق ويقتل الضابط ويذوس الشموع بأقدامه والجنود ينظرون اليه . في تلك الاتساع يهجم الالان ويقتلون الجميع .

والجديد في الرواية هو اتخاذ الشموع رمزاً للنور الذي يصدر عن الدين وقد استمر الكاتب هذا الرمز بمهارة جعلته محوراً للرواية خالد لاثائة صفحه

هو أن يدفع فرقته الى التقدم دون أن يؤمن لها الامدادات الكافية . وتــكاد الفرقة ان تقع في حصار لو لا ان الحظ يرسل اليها فرقه تقذها من مأذقها ، ويدأ قائد الفرقة الجديدة بلاحظة جنون ذلك الضابط اثناء الليلي التي تقع فيها الانفجارات النوم عن عيون الجنود الراقدين في ظلام الحنادق . ويسأول الجنود ان يضيئوا الحنادق بشموع يصنفوها من دهن صناديق الطعام ، لكنها لا تصيب الا بعض دقائق . الا ان احد الجنود الجبناء يعثر على كمية كبيرة من الشمع فيخوه سرها عن رفاته ، الا ان الجنود يكتشفون



مع الصحافة الادبية

الذى تبذلها زميلات العرويات ، وبعضا
التسبیح لنواحی مفيدة من النشاط الأدبي
والفنی والاجتیاعی على النطاق العربي
الواسع ولعل ذلك يطيب لقراءنا
واصدقائنا ولعل زميلاتنا الاتبخل علينا
بموافقتها على هذا الاقتطف .

في هذه الزاوية من مجلة المعرفة مع
الأحداث الفكرية العربية ، يجب أحد
محرري (المعرفة) أن يشرك قراءها
في تذوق ثراث الأقلام ، التي تقدم
في مجلات فكرية عربية — عسى ان
يكون في ذلك بعض التشویه بالجهود القائم



والارقاء ، ولا يتذوق الاهتمام بالنوادي
« التقنية » والعملية الا قليلاً ، وحيثما ظهرت
العنایة بتطبيق العلم على العمل فاما ظهرت في ثوب
الحرفة والسيمایاء . وقد ابدع العرب في سبل
الكشف عن الحجر الفلسفی ، والتقيیب عن
الاکسیر الذي يطيل العمر ، وبخروا عن تحويل
المعادن الى ذهب ، وقطعوا في هذا الصیار شوطاً
بعیداً ، وتوصلوا الى طائفة كبرى من الاكتشافات
النافعة في میدان السيمایاء . ولكنهم لم ينجحوا في
معرفة العلیمة التجربیة معرفة كاملة دقيقة .
وسبب ذلك ان اجهزتهم كانت لا تزال ابتدائية
اولیة .»

الثقافة — دمشق

الباحث الدكتور عادل العوا في عدد توزع من
مجلة الثقافة موضوعاً منها وهو : اثر العرب في
ثورة العلم . فأورد قول برتراند رسل « عندما
ظهر العرب في التاريخ أصبح للعلم وظيفتان :
أولاًهما تامة المعرفة للإنسان والآخر فسحة
 مجال العمل امامه . فالاغريق ، باستثناء
« أرخيdes » لم يعنوا الا بالوظيفة الاولى ،
وظيفة المعرفة ، وقد برهنوا على شغفهم المظيم
بطلب المعرفة للمعرفة ، وتساءلوا عن العالم وبناته
ولكن الاغريق شعب كان يعتمد على عمل العبيد

ويقول الكاتب : اعلن العرب ثورتهم الثقافية على السذاجة والتواكل والاستسلام ، وجعلوا شعار « الجاحظ » شعارهم حين قال: لاشفني الا الماينة . ورجعوا الى محب التجربة والملاحظة والمنطق والعقل معاً . وهذا كله يؤلف الروح الاتقادية ، روح العلم الحديث . وفي هذا المضمار ذاته نجد اسهام العرب عظيما في تطوير الفكر البشري وتزويده بسلاح الوعي السليم .

ويقول الدكتور العوا بعد ان اورد هنا الرأي : ولا نود في هذا المقال ، ان نصر كلامنا على هذا الرأي الذي يعترف للعرب بمكانة كبيرة ، ومنزلة رئيسية .

ويدلل الدكتور العوا على آثار العرب في العلم فيضرب الأمثلة المختلفة التي تؤيد وجهة نظره منها قوله : ان « الجاحظ » قد تمرد على سلطة « ارسسطو » العظيم ، كما قرر (ابن سينا) ورفض الخضوع لهندا السلطة مؤثراً اتباع الحق المبين .



الروح في فكرته لان في ذلك اكتئاناً لذاته . فا دام لم يتم عملية الخلق يظل يشعر بالقص في شخصيته فيندفع الى الكتابة اندفاع الباحث عن ذاته العاصفة المحتجبة متطلعاً متخرقاً الى معرفتها والكشف عنها .

ويؤكد السيد المجدوب ان الكاتب مسؤول ايضاً عن الغير يرى ان من واجبه ارضاء حاجتهم الى المعرفة وال المجال . لانه اذا ما انتهى ساعه الوحى ، بما ينتاج في صدره من احساس و خواطر احس بان لديه سرا ثميناً . ذخراً نقيساً حرفاً بآن ينعم ويسعد به الناس . فيرغب رغبة ملحقة في اشراكهم في افكاره و احساساته اعتداءً و انتصاراً لها و امتناعاً للغير لان في طرحهم مضاعفة لسروره و اعجابه به .

الفكر - تونس

الادب في تونس الشقيقة آخذ بالتطور والنمو . ومن الملاحظ ان كافة الصحف والمجلات التي تصدر هناك تفرد عدداً كبيراً من اعمدتها وصفحاتها للفكر والادب على ان مجلة « الفكر » هي المجلة التي تهتم بالادب والفن دون المواضيع الأخرى .

وقد عالج الاستاذ البشير المجدوب ، موضوعاً يكاد يكون موضوع الساعة بالنسبة للفكر في العالم ، انه موضوع « الادب بين الانطواء والشمول » .

ويوضح السيد المجدوب ان الكاتب مسؤول لدى نفسه أولاً و مدعو الى تجسيم احساسه و فتح

اختلاف نسي .
ويخلص الكاتب في مقاله الى القول : اذن « فخرافة » الاديب الذي لا يكتب الا لنفسه ان هي الا وهم باطل فما من كاتب جدير بهذا الاسم الا وهو — على الاقل — يخاطب طبقة من الناس ، وما انطواء النفس وانغلاقها دون محيطها الا قتل للادب وضرب من الاتحرار الفكري .

ويقول : الادب هو الاهداء الى « الوحدة » الانسانية عن طريق الفرد ، واعني بالوحدة الصلات الفورية العميقه التي تجمع بين البشر في حدود الزمان والمكان وايضاً عبر هذه المحدود رغم اختلافها — اذ الوجود البشري بوجه عام — اشبه بالدوائر بعضها اوسع من بعض صردها جيئاً الى مركز واحد وليس بينها الا



تلاعム مع الالتزام ، عنده وعند زملائه ، والناس في فلسفه الوجودية — ان صح ان تكون هذه فلسفة — « اغا يعيشون ليعيشوا فقط »

وبعد ان يوضح الكاتب ان الأديب لا يمكن ان يكتب أبداً أصلًا الا اذا كان ملتزماً اورد بعض الأمثلة على ذلك ، كما سجل اراء الكتاب الاجانب في هذا الموضوع ، تقل رأي توبيخه الذي يقول ، ان القضية الاساسية في النقد الادبي في زماننا هي العلاقة بين الخلق والادب ، فليس الفنان بعد الآن من يرى اي معنى في دعوى الفن للفن ... اني اعتقد انه يجب على الكاتب المبدع ان يحيط بالآفاق الواسعة للحياة الانسانية التي ليس للحكم المختفي عليها سلطان ... » .

الأديب - لبنان

في عدد حزيرات الماضي ، قدمت مجلة « الأديب » افتتاحيتها للكاتب الاردني محمد اديب العاصي ، وهي بعنوان « الالهام والالتزام » ويووضح الكاتب ان « الالتزام » ليس تعبيرًا موفقاً وان كان موفقاً ما يهدف اليه من خدمة الانسان وخدمة المجتمع على اوسع نطاق ممكن ، ومن الازمية يمكن ان لا يحول هذا الاصطلاح التقليل دون رؤية المهدى النبيل ، ومع ان الالتزام في عرف سارتر يقتصر على ناحية معينة من الفنون ، فان مازرمي اليه لاعلاقته بالالتزام سارتر ولا بالوجودية التي لاندرى كيف



الاسلامية في المملكة المغربية ، وقد لوحظ ان المشرفين عليها يحاولون ابراز الاجمات الدينية وتطوير الدين الاسلامي باستمرار ليلاً متطاببات عصرنا الحديث

البنية - المغرب

هذه المجلة تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون

ذَكَرُهَا اِرْسِطَاطَالِيسُ (الْعَامَةُ مِنْهَا وَالخَاصَّةُ)
وَالَّتِي تَشَبَّحُ عَلَى اقْلَامِ الاصْنافِ وَلَا يُوجَدُ بِهَا
عَدْلٌ مُطْلَقٌ وَلَكِنَّهَا تَفْسِحُ الْمَحَالَ لِعَدْلٍ مُصْطَلِحٍ
عَلَيْهِ أَوْ عَدْلٍ سِيَاسِيٍّ حَسْبَ رَأْيِ اِبْنِ رَشْدَ، اِمَّا
الشَّرِيعَةُ فَهِيَ الْقَانُونُ الْكَامِلُ لِلْوَلَدَةِ الْاسْلَامِيَّةِ
إِيَّ الْخَلَافَةِ عَلَى عَهْدِ الْخَلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ تَلَكَ الدُّولَةُ
الَّتِي فَاقَتْ فِي الْمَثَالِيَّةِ دُولَةَ اِفْلَاطُونَ (Politeia)
حِيثُ يَنْصُ فِيهَا عَلَى الْمَلَكِ الْفِيلُسُوفِ .

وَقَدْ كَتَبَ الدَّكْتُورُ اِمْجُرُوزُ نَطَالُ الْاسْتَاذُ
بِجَامِعَةِ كَامِبِرِدِجِ لِلْبَيْنَيَّةِ يَشَرِّحُ آرَاءَ اِبْنِ رَشْدَ
الْسِيَاسِيَّةِ وَعَلَاقَتِهَا بِالْجَمِيعِ الْاِنسَانِيِّ وَقَدْ جَاءَ فِي
الْمَقَالَ قَوْلُهُ « اِنَّ اِبْنَ رَشْدَ — عَلَى مَا اَرَى —
كَانَ يَفْرَقُ بَغَايَةً الْوُضُوحَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَبَيْنَ
الْقَانُونِ كَمَا حَدَّدَهُ اِفْلَاطُونُ لَانَّهُ كَانَ يَعْطِي
الْاُولَوِيَّةَ لِلشَّرِيعَةِ بِوَصْفِهِ مُسَلَّمًا » وَيَقُولُ :
« وَمَوْقِفُهُ الْاِيجَابِيُّ مِنَ الْقَانُونِ الْاِلهِيِّ كَانَ يَسِيرٌ
لِمَقَارِنَةِ بَيْنَ هَذَا الْقَانُونِ وَمُخْتَلِفِ الْقَوَاعِنِ الَّتِي



وكان المفروض ان تقف السينما العربية

موقف الدفاع عن ضمائر الجيل العربي امام غزو
هوليود . إلا ان الأمر كان على العكس ، اذ
ذهبت هذه السينما مذهب هوليود ، وقتلت
عنها مع حفظ التشویه كل سؤالاتها وزادت على
ذلك أنها أدخلت عنصر الم Crowleyة .

ويختتم الدكتور القباني مقاله - بل صرحته
المجتمع - بقوله : ان كثيراً من الامراض النفسية
وما إليها من شذوذ وعقد وجرائم اغوا يعود إلى
هذا المرض الجديد الذي حمل العصر وهو « مرض
الأفلام » وكان من الممكن لو لا المتسابقون الى
جيء الارباح من عرض الأفلام الرخيصة ، ان
تكون السينما دواء لـ داء ، وان تكون عدة
المربي في التهذيب واداة المعلم في التعليم ، ووسيلة
المصلح في الاصلاح والارشاد الى السبيل القويم .
وطالب الدكتور القباني الدولة بمراقبة الأفلام
بعين تدرك ان مستقبل القوة والعزيمة في البلاد
العربية ، رهين بما يوضع اليوم من مشروعات
لأخذ يد الجيل والسير به الى الأمام .

طبيبك - دمشق

طرح الدكتور صبري القباني مأساة العصر
الحديث وملهاه لا وهي الصورة المترنحة - السينما -
وذلك تحت عنوان « الحفائق .. والطلال » في
عدد حزيران الماضي من مجلة طبيبك « فأوضاع
ماهذا الفن من تأثير على حياة الانسان المعاصر
والنشأة الجديدة » كما أشار الى فوائده الكبيرة
لو أحسن استخدامه ، ويوضح الدكتور القباني
ان القائمين على هذا الفن في العالم لم يحسنوا
استخدام هذا الفن ، بل انهم رغبوا فيه اول
مارغبوا بالربح المادي ورغبة احلام المجاهير .
وقد أدى ذلك الى شيوعه وایجاد فئة واسعة من
البهر يمكن تسميتها بـ جمهوري الأفلام . ويشير الكاتب
إلى تشویه ابنائنا من جراء ادمانهم السينما ثم يقول :
يمكن بعد نظره نقليها على أي شارع من شوارع
المدينة ان نرى بوضوح آثار هذا التشویه في
الشعور الموجة والحواجب المزوجة ، والشوارب
التي لا تعرف أي شعر أم صبغة خطت بقلم مهندس
أو ريشة رسام ...؟

العدد الذي صدر في اي عام من الاعوام القليلة الماضية .

وقد تكون هذه الاحصائية العامة العريضة مثاراً للسؤال ، ذلك ان تجارة الادب الانثائي تجارة غير راجحة غالباً ، على حين ان تجارة كتب الفكر المؤلفة تحقق في كثير من الاحيان تجارة راجحة ، ومن هنا لا يستطيع المرء ان يعرف سبباً لارتفاع انتاج كتب الادب الانثائي وهبوب انتاج الفكر المؤلف ، اذا نظرنا الى المشكلة من ناحية تجارية محضة على الاقل .

فقد جرت العادة ان يطبع من اي ديوان شعر عادي نسخاً لاتزيد عن ١٢٠٠ نسخة ، وغالباً ما تؤدي ضرورة الاناقة في الارباح والاسراف في الورق الى زيادة رأس المال النسخة بحيث لا يتحقق الميلع ربحاً كبيراً .

اما في كتب الفكر المؤلفة ، او المترجمة - اذا كانت راقية - فان الطباعة عادة تصل الى انتاج اكثر من ألفي نسخة ، وتحقق نوع الورق المستعمل تقاصاً في الرأسمال يتحقق ، وبالتالي ، ربما ضافياً في الميلع ..

ونستطيع ان نأخذ مثالاً بسيطاً على ذلك ، فكتاب « الشيوخية » الذي الفه هارولد لاسي وترجمه خيري حماد طبع منه اكثر من الف نسخة ، وتحقق الميلع رفقاً مذهلاً اذ وصل الى اكثر من ٩٠ بالمئة ، وحدث ذات الشيء لكتاب « فرق تسد » الذي الفه ميشيل ايونيدس وعربه خيري حماد ايضاً .. وفي نفس الوقت مازالت دواوين الشعر التي صدرت باعداد اكبر ونسخ

رسالة من لبنان

يقدمها : غسان كنفاني

حصيلة النشر في عام

لناق نظرة جدية على حصيلة العام الماضي من الكتب التي طبعت ونشرت في بيروت .

لقد حقق الادب الانثائي قفزة كبيرة في هذا العام فبلغ عدد كتب الفصة والرواية والشعر التي افت خصيصاً لننشر في بيروت رقمًا قاماً بالغه في الاعوام الخمسة الماضية ..

ولكن القفزة الاكبر تحققت في الكتب المترجمة ذلك انه ندر مرور يومين في الموسم الماضي دون ان تدفق المطابع الى الاسواق كتاباً مترجمًا جديداً .

اما الانخفاض فقد حصل في كتب الفكر والدراسة المؤلفة ، ولوحظ ان العدد الذي صدر من هذا النوع من الكتب كان اقل بكثير من

يعني على اي حال انه لا يؤمل الكتاب معين ان يوزع توزيعا حرا في نطاق الوطن العربي كله.

اقل قلأ واجهات المكتبات وكذلك بالنسبة لكتب القصة القصيرة والرواية .

ثالثاً : عدم تعرض ديوان الشعري عادة الى مثل هذه الاجراءات ،
وهذا يجعل امر توزيعه - عملياً - اكثرا سعة.

رابعاً : محاولة بعض دور النشر الجديدة اثبات اخلاصها في خدمة الادب ولو كان خاسراً ، والبرهنة على ذلك عملياً
بنية قطع شوط في طريق الدعاية واحراز الثقة،
واشعار جهور القراء بعزم الدار المنية على احضان
الادباء الذين ترفض الدور الاخرى المغامر معهم.

خامساً : عدم وجود انتاج
مرموق ، عملياً ، لمفكرين او دارسين
عرب بشكل يلفت النظر وهذا رأي يقول به
مدير دور النشر .

سادساً : عدم وجود ما يغري
المؤلف في الانصراف الى التأليف الجدي
الذى يستغرق زمناً طويلاً وجهاً اطول ، لامن
حيث الميسع ولا من حيث الارباح .. وهذا
رأي يقول به المؤلفون .

وهكذا نصل الى الحصيلة ، التي هي مجموع
هذه الاسباب والتي - كما يلاحظ بشكل خاص
في هذا الموسم - تعكس انكاساً مؤسياً على
الإنتاج العربي اذا اتفقنا على الحقيقة التي تقول
بأن بيروت قد غدت مطابع الوطن العربي باجمعه.

طبعاً ان هذا الكلام لا يتناول شاعراً مثل
نزار قباني (الذي باع « حبيتي » في مطلع
الموسم الماضي بعشرين ألف ليرة لبنيانة للمكتبات
التجاري) ، ولا يتناول كتاب « رحلة في قلب
عبد الحليم حافظ » الذي صدر عن دار الموعظ
وطبع ٣٥ الف نسخة نفذ اكثراها في اقل من
اربعين ! اما يتناول الكتب العادبة التي تتجه
إلى القاريء المثقف في قطاعاته المختلفة .

اذن ما هو السبب الذي اكثرا من دواوين
الشعر هذا الموسم واقتصر من كتب الفكر المؤلفة ؟
ان جملة الاسباب التي ادت الى ذلك تتلخص
بما يلي :

اولاً : انصراف المؤلفين العرب
إلى الترجمة لأنها تحقق ربما اكثرا عن طريق
اسهل ومضمون حين تجري الحسابات على الصفحة
او السطر او ربما الكلمة الواحدة ، ومما لا شك
فيه ان دور النشر تفضل هذا النوع من المعاملة
لأنه يكفيها مؤونة القيم .

ثانياً : الرقابة المفروضة في غالبية
الدول العربية والتي قمع استيراد الكتب
الفكرية في حالة مساسها بنظامها من قريب او بعيد
او انتقاده ، سلباً او ايجاباً ، او الاشارة اليه ،
او مدح نظام دولة توجد بينها وبين الدول المعنية
خلاف في الرأي او وجهة النظر او المبدأ .. وهذا

أخبار الأدب
والفن
في لبنان

● من الكتب القليلة جداً التي طبعت مرتين هذا العام كتاب «كتبت طيبة في اليمن» من تأليف كلودي فابيان وترجمة حسن العيني ، صدر عن دار الطليعة ، وكتاب «القومية العربية» الذي كتبه بالإنكليزية حازم نسيبة وترجمه إلى العربية عبد اللطيف شرارة واصدرته مؤسسة فرانكلين في بيروت . . بينما طبعت دار الطليعة لمرة الثالثة ديوان الناي والريح للشاعر خليل حاوي .

● يكشف ميخائيل نعيمة على كتابة مجموعة قصص جديدة ما زال عنوانها مجهولاً . . ويقول المطلعون على هذا العمل ان ميخائيل نعيمة ينبع في هذه المجموعة منهاً جديداً لم يطرقه احد من قبله ، وان هذا هو السبب في التكتم الذي ي يريد له المؤلف ان يؤدي الى ضجة تستحقها الجدة في المجموعة .

● تهمك مطابع كثيرة في بيروت بطباعة كتب لتعلم اللغة العربية باعداد كبيرة وباسلوب جديد بقصد الانتهاء منها قبل مطلع العام الجديد ليصير الى شحذها لجزائر بناء على توصيات المراجع الجزائرية العليا .

● الكتب التي اصدرتها مؤسسة فرانكلين في الشهر الماضي كانت «يقطة العرب» من تأليف جورج انطونيوس وترجمة ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس ، وكتاب «حقوق الشعب» من تأليف وليم دوغلاس

● رغم أن المهرجانات الفنية قد قامات على نطاق واسع في لبنان قبل موعدها القليدي بسبب برنامج سياحي خاص ، فإن موسم بعلبك ما زال يحتفظ بمكانة خاصة . .

في ١٩ و ٢١ توزعت مقطوعات موسيقية غربية بين اعمدة بعلبك ، وبين ٢٧ و ٣١ توزع أقامت فرق مهرجانات بعلبك ، وعلى رأسها فيروز ونصرى شمس الدين مهرجان الفناء والرقص الشعبي . . وكذلك بين ٢ و ٥ آب حيث يصير مجموع الليالي اللبنانية تسعماً ، حملت عنوان «حكايا من لبنان» .

وفي ١٨ و ٢١ آب سيقدم المسرح الفرنسي مسرحية جان كوكتو : (رينو وارميد) .

● قدمت فرقة بعلبك بين انقاض مدينة جبيل مسرحية مكتب لشكسبير ، وكان التمثيل والخارج موفقين .

مكتبة الحياة فقد اوقت انتاجها باتها الموسى وسوف تصرف الشهور القادمة في دراسة مشروع جدي واسع لحياة التراث القديم .

● كان آخر كتاب نزل الى السوق هو كتاب « قضيانا في الامم المتحدة » من تأليف الاستاذ خيري حماد ومنشورات المكتب التجاري وكان المكتب قد اصدر مؤخراً مجموعة قصص ياسر الهواري الثالثة « لن يكون وداع » .

● المكتب التجاري سيعطبع في بداية الموسى القادم مجموعة قصص قصيرة للادبية السورية السيدة كوليت خوري اسمها : « أنا والمدى » .

● وصل في اول آب الى بيروت الدكتور توفيق صايغ وبدأ بعد العدة لاصدار الجلة الفكرية « الحوار » التي ستصدر في اول تشرين اول و ٦ مرات في السنة ، كما وصل الى بيروت جبرا ابراهيم جبرا لاعادة طبع ديوان شعره « توز في المدينة » والاشراف على تجهيز ترجمة قصته « صيادون في ازقة ضيقة » التي يترجمها رياض الريس .

وترجمة مكرم عطية . وكتاب « والت هو بيان » تأليف ريتشارد تشيس وترجمة سلمى الحضراء الحيوسي وكتاب « النثر غير الفصحي في اميركا » تأليف ماي بروديك وآخرين وترجمة مروان الجابري وكتاب « مغامرات الفقل » من تحرير ريتشارد ترولسن وترجمة الدكتور محمد فياض .

● انتهى موسم النشر ، وبدأت اعدادات « سرية » لبرامج الموسم القادم ، دار الطيبة تحضر لاصدار « واقع الفكر اليمني » من تأليف سيمون دي بوفوار وترجمتها جورج طرابيشي و « مدينة الانهر السبعة » لطاع صنديو (بالسازار) الحلقة الثانية من رباعية الاسكندرية للورنس داريل وترجمة سلمى الحضراء الحيوسي . وفرانكلين بالاشتراك مع دور نشر اخرى - تعد لاصدار كتاب « س سكوت فيتزجرالد » من تأليف تشيس تشيس وترجمة بكر عباس وكتاب « القمة الاميركية القصيرة » من تأليف دان فورت راس وترجمة سميرة عزام ، وكتاب الصناعة وائرها في المجتمعات والافراد » ترجمة برهان الدجاني ، و « الاسس الثقافية للحضارة الصناعية » تأليف جون نيف وترجمة الدكتور محمود زايد . امدادار

من اخبار الادب والفن

القصة القصيرة واهميها من الناخبتين الفنية والتوجيهية .

● اما الشاعر اللبناني يونس الامين فقد قدم أمسية شعرية في المركز بدعوة نادي الشبيبة .

اخبار مختلفة

● قدم نجاة قصاب حسن مدير الفنون في وزارة الثقافة والارشاد القومي محاضرة قيمة بعنوان « مسرحيات شاهدتها في اوربا » وقد لخص قصاب حسن المسرحيات التي شاهدتها هناك ، وقد اعجب الجمهور بالمحاضرة اعجبًا كبيرا .

● تحدثت فطمة الشلق عن المرأة العربية في الكفاح والمجتمع ، كما الفى الاستاذ سعد صائب حديثاً بعنوان « خطرات نفس » اما عدنان الركابي فقد قدم حديثاً بعنوان « العمل الاجتماعي فن » وذلك بدعوة حلقة التكامل الاجتماعي وجمعية الادباء في حدائق المهد الاهلي بدمشق .

● وفي درعا احيت الندوة النسائية امسية قصصية اشتراك فيها السيدة فر كيلاني والقاص جورج اسطفان والآنسة سلوى شحادة ، وقد حضر الندوة جهور غير .

المراكز الثقافية

دمشق :

● قدم المركز معرضين للرسم الاول كان كان للفنان انطون فرح ، اما الثاني فقد عرضت فيه لوحات من الرسم المندى .
اما بالنسبة للندوات الفكرية فان المركز في عطلة صغيرة الان . بمناسبة الصيف .

حمص :

● عرض مدير المركز عبد العين الملوسي بعض النماذج الشعرية وبعض الصور والمقالات من الصحف والمجلات .

حماة :

● قدمت ثريا الحافظ محاضرة بعنوان : « ثلاث نساء عربيات خالدات في التاريخ »

حلب :

● « الفروسيية عند العرب » عنوان محاضرة التي قدمها سعاد السهام .

● اما اسماعيل صدقى فقد الفى حديثاً بعنوان « الاب ومشكلة المراهقة »

اللادقية :

● قدم القاص عبد الله عبد حديثا حول

كتب جديدة

● من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي الكتب التالية :

« الرأي العام » تأليف الفريد سوبي وقد

ترجمه الدكتور كامل عيادة ، واشرف على مراجعته : الدكتور جيل صليبا

« الصي الأسود » : تأليف رينهارد رايت ، وترجمه سهيل ايوب ، ومراجعة الدكتور غسان الملاع .

« فنون وصناعات شعبية » تأليف منير الكيال

« الصواريف والأقمار الصناعية » : تأليف وجيه السنان

« افريقيا الفرعية في ظل الاسلام »

تأليف نعيم فداح ومراجعة : عمر الحكيم

● صدر عن دار الرائد في حلب للشاعر توفيق اليازجي ديوانه الشعري الاول وهو

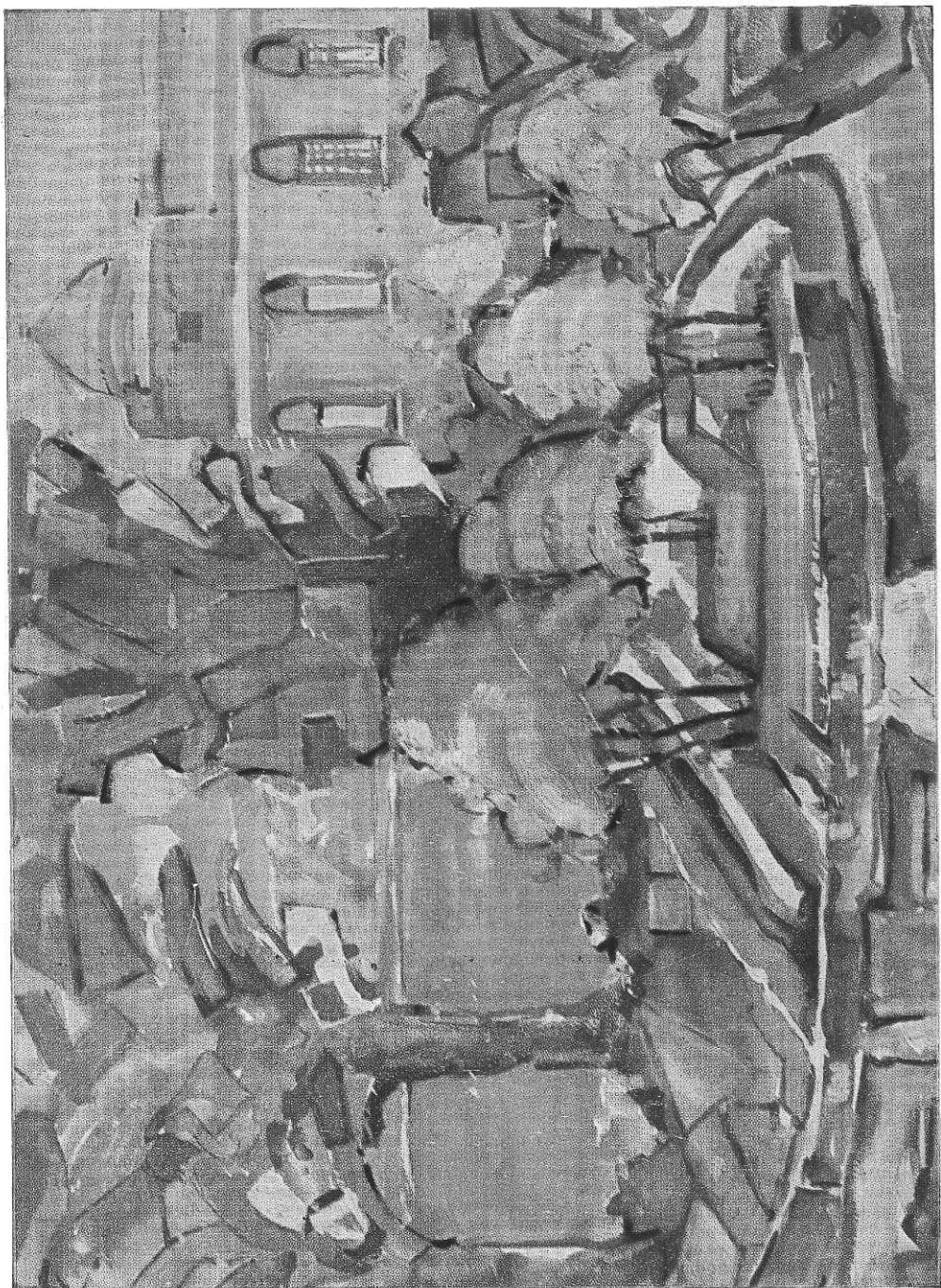
المسرح

● لمناسبة مرورستين على تأسيس مسرح العرائس . دعت وزارة الثقافة والاشاد القومي الى عرض خاص لكتاب المسؤولين وللكتاب والفنانيين اقدم فيه مسرح العرائس في مسرح القباني رواية علاء الدين والقانون السجري وقد كانت هذه الرواية في مستوى رفع من حيث الاخراج والاضاءة دل على التقديم الكبير الذي حققه المسرح .



الказينو في اللاذقية - نوار صباح

- المعرفة - دمشق



وثائق الفن

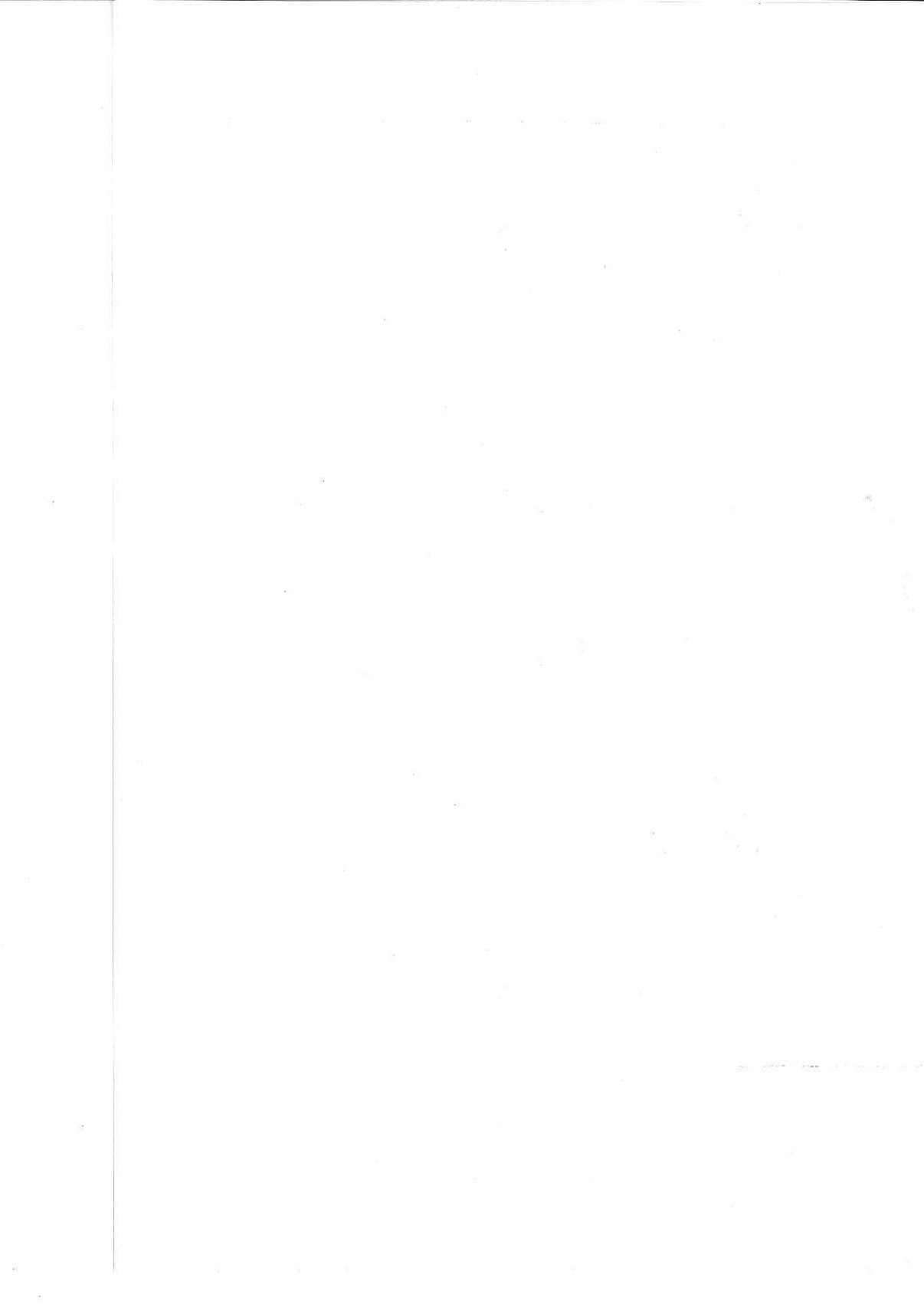
نوبار صباغ

ولد نobar صباغ في حلب عام ١٩٢٠ ، وتبع دراسته الفنية الخاصة بالاشتراك مع بعض الاساتذة الفنانين في حلب . واشترك في جميع المعارض الرسمية التي اقامتها الوزارة . كما اقام معارض فردية خاصة في اوربا .

يتناز اسلوب نobar بالغنى اللوني ، وهو فنان انطباعي الى حد بعيد ، غير انه في لوحاته الأخيرة يعتمد على الوان خاصة تزيد من بهاء عمله وتجعله ذا طابع خاص بذاته ،

اللوحة

اسم اللوحة المنشورة في هذا العدد (الكازينو) وهي مأخوذة من شاطيء مدينة اللاذقية ، وفي مكان قريب من فندق الكازينو ، وقد بدت الحديقة القريبة من الفندق بوضوح .
رسمت هذه اللوحة بالألوان الترابية (غواش) على ورق خاص ابعادها ٥٥ × ٤٥ سم .





وليم فولكنر

« أنت تحاول أن تلخص في حيز ضيق نظيغاً ما عن الحياة . وينحى الفدر ستين عاماً من أجل هذا العمل . وباستثناء بعض الحالات ، لا يمتلك الإنسان سوى شيء واحد : الوقت القليل »

المؤسسات الأكادémية والجامعة . لقد مجدوا حياته ويكوا لموته .

كانت له هيئة مقامرة عادات رجل استقراطي . وكان يكره الثورة الأدبية فيقول عن نفسه : « **لست أدبياً بل مزارعاً مقاعداً** ». وكانت لهجة كلامه لهجة رجل قروي ، أما في حياته فكان يشرب كميات كبيرة من حبه للأيس . وكان فوق كل اعتبار — كأجداده قبله — رجالاً من ولاية مسيسيبي . ومن تربتها الطينية السوداء الغنية خلق فولكنر أرضاً أكثر سواداً : خلق مقاطعة خالية اسمها « يوكنا باتوفا » وتبلغ مساحتها (٢٤٠٠) ميل ويمتد عمر ها قرابة من الزمان . وقد لطخت تربتها الدماء المرأة لأصحاب الأرض الذين تعاقبوا على ملكيتها وهم على التوالي : الهندو ، الإسبانيون ، الفرنسيون ،

وليم فولكنر

بالنسبة لفولكنر كان الوقت كافياً ليقرأ الناس ويسيئوا فهمه ويقموا عليه ثم ينسوه فترة طويلة . في عام ١٩٤٥ لم يكن أحد في الولايات المتحدة يهتم به كثيراً . وقد لام هذا الاهتمام طيبة فولكنر ، إذ أنه كان رجلاً خجولاً لا يبالي بالطريقة التي يتلقى الناس فيها انتاجه . ولكن قبل أن يمضي وقت طويلاً على ذلك التاريخ كان المراسلون الصحفيون يغزون مدینته في الجنوب . إذ أن تقرير بعض النقاد الوعاظ في أمريكا أثار اهتمام الناس به في أوروبا . وفي عام ١٩٥٠ تلقى فولكنر جائزة نobel . وعندما مات فولكنر في توز الماضي بسبب أزمة قلبية كان في عامه الرابع والستين . وقد رثاه المثقفون والأدباء وممثلو

أخذوا يفقدون هذه الصفات تدريجياً . وقدرائي روائينا فولكنز الرابع ، في أبيه وجده جيلاً بدأ يفقد صفات البطولية . وعرض هذا الانحطاط في روايته عن طريق تصويره لأسرى سارتسوريس وكومبسون . فهم أرستقراطيون ، ضيّعاف البنية ، عصاينون ، فرطوا بالثروة والتقاليد . وفي مقابل هؤلاء ينهض آل سنوبس الجشعين الذين لاهم لهم إلا جمع الثروة ، ولا يبالون بأي ثرات . ومؤسس هذه السلالة ورجلاها النموذجي هو فيليم سنوبس ابن لص الحيوان . يصل فيليم سنوبس إلى يوكاباتوفا خلال عام ١٨٩٠ ويظهر سوء معدنه في خداعه لوكيسل آلات الحياة الذي عرف عنه انه من أوفي الرجال في المنظقة . وما ان يستولي فيليم على مزرعة « المنعطف الفرنسي » حتى ينتشر آل سنوبس في الأرض كبلردان . ويعكس نشوء هذه المائة وارتقاءها — فيرأي فولكنز — انحطاط الجنوب بعد الحرب الأهلية الامريكية ، هنا الانحطاط الذي يؤرخه في روايته : « القرية » ١٩٤٠ و « المدينة » ١٩٥٧ و « البيت » ١٩٥٩ .

ان كل ما كتبه فولكنز منذ ١٩٢٩ يدخل
بسهولة ضمن مخطوطة الواسع — باستثناء رواية
«الحرافة» التي تعبّر عن عاطفة دينية — ولا
كان هذا المخطوّط رقعة ارض وليس بناء هندسيًا
فانه لا يخلو توارنه شيء. فقد اعطيه هذا المخطوّط
الحرية لأنّ يكتب رواية عن حقبة من الدهر
«ابسالوم، ابسالوم» وان يقدم أي مقدار

وأخيراً جاء الأنجلوسكسون «يجارون
بالأنجليز البروتستانتي والويسكي المغلية .
يغيرون وجـه الأرض : يقطعون
الأشجار التي احتجت إلى مائة عام
كي تنمو ، من أجل أن يصطادوا دبـاً
أن يستخرجوا ملء قبرة من عسل
النحل البري . » إن يوكنا باتوفا وعاصمتـاً
جيفرسون لها مقابل شاحب في عالم الواقع وهو
مقاطعة لافاييت وعاصمتها أوـكسفورد حيث عاش
فولكنز وكتب وحي مواطنـه سلوـك العجيب ؟
لكن المقاطعة الحقيقة الواقعية القاسية هي المقاطعة
التي أبدعها فولكنز من خـاله ، كما أبدع هومـر
طرـواداته .

وقد حدث لأسرة فولكنز كما يحدث في تاريخ كل أسرة: إن أخلاق الكولونيل المتسابعين

يضع الكاتب مايريد أن قوله وما يكتب من
أجله ، وهو أن عقلاً من جنوي أمريكا أدرك
في أول هذا القرن أن الرق لعنة الارض . ولم
ينس في هذا التيه الغامض أن يضع بين الاحداث
السرية جداً حركات بطيئة بنفس الطريقة التي
يمكن أن يتبعها مؤلف موسيقي حين يضع
كونسلتو .

إن مهير النقاد هذا بدأ حياته بتحيير والديه،
كان فنيًّا لامعًا دون شك لكنه كان أكسل
من أن يتم دراسته الثانوية أو الجامعية وبدلًا من
أن يدرس كان يتبعول حول ساحة المحكمة في
أوكسفورد لينصت إلى ثرثرة العجائز. وفي عام
١٩١٨ نطوع في القوى الجوية لكنه لم يخض
أية معركة فعلية، ورغم هذا فقد عاد إلى بلدته
مصاباً بكسر في ركبته واحتفل مع زميل له يوم
البلدة فامتظيا طيارة وأخذنا زجاجة ويسيكي
ووحوما فوق المدينة ثم هبطا بالطائرة على سقف
أحد المنازل !!

لقد كنت أشرب الويسيكي في نيوأورليانز أيام تحرير المسر و هناك اقابلت شرودود أندرسون . هكذا اعتاد فولكner أن يشرح للسائلين قصة اهتمامه بالكتابية . وقد نشرت روايته الأولى « راتب الجندي » عام ١٩٢٦ لكن فولكner قاسى شفط العيش واشتغل بعهن شتى ليعيم أوده إلى أن نشر بعد خمس سنوات كتابه السابع « المعبد » ، ولمرة الأولى أفصح فولكner عن مرارته تجاه الجمهور حين كتب في مقدمة احدى طبعات « المعبد » أن هذه الرواية تعتمد على

من المرح الصاحب «الخيول المرقشة» او يكتب رواية مجازية «الدب» لقد كانت التربة الطينية السوداء تكفي حلمهم جميعاً.

ان فولكنز يتهم غالباً « بالغفف » ، وقد تسأله الناقد ميكى سبيلين ذات مرة : « لماذا يشغل فولكنز نفسه بكل هذه المادة الكئيبة ؟ ». وفي الحقيقة يكن أن يلام فولكنز لكونه يعتمد أن يكون أسلوبه غامضاً تحركاً فيه الحوادث ببطء وغموض وضعف كما لو أنها تحدث تحت الماء . وهذا يشعر القاريء بأنه إذا لم يغادر هنا الجو إلى السطح فسوف يختنق . وقد سأله أبته عمه : « عندما تكتب هذه الأشياء ، هل تكون سكراناً ؟ »

وقد طرح هذا السؤال كثير من الناس حتى
القاد العجبون به . وكان جوابه فولكن يحمل
معنى الدفاع عن النفس حين همس :

لمس داعماً

ومن المؤسف أن هذا الاسلوب قد اخترط في
كتبه الاخرية إلى مجرد طريقة متصنعة وقد
دققها الابداع الأولى التي كانت تحببه . فقد صار
فولكتر يلجأ إليه لمجرد النزوة والكل ،
لكنه في أفضل حالاته يبني خوضه
عبراة فنية فائقة ، فهو يطمح في رواية
« الدب » مثلاً إلى أشياء عديدة تتطلب التعقيد ،
فهو يثير الحنين والألم بحدة تفوق ما يمكن لأنية
طريقة مباشرة أن تشيرهما . كل ذلك دون أن

خطبته أمام لجنة جائزة نوبل :

« إن ماساتا اليوم هي خوف فيزيائي عالي استمر إلى حد لم نعد نقوى على احتفاله . ولم تعد هناك مشاكل روحية وإنما فقط السؤال : متى انفجر ؟ ولهذا السبب نسي الكتاب الشباب اليوم مشاكل القلب الانساني في غمرة الصراع الدائر في أعمالهم . وحيث أن يقنعوا أنفسهم من جديد بأن الخوف أحرق الأشياء . وعندما يتعلمون هذه الحقيقة فسوف ينسون الخوف إلى الأبد ولا يبقى في عالمهم مكان لأي شيء سوى الحقائق القديمة لفضائل القلب الانساني . وإلى أن يبلغوا ذلك سوق تطاردهم لعنة : إنهم لا يكتبون عن الحب بل عن الشهوة ، عن الهزائم التي لا يخسر فيها أحد شيئاً يُهان إلى القيم بصلة ، وعن الانتصارات التي لانفسح مجالاً للأمل ، والأسوء من ذلك أنهم سيكتشون دون شفقة أورحمة ، إن احزانهم لا تصل إلى عظام الإنسان ولا تترك ندو بأعليها .. إنهم لا يكتبون عن القلب وأغام العنف . »

« وإلى أن يتعلم الكتاب هذا مرة أخرى سوق يظل يكتش كلاماً لو أنه يقف وحيداً يرقب نهاية الإنسان . أني أرفض قبول الفكرة الفاشلة بناء الإنسان . فلن السهل أن يقول بكل بساطة : إن الإنسان خالد لانه سوق يتحمل المصاعب ويوم ينفح في الصور ويتحب آخر شعاع للغروب النهائي فوق صخرة مهملة مفتتة فان صوتاً شاحباً تخيلياً سيظل هناك : صوت الإنسان الابدي القوي يتكلم .. أني ارفض هذا أيضاً إنما لا اعتقاد بأن الإنسان سوق يتحمل فقط بل اعتقاداً أنه سوق ينتصر . »

« فكرة رخيصة » كتبت من أجل المال فقط . وقد آثار المال وحصل على عمل في السينا فتروج من استيل أولدهام وهي فتاة جنوية منه وعاشرت فولكتر الثلاثين عاماً الأخيرة مع زوجته في أراضيه بأوكسفورد مع « زوجات متقطعة لستان هو ليود ونهب ما فيه من المال »

لم يكن يتكلم كثيراً ، وغالباً ما كان يشرد . وكان يشاهد في أوكسفورد وهو يتجلو واضعاً غليونه في فمه وسائراً بالقرب من أصدقائه دون أن يراهم ؟ فإذا نادوه حياهم باياعة حافظة . وقد قال مررة لأحد الصحافيين : « لو أني سأعيش ثانية لاخترت أن أكون المخلوق الذي لا يكرهه أحد ولا يحسده أحد ولا يريد أحد ولا يحتاج إليه أحد . لا يقع في ضيق ولا يحيق به خطر ويستطيع أن يأكل أي شيء . »

وقد تأثر جداً بالضجيج الذي أثير حول قبول الزنوج في مدارس البيض . وقد صرخ قبل عامين من حوادث ليتل روك لأحد الصحافيين « إنني أكره الدمج الاجباري بين البيض والسوبر وقدر ما أكره التفريقي المنحري إذا كان اجبارياً . وطالما أن هناك طريقاً وسطاً فسوق أمشي فيه . ولكن عندما يأتي الوقت للقتال فسوق أقاتل من أجل المسيسي ضد الولايات المتحدة ولو أدى في الأمر أن أخرج إلى الشارع وأطلق الرصاص على الزنوج . »

لكنه كان بليغاً وشديد التفاؤل حين ألقى

فنون

موسم المسرح القومي

هندسية بوضع الدراسة لتحويله إلى مسرح للعرائس ، فوضعت هذه الدراسة وبدأ التنفيذ ، وكان مرتبأً أن يتم في مطلع الصيف الماضي ، إلا أن العمل تأخر لعقبات فنية متعددة ولم يتم إلا في ربيع هذا العام . وكانت مديرية الفنون في الآن نفسه تبحث عن مكان مناسب ي عمل عليه المسرح القومي ، فوجدت أن هذا المسرح على صغره (اذ مقاعده ٢٥٨ ومنصته ٦ × ٥ امتار) يصلح من حيث الموقع والشروط الفنية كالرؤبة والصوت ليكون مسرحاً للتثليل العادي بالإضافة إلى تقديم مسرحيات العرائس فيه ، فوضعت خطة لاستئجاره بشكل كثيف بحيث تعلم عليه فرقاة مسرح العرائس صباحاً وفرقة المسرح القومي في المساء ، واتخذت الترتيبات الازمة لحل الصعوبة الناشئة عن تتابع عمل المسرحين فيه كل يوم رغم الاختلاف في طبيعتهما . وحين فكرت الوزارة في الاسم الذي يطاق على هذا المسرح ، وجدت أن يكون اسمه مسرح « ابو خليل القباني »

خرج المسرح القومي - مضطراً - عن التقاليد المرعية في جميع البلاد ، فبدأ موسمه المسرحي في مطلع شهر أيار ، أي في الوقت الذي تبدأ فيه المسرح عطلتها السنوية . وكان وجه الاضطرار في أن المسرح الذي يجب أن يعمل عليه - مسرح القباني - لم يسلم إليه إلا في آواخر نيسان ، وكانت رواياته جاهزة ، وفراوده ينحرقون شوقاً إلى العمل بعد إعداد طويل واحتجاب عن الجمهور سببه عدم وجود الصالة المناسبة ، والصحف قطّره بالتساؤل عن سر هذا الاحتجاب حتى خيل للناس أن الفنانين قد ناموا ..

مسرح القباني

ولمسرح القباني قصة يجب أن تسجل ، فقد استملكت الوزارة هذا المسرح منذ ستين ، وهو طابق تحت الأرض ، وعهدت إلى شركة

نقاء دبي
وفاطمة الزين
في
مسرحة
اللادي وندر مير



اقبال الجمهور

وكان من الفضايا التي تواجه المسرح القومي قضية شباك التذاكر ، فالحركة المسرحية لا يمكن أن تقوم على المجانية والدعوات لأن الناس لا يحبون الدعوات المجانية ، كما اثبتت التجربة - وأن الحركة المسرحية مهتماً بلغت اعنة الدولة لها لا يمكن ان تستغني عن اسهام الجمهور في تفقيها عن طريق شباك التذاكر . وكانت مغامرة أن يفتح المسرح القومي موسمه لأول مرة ، وبعد طول ارتقاب ، في مسرح جديد لم يعرف احد موقعه وعلى اساس يسع البطاقات وهو شيء لم يألفه الجمهور في بلدنا بعد . وقد نجحت التجربة وصار وسطي من يشترون البطاقات في مجموع حفلات المسرح القومي لشهرين صيفيين يصعب فيها أن يختشهد الناس في القاعات المغلقة يبلغ أكثر من نصف المقاعد ، وجاوز ايراد المسرح ستة آلاف ليرة سورية في هذا الموسم الأول ، وهو شيء يبشر بالخير كله .

رائد النهضة المسرحية في سوريا وأحد روادها في العالم العربي ، وحقق بذلك توصية كان تقدم بها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ...

مسرحيات الموسم

كانت المسرحيات التي قدمها المسرح القومي في موسمه ستة ، وكان اختيارها ضمن خطة ترمي إلى تقديم الوان من الأدب العالمي في مختلف البلدان (مسرحيات انكلترا واثنان فرنسيتان ، واحدة روسية ، واحدة نرويجية) ومن مختلف الألوان (من الدراما إلى الكوميديا ومن مسرحية المناقشة إلى مسرحية الجبكة) وفي الصيغ المختلفة من الالبالي والإيكور . وكان من أهداف المسرح القومي أن يزن قواه في أول مواسمه ، وأن يعبر اتجاهات الجمهور ليتعرف على ذوقه ورغباته حتى يأتي اختيار الروايات في الموسم المقبلة على نحو يرضي الجمهور ويرتقي بثقافته المسرحية ...

السيد مدبر الفنون

بعد ان شاهدت أمس مع السادة الوزراء وكبار الموظفين التمثيلية التي قدمتها الفرقة القومية بناسبة افتتاح مسرح اي خليل القباني ، يطير لي ان اوجه اليكم شخصياً والى السيد نهاد القاصي مدير الفرقة والاستاذ هاني صنور مخرج الفرقة والى اعضائها من ممثلين وممثلات اطيب الثناء على المجهود الشهير الذي ادى الى نجاح تمثيلية «الاشباح» .

وأحب أن أؤكـد لكم ان اخوانـي السادة
الوزراء الذين حضروا الافتتاح وشاهدوا التمثيلية
قد عبروا لي عن اعتقادهم بهذا العمل الفني الناضج
وطلبوـا إليـ أن أبلغـكم ثـناءـهم وتشـجـعـهم .

في المفتش العام



ثناء دبسي وموسى العكراوي في بيت الاشباح — لابن

آراء النقاد

وقد استقبل أكثر النقاد المسرح استقبالاً طيباً إذ رأوا فيه عناية كبرى في الأداء والابراج، وسوية رقيقة في اللغة، وجوأً ايتهاً يحب الانسان ان يمضي فيه سهرة ممتعة . وقد صر ح العديدون من رواد المسرح من كبار الشخصيات والثقافيين بأنهم كانوا يتذمرون أن تكون البداية في هذه السوية المتقدة ، ووجه وزير الثقافة والارشاد القومي كلمة شكر الى المسرح القومي واللائين عليه باسمه وباسم زملائه السادة الوزراء الذين حضروا مسرحياته جاء فيها :



وقد انهى المسرح القومي عمله في ٢٩ حزيران
بعد ان قدم مسرحياته الست ، ليعود فيستأنفه في
مطلع ايلول المقبل بصورة دائمة يومية .

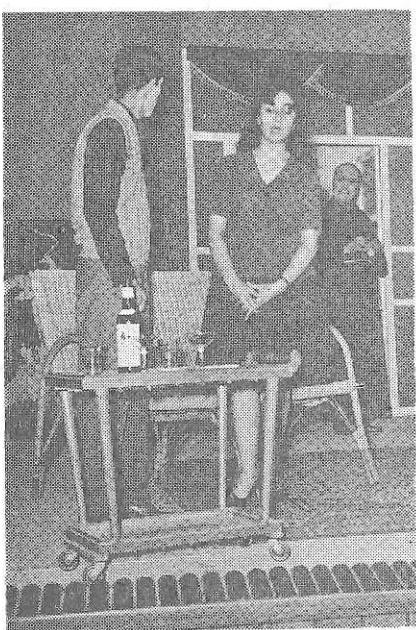
لذلك أرجو ان تقبلوا شخصياً ، وان تبلغوا
مدير الفرقة ومخرجها واعضاءها ، فرداً فرداً ،
ثنائي وشكري وأملي بأن يستمر عملاًكم على هذا
المستوى من الاتقان والاخلاص الذي ، بل أن
يطرد النقدم والتسامي في النهوض بالفرقة القومية
واتجها: **وزير الثقافة والارشاد القومي**
الدكتور عبد السلام العجيبي

المسرح الشعبي

بدأ المسرح الشعبي التابع لوزارة الثقافة
والارشاد القومي عمله في ١٩٦٩ تقوز وفق البرنامج
التالي: من ١٥ تقوز حتى ٣ آب على مسرح المقاومة
الشعبية في سوق ساروجة حيث يقدم قصيلية بيت
للإيجار وهي من تأليف حكمت محسن وآخر
محمد علي عبده .

وحتى ٤ آب يبدأ المسرح الشعبي جولة
في سورية بدعوة من ادارة الشؤون العامة للبيش
العربي السوري فيزور جميع البلاد السورية ويقدم
رواياته القبطان العسكرية والمدنية المناسبة
الاحتفالات يوم الجيش العربي السوري .

ثم يعود في ايلول فيعمل في دمشق لمناسبة
المعرض ويستمر عمله كل ليلة طيلة العام مع قيامه
برحلات الى القرى على عربة المسرح المتنقل التي
اعدت خصيصاً لهذه الغاية .



نحوى صدقى - ويعقوب ابو غزالة
وباسر أبو الجين - في مسرحية الفخ

دبكة
موج
السلطان



مسرح الفنون الشعبية



دبكة شديدة الهجن



مسرح الفنون
الشعبية ..
في ساحة
القرية

مسرح الفنون

الشعبية في سوريا

يحضر مهرجان

عيد المراجان

في تونس

يستعد مسرح الفنون الشعبية في وزارة الثقافة والارشاد القومي لتلبية الدعوة التي وجهت إليه من حكومة الجمهورية التونسية الاشتراك في مهرجان عيد المراجان في تونس ، وهو مهرجان دولي للفنون الشعبية تلتقي فيه الفرق القادمة من بلدان عديدة اوروبية ، وعربية ، وتحرص في

اما البرنامج الذي سيشتهر فيه المسرح فيتألف من قسمين تقليدي فيه الموسيقات ورقصات السماح والمزاهير ، وريفي فيه لوحات ريفية ومع الدبكة والمهاج بالإضافة الى الغناء والموسيقى العربية من فرقة الوزارة الموسيقية .



مسرح العرائس

المسرحيات بينها علاء الدين والقانون السحري وساحر الغابات والطابة النطاطة وغيرها .

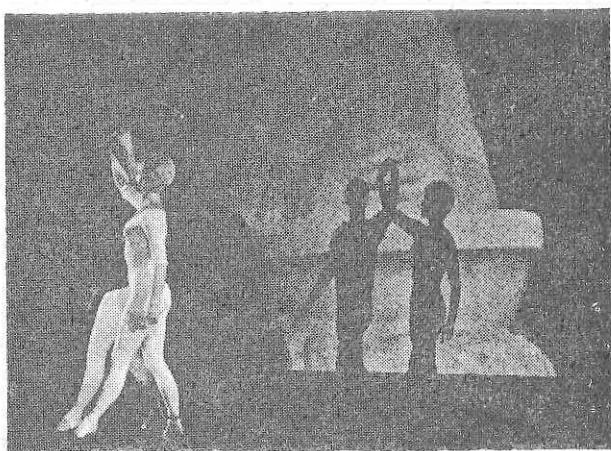
وسوف يستمر مسرح العرائس في العمل طيلة العام .

وبذلك تكون مسارح الوزارة الثلاثية (القومي والشعبي والعرائس) في حالة عمل يومي دائم يسع عن وجه دمشق نهايًّا وصبة الركودافي.

بدأ مسرح عرائس دمشق عمله في صالة « مسرح الفياني » ابتداء من يوم السبت ٢١ توزع بحفلة مسائية عامة ثم توالت حفلاته الصباحية للأطفال كل يوم الساعة العاشرة عدا يوم الثلاثاء حتى يحين موعد المعرض فينتقل للعمل في سرادق خاص اقيم له في مدينة المعرض . وسيقدم مسرح العرائس بادارة عبد الطيف فتحي عدداً من

اللاترنا

ماجيكا



المسرحية الشهيرة واعطاء شكسبير جائزة الاوسكار بوصفه احسن كاتب سيناريو في العالم ! ..) والمسرح يأخذ من التصوير التجريدي من اظهاره المسرحية الرمزية ومن السينما اساليب حركتها السريعة التي تكسر طوق قواعده التقليدية كوحدة الزمان والمكان والحداثة ، (تجرب بوريان في ادخال العرض بالفانوس السحري ، وتجرب سفوبودا وکاشليك في العرض السينائي على المسرح) واخيرا جاءت الالترنا ماجيكا التي ابتدعت في سنة ١٩٥٨ لمناسبة معرض بروكل الدولى وفازت فيه بجائزة الاولى ، تؤكد على الصيغة الجديدة في تلاقى الفنون جميعاً .

ان الالترنا ماجيكا هي سينما مضافة اليها مسرح مضافة اليها البالية والموسيقا والفنون الشعبية في صيغة تجاوز الجمجم الحساني الصرف . فالسينما لاتدخل كاسلوب سريع فعال في تغيير المناظر

كما سارت البشرية خطوة في طريق الحضارة، انكسرت الااطواق التي كانت تحيط بالعلوم والفنون فتجعل كل منها اسير قواعده الخاصة ، واندكـت الحدود بين الام والشعوب نتيجة تقدم المواصلات وقيام التواصل الفكري عن طريق الكتاب والصحيفة والاذاعات والسينما والتلفزيون والمبادلات الثقافية . وقد بلغنا الى عصر يقابل تفكـيكـ الذرة فيه وانطلاق قواها الماهلة ، تفكـيكـ القيود التقليدية التي كانت تحيط بالفنون وتمنع من تحرير قواها المبدعة الضخمة هي الاخرى .

وقد تعاطفت الفنون وترادفت ، فصارت الموسيقا تعتمد لتجسيد الحانها على الصورة واللون (تجربة والت ديزني في فيلم فاتـازـيا) واللون يعتمد قواعد الماـرـمونـيـة في تـآـله وتسافـره (اتجاه الفنون التجـريـدية التي تعتمـدـ بـقـعـ اللـونـ المتـآـخـة اوـ المـتـنـافـيـة) والسينـما تـأـخذـ منـ المـسـرـحـ والاـوـبراـ (اتجـاهـ السـيـنـماـ الاـخـيرـ نحوـ الروـاـياتـ

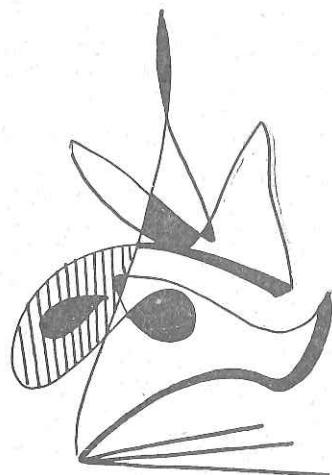
لا يعرف الا بعد ، فانها تظل مقصورة عن المسرح في انه يقصها وجود الفنان الحي ، وجود المؤنس في مواجهة الجمهور . اما الالاتينا ماجيكا فهي قد جمعت المزايا كلها على خو متوفقاً .

ولا ريب في ان الالاتينا ماجيكا التي وصفها القائد بأنها معجزة القدم الفنية في القرن العشرين ، والتي استقبلتها العاصمة الكبيرة الملاي بالفنون المتقدمة استقبالاً ملؤه الحرارة والحماس ، سوف تعطي ابناء الشعب العربي مسرة فاقعة حين تقدم برامجها على مسرح معرض دمشق الدولي من ٢٥ آب الى نهاية ٥ ايلول ، وتطلعهم على مستوى في الفن يفوق كل مارأوه من قبل . وانا نتهزها فرصة لنهر المديرية العامة لمعرض دمشق الدولي على المجهود الذي تبذل لتكون دمشق مهرجاناً دائمآ للتقدم الحضاري .

« ن »

المسرحية وحسب ، ولا باعتبارها عنصراً مقوياً في الاثر المسرحي وفي شاعرية المسرح ، ولكن باعتبارها اصلاً مقصوداً بذاته كمسير حقاماً . ويدهش المترجح حين يرى الممثل الحي الواقع على المسرح يدخل الى الشاشة فإذا هو صورة او يرى صورة الراقصة على الشاشة تخرج فإذا هي صبية حسناء من لحم ودم ترقص على المسرح . لقد استطاعت الالاتينا ماجيكا باستخدامها السينما والخيل السينائية والمسرحية وعمليات الاضاءة والصوت المدهشة ، والاساليب الآلية وبتأكيدها على الصفات الفنية العالمية لدى الفنان وعلى المجهود الكبير لانفان الحركة ضمن توقيت عجيب الدقة ، استطاعت أن تعطينا شيئاً هو أعلى من كل هذه الفنون جميعها .

واذا كان من المعروف ان السينما تستطيع بأساليبها التقنية (كالسينما سكوب والسيزاما والسيركوراما) ان تعطينا عالماً من الوهم الجميل





مع تیارات افکر جهانی

تيار جديد من الفكر السياسي يجتاح اوروبا - يتحدثون عن الوحدة مصيراً لشعوبها ودولها وعن تطوير سياسي يحفظ لها قيادتها .

فؤاد الشايب

ونحن ننقل رأي البروفسور الانكليزي (باركنسون) في دعوة إلى قيادة فكرية بريطانية (١) تتولى التوجيه والبحث في إنشاء قوة أوروبية ثلاثة، تهدف بين الاتحاد السوفيافي والاتحاد الأميركي وتدعى الاتحاد الأوروبي. وقد ساقنا الاستطراد إلى معالجة

في صحف الأدب والسياسة والمجتمع من انكلزيّة وفرنسية آثار واضحة لتيار فكري جديد في أوروبا ، يحمل دعوة الوحدة الأوروبيّة ، ويلقي على المفكرين قبل سوادهم تبعاً لهم في توضيح الدعوة ، وبواطنها وسبلها مسيراً ومصيرها ، ولعل القراء يذكرون مروراً لنـ، عابراً بال موضوع ،

(١) العدد الثالث ، والعدد الرابع من المعرفة — جولة الشهر —

الأوروبي المنشود ، فإن من ذكر بعض التاريخ ما يدفع أحالم الآخرين ، ويوجه أفكار المفكرين والمؤرخين الذين يستطيعون أن يجدوا دائماً بين الخراب والاطلال ، مواد مطهورة ، تصلح للبناء ، إنهم يذكرون سيادة روما الوثنية على العالم الأوروبي القديم ، ثم سيادة روما بـ المسيحية على نفس العالم ، ويدركون بعد سقوط روما ، إمبراطورية شارلمان التي قام فيها وجود سياسي لأوروبـة الموحدة خلال قرون ، ثم يصدون نحو منابع الحضارة الأوروبـية ليـشـيرـوـاـ إلى خصائصها الكامنة في ذلك الزيـجـ الثقـافـيـ التـكـونـ معـ التاريخـ منـ عـنـصـرـيـنـ أسـاسـيـنـ : العـنـصـرـ اليـونـانـيـ الروـمـانـيـ ، والـعـنـصـرـ الروـمـانـيـ المـسـيـحـيـ ، إنـهمـ يـرـيدـونـ الـانتـهـاءـ ثـقـافـيـاـ إـلـىـ لـاـئـينـ : سـفـرـاطـ ، والـسـيـصـ ، إنـهمـ يـذـكـرـونـ كـيفـ سـادـتـ روـمـاـلـىـ شـعـوبـ اـورـوـبـةـ قـبـلـ المـسـيـحـيـ ، بالـذـاكـهـ وـالـتسـامـحـ ، وـاحـترـامـ الـخـصـوصـيـاتـ الـاقـليمـيـةـ الصـغـيرـةـ ، دونـ لـجوـءـ إـلـىـ الغـنـفـ ، أوـ الـابـادـةـ ، اوـ الـتـسـلـطـ ، كـأنـ تـبـنيـ روـمـاـلـهـ أـثـيـنـاـ ، وـتـدـخلـهـ فـيـ مـعـابـدـهـ عـلـىـ اـنـهـ الـهـتـهـ ، وـكـأنـ تـجـعـلـ مـرـعـيـاـ الشـعـوبـ الـخـاضـعـةـ سـلـطـانـهـ رـعـيـاـهـ نـفـسـهـ ، لـتـمـرـجـ وـايـاهـ ، وـتـخـرـجـ بـهـ إـلـىـ خـارـجـ حدـودـهـ ، وـتـرـسـخـ قـوـاعـدـ مـنظـمـاتـ السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ ، وـعـنـدـماـ اـنـتـصـرـ (ـالـحـزـبـ السـيـاسـيـ)ـ الـجـدـيدـ ، ضـيـرـ الشـعـبـ الروـمـانـيـ ، وـغـداـ المـسـيـحـيـونـ اـكـثـرـ الـمـوـاطـنـيـنـ ، دـخـلـتـ روـمـانـيـ الـحـزـبـ الجـدـيدـ ، وـتـبـنـتـهـ ، وـتـرـزـعـتـ مـنـ يـمـينـ جـوـسـترـ بـالـأـرـيـابـ سـلاـحـ الصـاعـقةـ . أـمـاـ شـارـلـانـ ، الـذـيـ حـكـمـ اـورـوـبـةـ مـوـحـدـةـ مـنـ بـعـدـ ، فـلـمـ يـكـنـ سـوـيـ وـرـيـثـ

(ـالـفـنـ وـالـخـرـبةـ)ـ فـيـ جـوـلـيـ العـدـيـنـ الرـابـعـ وـالـخـامـسـ فـتـحـوـلـاعـنـ مـوـضـعـ السـيـاسـةـ اـورـوـبـيةـ الـجـدـيدـةـ عـلـىـ انـ نـعـودـ إـلـيـهـ . وـهـاـ نـحـنـ مـعـهـ كـاـ وـعـدـنـاـ .

... بلـ لـيـسـ الدـعـوـةـ سـيـاسـيـةـ ، كـاـ يـرـاهـ المـفـكـرـونـ ، الدـاعـوـنـ إـلـىـ بـعـثـ اـورـوـبـةـ ، اوـ تـجـدـيـدـ حـيـاتـهـ . لـيـسـ شـيـئـاـ مـنـ ظـلـ الـقـيـصـرـ الـرـوـسـيـ ، اوـ الـتـابـيلـوـنـ الـفـرـنـسـيـ ، عـلـىـ الـقـارـةـ الـعـتـيقـةـ ، وـلـيـسـ دـعـوـةـ إـلـىـ وـحدـةـ الـعـالـمـ الـمـسـيـحـيـ ، اوـ إـلـىـ شـيـءـ كـجـلـفـ سـيـاسـيـ مـقـدـسـ ... تـدـعـمـهـ عـلـاـقـاتـ حـسـنةـ بـيـنـ مـالـكـ وـمـلـوـكـ ، اوـ وـشـائـجـ مـصـاهـرـةـ وـدـبـلـومـاسـيـةـ تـحـوـكـهـاـ نـسـاءـ جـيـلـاتـ ، وـسـيـاسـيـوـنـ دـهـاءـ . كـاـ انـهـ لـيـسـ فـيـ شـيـءـ مـنـ ضـرـوبـ التـجـمـعـ اـورـوـبـيـ ، اوـ التـواـزنـ الـعـسـكـريـ ، اوـ التـحـالـفـ عـلـىـ غـرـارـ الـتـأـلـبـ ضدـ النـازـيـةـ وـالـفـاشـسـيـةـ . انـهـ عـلـىـ لـسـانـ الـمـفـكـرـيـ وـالـفـلـاسـفـةـ ، وـالـبـاحـثـيـنـ ، اـكـثـرـ وـاقـعـةـ مـنـ جـهـةـ ، لـأـنـهـ بـعـيـدةـ عـنـ الـفـلـاطـوـنـيـةـ ، وـالـمـثـالـيـاتـ الـإـنسـانـيـةـ ، وـالـدـعـوـاتـ الـجـمـيـةـ الـفـاـخـرـةـ ، وـاعـمقـ جـذـورـاـ مـنـ جـهـةـ ثـانـيـةـ — لـأـنـهـ اـعـقـمـ غـرـضاـ مـنـ مـحاـولـاتـ سـيـاسـيـةـ ، تـتـعـدـدـ مـظـاهـرـهـاـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـامـ ، عـلـىـ شـكـلـ مـدـاـولـاتـ بـيـنـ دـوـغـوـلـ ، وـادـيـنـاـورـ وـغـيـرـهـاـ .

وحدة اوروبـةـ فيـ التـاـرـيـخـ

يـحـاـولـ الـبـاحـثـوـنـ أـنـ يـجـدـوـ فـيـ تـارـيـخـ اـورـوـبـةـ بـعـضـ الـجـذـورـ الـمـتـصـلـةـ بـوـجـودـ الـوـحدـةـ السـيـاسـيـةـ اـورـوـبـيةـ ، وـانـ يـكـنـ الرـجـوـعـ إـلـىـ التـارـيـخـ لـيـسـ بـلـلـادـةـ الـبـنـائـيـةـ الـتـيـ تـعـتـمـدـ الـيـوـمـ فـيـ تـصـيـمـ الـبـنـاءـ

صغاء : وعندما كان نابليون ، ينادي أوروبية
فانياً : كل الأسباب تدعى إلى ان تخلي دول
أوروبية عن خصوماتها ، وتتجدد ، لأن أوروبية
مقاطعة من العالم ، وال الحرب بين الأوروبيين حرب
أهلية ، كان القواد البريطانيون الذين اقسموا إلـا
أن يهدروا دم القائد الفرنسي ، يقولون بأن
حربيهم هذه مع فرنسا حرب ابادة ، فاما موت أو
حياة – اذ هــما تكون الدعوة الى الحق جــلة
الطــلة ، فــها لا تــمو في ظــل الســيف .

ومهما يكن من شأن بعض المحاولات السياسية، او الفكرية الفاضحة لحياة الكيان الأوروبي او لتأييفه على شكل ما يقيادة ملك عظيم ، او امبراطور مقدس ، فان تاريخ التفكك الأوروبي بعد شارلمان كان يتدرج من دول كبيرة إلى اجزاء ، ودولات ، لا تثبت ان تشكل كيانات وطنية صغيرة متباورة ومتدخلة احياناً ، عنصراً ولغة وديناً . فاذا كبر كيان منها ، فالحرب ، وعلى حساب كيان مجاور . واما اغارت ثورة غازية على جزء من اوروبا ، لا تكتثر له الاجزاء المجاورة ، بل انها لتربق الفرصة التي هيئ فيها ، لتقضى عليه وتلتحق بكيان امبراطوري قوي ، ثم يأتي دور التنازع الديني ، ويعقبه التنازع على الفوق اللغوي ، والعنصري ؟ وتعتمق مجموعة متألقة من التزاعات ، حدود الوطنية العازلة ، حتى ليظن أن الفروق الشاسعة بين عقليات البروسي ، والروسي ، والفرنسي ، والانكليزي ، والأسباني ، والسويدي ، فروق أزلية ابدية .

تلك الحضارة الرومانية المسيحية ، وبها ساد ،
إلى أن انتهى أجله ، فانتهت به آخر آثار الوحدة
الاوروبية في التاريخ ، وتوزع الأمراء في
القرن التاسع ، تركه شارلمان .
وعندما أطل القرن السادس عشر كانت
الكنيسة قد تفرقت ، وتفزقت معاً أوروبا ،
كانت الحروب وحدها ، سياسة التحالف
أو التنازع ، وكان عظاء الملوك والقادة ، يحاولون
توسيع ملوكهم بالسيف ، وتضييق ممالكتهم بعزق
الدول المغلوبة . واضيفت الحروب الدينية إلى
الحروب السياسية ، وال العسكرية ، واسفرت
جميع الحروب عن تأليف (أوروبية الحديثة) ،
الفاردة ذات العصبيات الوطنية النتيفة تهالك على
الحروب وتهلك بها شعوبها .

وسوءاً كانت الدعوة باسم الدين ، او باسم قائد قادر ، فلم تكن لتحقق مم فقحة السنان ، اذنا

المثاليات الاستعمارية في وحدة التحكم الأوروبي
اذ قد شهد هذا التاريخ حروباً طاحنة بين
دولتين او اكثر من دول اوروبية ، وكانت
الحربان العالميتان الأخيرتان ، ابرز مظاهر الفشل ،
هما ساعد وعي الشعوب الضعيفة المغلوبة على امرها
في القارتين ، على التفتح والشعور العميق بأن
الصراع الرهيب ، من اجل الفريسة ، لامناس
من أن يتوجي بخلاص الفريسة من ظفر الفارس .

وصحيغ أن تواطؤات استعمارية بين الفرقاء
المتضادين قد ثبتت في ظروف مصالحة ومهادنة
بینهم ، ولكنها في مبناتها ومرماها لم تكن لتضييف
اي لينة في البناء الموهوم لوحدة اوروبية ينشدتها
المثاليون الخياليون ، أو القادة والزعماء
السياسيون .

أوروبا في حاضرها

مع هذه التحلية السريعة فوق القارة العتيقة ، نرى اشتات دول ، حرفت الثورات والحروب يهانها اخاً ديد حدود عميقة ، تحوّلت في حقب متعاقبة من التاريخ ، إلى حضون وقلاع ، ومبادرين حروب ضاربة . وقد كان بالامكان تجاوز أو تناسى هذه الفرقة ، ما دامت المستعمرات تغذى رحى الحرب ، وتني بالنعم على جميع دول الاستعمار ، ولكن عندما بدأت تخسر هذه الدول مستعمراتها ، وأصبحت الثورات به الحروب ، تستنزف الطائل من الثروة المجتمعية ، والمائة معاً ، كما حدث لفرنسا في حرب الجزائر ، او لبريطانيا في الاحتفاظ بالمكسيك ، أحسست دول الاستعمار

.. حتى اذا خرجت اوروبا الى استعمار العالم المغارجي في، اسية وأفريقيا ، وظن بعض المفكرين أن قد ياهو المستعمرون عن خلافاتهم بغير اتهم ، وأن (عبء الرجل الأبيض) - كما يقول كبلنگ الاسكيلزي ، شاعر الاستعمار ، سيوحد صفوف اليض ، ضد الصفر ، والسماء ، والسود معاً ، تجلت في الواقع اسباب جديدة للتنافر العنيف بين الدول ماخرة البحار ، مكتشفة الشيطان ، قاهرة الغابات . ولم يكن من اليسير أن تجمع الفراصنة راية واحدة ، لأن الفracsون في الأصل ، وقبل أن تعي رسالتها مؤخراً ، أمام يقطة الشعوب المستبدة ، تجارة تعيش على الفوضى والمفارقة والاستهتار بكل قانون ونظام وبدأ ، فإذا تداعى الفراصنة بناة الامبراطوريات الى وحدة الجبهة الاستعمارية ، فلم يكن ذلك الا في الحقب الأخيرة ، مع مطلع القرن العشرين ، عندما أخذ الرجل الملون يقرر مراكب الغزو في مراسيمها ، وبلوي الولايات في اكتف حاملتها .

هنا القول الأوروبي الشائع ان سيادة الغرب الأوروبي لن تقي شمسها عن الارض . ولقد كان الذي الاستعماري مفتوحاً للجميع ، لكن من استعد للقهر والغلبة ، بحيث لا يشعر المنافسون بأي حاجة لأن يتذلل احدهم الآخر عن قليل من مغانمه . ولعل نشوء هتلر ، لم يكن سوى تحيل صحيح لضراوة الحerman . كما ان ثورة البروليتاريا لم يكن سوى تجسيد لغط المجهوري العام الذي انتقل من الثقافتين إلى العامية بدءاً من اواسط القرن التاسع عشر ، فائلاً ومرهداً : اذا كان ظانون بالمة من ثروة الامبراطورية البريطانية يصب بين ايدي خمسة بالمة من سكان بريطانيا ، فمن أجل من تقوى الطبلول ، وتزهق الأرواح !

وليس الغرور الأوروبي الذي ركب رؤوس المغامرين ، من صلب الموضوع ، لتبسط فيه ، اما قول استطراداً ان نظريات التفوق المترافق ، ومبدأ (عب الرجل الايض) الانكليزي ، ودعوى فرنسا بأنها ناشرة الحضارة ، وحاملة لواء الحرية والمساواة والاخاء — على مانادت به الثورة الفرنسية التي اكلمتـا حروب نابليون —

بالقطيعة الرهيبة تقطي حضارتها بالصيق ، وتسد عليها المنفذ نحو البحر الوسيعة حتى الاختناق ، اذ من الواضح اليـن ان من فقد مستعمرة لن يعود اليـا ، ومن لا يزال يـسـكـ بيـقاـياـ مستـعـمـرةـ ، سـيـجـلـوـ عـنـهاـ قـرـيبـاـ . ولا بد من الاشارة هنا إلى أن الثورة الجزائرية كانت الحـدـثـ الانـسـانـيـ الأـكـبـرـ فيـ منـعـطفـ النـصـفـ الثـانـيـ منـ القـرـنـ العـشـرـينـ ، الذي حول تـيـارـاتـ المستـعـمـرـينـ وـ قـلـبـ رـأـسـاـ على عـقـبـ مواـزـينـ السـيـاسـةـ وـ الحـكـمـ فيـ الـعـالـمـ أـعـجـعـ .

هـذـاـ منـ جـهـةـ ثـانـيـةـ ، فـانـ مـأـصـابـ اـورـوبـةـ منـ الفـرـورـ خـلـالـ القرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ ، معـ اـزـدـهـارـ عـصـرـ الصـنـاعـةـ ، وـامـتـدـادـ شـرـاـينـ المـواـصـلـاتـ بـينـ اـجـزـائـهـاـ نـفـسـهاـ ، وـيـنـهاـ وـبـينـ اـطـرافـ العالمـ (١)ـ ، عـزلـ حـاضـرـهاـ عـنـ مـسـتـقـبـلـهاـ ، وزـينـ لهاـ وـجـوهـ الـحـيـاةـ ، مـاظـهـرـهـاـ وـاستـرـ ، فـارـقتـ فيـ مـفـارـمـاتـ الصـنـاعـةـ وـالـتـجـارـةـ وـالـرـبـيعـ ، وـجـابـ فـجـاجـ الـأـرـضـ عـلـىـ اـجـنـحةـ الـآـلـاتـ السـرـيعـةـ ، وـالـاتـاحـ الـفـزـيرـ ، تـضـربـ مـعـولـاـ فـتـفـجـرـ نـهـرـاـ ، وـتـرمـيـ حـبـةـ لـتـحـصـدـ قـنـاطـيرـ مـنـ الـحـبـوبـ ، وـخـيلـ الـيـاهـ اـنـ يـسـكـ يـدـهـ الـآـلـةـ وـرـأـسـ الـمـالـ ، فـكـاهـ جـوـيـرـ ، وـيـدـهـ الصـاعـقةـ . وـمـنـ هـنـاـ اـفـرـاطـ التـفـاؤـلـ لـدـىـ فـلـاسـفـةـ القرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ (٢)ـ . وـمـنـ

(١) نـظرـ (ـريـنـانـ) نـظـرـةـ حـذـرـةـ إـلـىـ الـمـسـتـقـبـ عـنـدـمـاـ اـسـتـقـبـلـ دـوـلـبـسـ ، فـيـ الجـمـعـ العـالـمـيـ الفـرـنـسـيـ مـوجـهـاـ إـلـيـهـ هـذـهـ السـكـلـاتـ : لـقـدـ حدـدـتـ ، مـعـ قـنـالـ السـوـيـسـ ، أـئـيـاـ السـيـدـ ، الـمـكـانـ الـذـيـ سـتـقـعـ فـيـ مـعـارـكـ الـفـدـ الـكـبـرـيـ .

(٢) رـاجـعـ فـيـ العـدـدـيـنـ الثـالـثـ وـالـخـامـسـ مـنـ (ـالـعـرـفـ)ـ مـعـ شـبـنـلـفـ وـتـوـنـيـ فيـ سـلـسلـةـ مـجـوـثـ (ـكـيفـ قـهـمـ الـتـارـيخـ)ـ

٦ - تخلف أوروبية في السباق الذري ، وخروج القيادة السياسية من يدها .

ومما لا شك فيه ان هذه القوى وعواملها في تطوير المفاهيم القومية ، والانسانية على الصعيد السياسي والفكري ؛ من وراء التيار الاوروبي الجديد ، الذي يحمل دعوة الوحدة الاوروبية ، ومعلوم أن السوق الاوروبية المشتركة، هي الابادة الاولى من بوادر الحاجة الى التجمع ، كفرد فعل ازاء المؤامل التي ذكرناها ، منفردة او مجتمعة ، كما ان التيار الفكري الذي يحمل الدعوة الاوروبية ، سيزداد وضوحا في الاعوام القليلة القادمة .

الدعوة في واقعها ومثالاتها

سيصر الجانب الفكري من الدعوة الاوروبية ، على وحدة المنبع الحضاري الذي منحت منه اوروبا ثقافتها ، ولغاتها وطراز تفكير سكانها على توع قومياتهم واعراقهم ومنازعهم ، باعتبار أن في اعماق الضمير الاوروبي ، وراء كل الزعزعات ، والمصالح المتباينة ، تقاليد فكرية وروحية ، تعمل بصمت ، وتحفر في الصميم شكل العقلية الاوروبية التي صنعت التمدن ، والعمران ، وجعلت الثروة ، وفجرت الفكر ، وحملت بذور الحضارة الغربية الى اطراف المعمورة . وكانت هذه العقلية الواضحة في اتجاهات فلسفية مماثلة ، وانظمة حكم متشابهة ، سائدة في الجموعة الاوروبية فوق الحدود والدول ، والجيوش والأحقاد ، عقلية تتول ان الانسان الاوروبي هو حقيقة فكرية مختلف عن حقيقة

كل هذه ليست سوى بعض مظاهر الغرور الأوروبي في ميدان التنافس الاستثماري ، والتوسع العسكري ، على حساب المغلوبين شرقاً وغرباً .

آئذ ، بلغت اوروبا ذروة الثروة ، وبلغت بها غاية التفكك . وان لم يكن يندو في الافق واضحاً ، مآل الدول الاوروبية ، مع الفتن التاسع عشر ؟ فقد غاليا بعد الحرب العالمية الأولى ، مع ظهور كتاب المخطاط الغرب لشنغنر كشارة فكرية في الفوضى السياسية ، مع النتائج التي اسفرت عنها الحرب ، بتوزيع اسلاب المغلوبين بين الغاليين ، مع اختلالات السلام المفروض بالقوة ، مع خيانة الحلفاء للعرب ، ومع احداث جة لاستقصى في تحليقة على التاريخ من عل - هول غاليا جلياً أن مصير الدول الاوروبية لاقرره هذه الدول نفسها . بل ثمة قوى جديدة بدأ ظهرت اوزانها في الكفة المقابلة ، ولعل اهم هذه القوى:

١ - تفجر الوعي الجماهيري على نطاق عالمي .

٢ - هبوط الشرق من سباته العميق .

٣ - ظهور الاتحاد السوفيتي .

٤ - نزول الولايات المتحدة الى المعتزك العالمي .

٥ - تحرر المستعمرات واستقلالها عن الامبراطوريات العتيقة .

سي نحو الفكر الأوروبي الغربي من تاحي الإنسانية واضحة العالم ، داعياً إلى التوسط بين معسكرات الحروب ، ونبذ سيادة الفوهة وستلقي الدعوات الفكرية تجاهو بامن الجانب السياسي ، الذي غدا عاجزاً عجزاً واضحاً عن القيام بفزو أو تبريره بلغة الأفك السياسي والدبلوماسي - وقد لقيت الثورة الجازية لدى الشعور العام التونسي تأييداً واضحاً منعطف النصف الثاني من القرن العشرين ، ولو ان الثورة قامت في الربع الأول من هذا القرن او بعده بقليل ، لما وجدت أمثال (سارتر) و (فانون) يسرون في موكب تمجيدها وتعزيزها ولكن الجزء دوغول ، أقرب صورة الى الجزء غورو .

سيد الجاز الفكرى ، على الجانب السياسي ، بتوسيع معنى الوحدة . سيقول الجانب الفكرى أن الوحدة الأوروبية لن تتعارض مع قيام الكيانات الوطنية العريقة ، التي تهأت لها مع الأزمة والعصور ، خصائص وشمائل وعمرات لا يمكن تدوينها في بدعة جديدة تسمى (الفويمية الأوروبية) . سيقول الفكر أن الوحدة المنشودة ليست تدويناً لهذه الخصائص ، بل تجمعاً لها وحشداً ، وبالتالي صيانته لهامن النزواب والانهيار في فوضى الأوضاع الأوروبية الراهنة . فإذا كان الأوروبيون يعون حقاقعهم حضارتهم ، ويحسنون

الإنسان السوفيتى ، او الإنسان الأميركي سيقصد الجانب الفكرى من الدعوة ، الى إعادة دراسة التاريخ وكتابته ، لاستخراج الموارد المطحورة تحت الانقاض ، عسى ان يصلح بعضها لبناء فكرة الوحدة ، او على الاقل لتربيتها والتثبيق اليها . سيبحث كثيراً في أمجاد المفاهيم الرومانية المسيحية المفتركة في تطور الفكر الأوروبي . سيعود الى شعارات الثورة الفرنسية في الحرية والتسامح والصفاء بين الدول - طالما أن تحرر المستعمرات قدقطع على المستعمرات سبل الغزو والتزاع - وطالما ان التسامح يمكن ان يكون يد الأوروبي الضعيف ، سلاحاً مثالياً يشهره بوحه الروسي او الأميركي القوى . وستكتثر الدعوات الى البراءة ، والتزاهة ، والانسانية المتجدة .

سينبذ الفكر الأوروبي تشاؤمية شبنغلر الالماني في أن الحضارة الغربية صائرة الى زوالها المحتوم ، وان حضارات اخرى ستقوم مقامها في قيادة العالم الجديد . وسيلقى تويني الانكليزي ، رواجاً يضاف الى رواج لانهوان اشار الى احتطاط الغرب ، فقد أشار أيضاً الى الخلاص اذا شاء الغرب الأوروبي خلاصاً حقاً . وسيرى الغرب نفسه أمام ما وصفه تويني بالتحدي مسوقة الى ان يستجيب له ، ويخوض المعركة ، مدافعاً عن كيانه ، وعن بنائه . وسيكون التحدي الجديد الذي يواجهه الغرب الأوروبي ، حافزاً لتكوين وحدة المتحدّى ، لاتخطّي الخارجي ، عند تويني عامل من عوامل التجمع القومي او الصليحي ، يضاف الى أهم عناصر التكوين الجماعي ، كلّلغة ، والتاريخ ، والعرق ، والدين .

الأسيوي ، اليك هذا كل ما يفعله اليوم (سارت)
العجب بين ماركسيته ووجوديته ؟

* * *

المحاولة الكبيرة

وأخيراً، فان المحاولة الاوروبية
حدث كبير من احداث التطوير
الانساني ، ولا اقول التطور . وان
الفلسفة التي تعمل في الأعماق لتجميم
دول متباينة حفرت الحروب
والنزاعات ، عبر مئات السنين خلافاتها
الضارية ، لفلسفه عظيمة حقاً . فاذا كانت
استجابة اوروبه للتحدي الخارجي ، وللتحددي
الداخلي معاً - انها تحديان فعلاً - على هذا
الطراز ، فان تويني سيكون رجل الساعة للعنة
العام القادمة : لأن القائل بان الحضارات لا تختضم
لناموس ، النشوء ، والاكتمال ، والرول ، مثلاً
تختضم لقانون التحدي . فان هي استجابت لهنجت
بنفسها ، اذا لم يكن التحدي ثقلاً ساحقاً ، وان
هي انبرزت امامه ، سحقها مصيرها المشؤوم ،
ان تويني في تفسير التاريخ البشري
يترك المجال واسعاً للارادة الانسانية
ضد اقدارها !

ان الجانب الفكري من اوروبه ، يبشر
بأن مجموعة هذه الدول ، اذا ارادت ان تعيش
فلا بد لها من نظام اتحادي كامل ، انهم يطمحون
ان يكونوا يوماً (الولايات المتحدة الاوروبية) .

بضرورة حفظها وبقائهما . فانهم مدعاون إلى صب
خصائصهم في ساحة العمل المشترك ، وإبعاد ما
ليس هو من خصائص هذه الحضارة ومجدها . انها
ليست دعوة إلى القاء المطر بالكل بل إحياء الكل
بالجزء . انها دعوة إلى المشاركة الديعوقاطية المحررة
التي تعمل فيها الوحدة انصرى لذاتها ولذات
الوحدة معاً .

سيكافح الجانب الفكري ، ما بدا للعيان
او ما قد يبدو على الاوروبي من مركب القمع ،
ازاء عجزه عن الامساك بمستمراته ، وازاء
تأخره مقارنا بالانسان الامريكي او الانسان السوفييتي
سيفلسف عجزه عن الاستمرار في سياسة الاستثمار
ولن تكون هذه الفلسفة على كل حال ، ولو اتت
متاخرة ، غير مجده فكريها وانسانياً - سيقول
مثلاً انه من العار أن تربط اوروبه العظيمة
مساريرها بامتداد بترك في صحراء سوريا ،
او بقطنه . فلتتحرر من حاجتها الى هذا الانبوب
اكلها قامت هزة في الشرق ، باتت
الوف العائلات الاوروبية ، في قلق
على اقمة الفداء ! سيطأبون بجوتهم

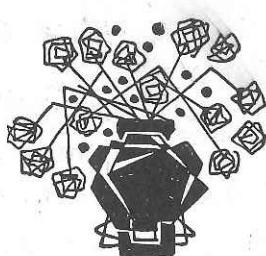
سيقول عن الامريكيين ان بلادهم اندلس
الحضارة الاوروبية ماوراء البحار الكبيرة ، وأنهم
نسخة مظهرة تظيرأ جديداً ، عن اوروبه العتيقة
الخالدة ! وسيقول للسوفيت ، ان ماركس غرسة
اوروبية ، شوهها الجانب الأسيوي من روسيا
الاوروبية : وسيقيم الغرب الأوروبي علاقات
دبلوماسية حسنة بين ماركس الاوروبي ، وماركس

وزين لها . تبقى في حصيلتها ، مجهوداً
بشيئاً رائعاً و تصميماً هندسياً ابداعياً ،
تبقى دفقة من خيال الانسان في حماولته
التغلب على واقعه المظلم . تبقى في اقل
اوصافها ، موقفاً فكريأً ، وطموحاً
مشروعأً ، وصورة قوية للتشبث
معضلي عنيف بوقف النجاة ، فوق
الموة الفاغرة .

وما ادرانا ! قد تصيّح اوروبية المتحدة
ثانية ، سلطاناً سياسياً فادرا . وقد يدخلها
الغُرور ثانية ، وتركتها شهوة الفتح والانبطاح ؟
ان الذئب ، ذئب ، بقدر ما تكون النعجة امامه
محبته وضيقه .

ان ماجيري في العالم امامنا من تجارب
كىرى ... ليس للفرحة ، فقط .

ولايات متحدة ، يجمعها قانون الماس بين
الدوائر ، لقانون التوزيع من المركز . ولايات
ديوقراطية ، لامر كرزي فيها لأن قوة الماسك فيها ،
قوة ماسك هندي لاقوة الارتخاء على عمود واحد
او مركز محدد ، وظيفي أن النصميم
الفكري للوحدة الاوروبية ، المكتمة الكيانات
عبر تكون تاريخي طوبيل ، لا يمكن أن يتحقق في
نظام يذيب هذه الكيانات ويصهرها بل سيقوم
وراء هذا الشكل الهندسي لسياسة الوحدة ،
عماد واحد اساسي هو الوعي البشري
الحاصل من صراعه مع الخطوط الذي انطلا
على اوروبا ، فسيتحققها مجتمعة ككل ، ومنفردة
كمجموعة كيانات . وعلى هذا فسيعمد الفكر إلى
تعزيز الشخصية الاوروبية الحضارية ، كما قلنا ، تحفيقاً
لفرض هذا الوعي : تبرة جبار !
وقد يقال إنها أمنية بعيدة
المثال ، لانطال منها زينها الفكر



فَرِيقُهُمْ

٦	الدكتور عزة المنص	ثورة على التاريخ العربي
٢٤	دمشق محمد جمیل بیهیم	کیف تعریب الاسیان ..
٣٣	یروت جعفر الحسني	وتفرج المسلون المجمع العلمي العربي
٤٢	دمشق ظافر القاسمی	الصدقة والصديق
٥١	الدكتور احمد شوكت الشطی	لأبي حیان التوحیدی المجتمع العربي
٦٠	دمشق الدكتور صبري القباني	عندما يرض الأطباء
٦٩	دمشق الدكتور خالد الصوفی	أكبر مكتبة في الغرب الإسلامي
٧٧	دمشق عرض وتحليل أورخان میسر	جورج أورویل .. والإنسان الآلة
٨٤	دمشق ترجمة السيدة مهاة الخوري	أوقات الفراغ
٩٦	العلم السوري جورج صيدح	شعر
	نریل باریس کیف عرف المهاجر ونی فتوپولیا	

١٠٣	تعریف الدكتور بدیع حقی	الیرات
	برن - سویسرا	لشاعر الهند رابندرانات طاغور
١٠٨	میخائل خلیل الله ویردی	العروض والموسيقا
	دمشق	
١٢٠	عبد المعین الملوحي	نحوی حجر
	حص	— من أدب الوجдан —
١٢٥	جلال فاروق الشريف	أقوی من القنابل الذرية
	دمشق	— من خواطر الاسفار —
١٣٤	خلیل المنداوي	نكبة ابن رشد
	حلب	مسرحيه
١٥٤	تعریف الدكتور ابراهیم الكیلاني	الصورة الذاتية
		کلیر هیلین هوک
١٦٣	نجاة قصاب حسن	تأملات في آداب النقد المسرحي
	دمشق	
١٧٩	عفیف ہنسی	أثر الشرق العربي
	دمشق	في الفن الاوربي
١٨٢	عرض وتخیل صدقی اسماعیل	مخطوط رواية الشياطين - كتاب شهر
	دمشق	لستویفسکی
١٩٣	عرض وتخیل سامی الكیلاني	الصیری فی دیوانه الجدید
	حلب	صدقی ونور ودموع

١٩٩	عرض وقد حي الدين صبحي	دمشـق	تـاريـخ الأـدـب الـعـرـبي للـدـكـتوـر رـحـيمـسـ بلاـشـير تعـريـف الدـكـتوـر إـبرـاهـيم الـكـيلـانـي
٢٠١	عرض وتحليل ذـكـورـيـاـ تـامـر	دمشـق	عطـشـانـ يـاصـبـاياـ مجـمـوعـة قـصـصـ لـسـلـيـانـ فـيـاضـ
٢٠٤	عرض وتحليل غـسانـ كـنـفـانـيـ	بيـروـتـ	لنـ يـكـونـ وـداعـ مجـمـوعـة قـصـصـ لـيـاسـرـ هـوـارـيـ قصـائـدـ مـنـ خـشـبـ شـعـرـ اـبـراهـيمـ سـلامـةـ
٢٠٦	عرض وتحليل أـورـخـانـ مـيسـرـ		رأـسـ سـكـةـ مجـمـوعـة قـصـصـ لـاسـكـنـدرـ لـوـقاـ
٢٠٩	عرض وتحليل يـاسـينـ رـفـاعـيـ	دمشـقـ	ذـاكـرـ يـاتـرـىـ مجـمـوعـة قـصـصـ لـهـدـيـجـهـ الجـراحـ النـشـوـاتـيـ فيـ المـكـتبـةـ الـعـالـمـيـةـ
٢١٢	حيـيـ الدـينـ صـبـحـيـ	دمشـقـ	صـدـيقـهـ يـبـوـ — قـصـصـ مـنـ الـحـربـ — اـفـجـارـ الشـعـمـ
٢١٥	قـلمـ التـحـرـيرـ		معـ الصـحـافـةـ الـأـدـيـةـ
٢١٩	غـسانـ كـنـفـانـيـ		رسـالـةـ مـنـ لـبـنـانـ
٢٢٥	نوـبـارـ صـبـاغـ		لوـحةـ الـعـدـدـ
٢٣٦	قـلمـ التـحـرـيرـ		الـكـاتـبـ الـذـيـ لـمـ يـنـتـهـ
٢٣٠	قـلمـ التـحـرـيرـ		وـاـئـمـ فـوـلـكـنـزـ
٢٣٨	فـؤـادـ الشـاـيـبـ		فنـونـ — جـولـةـ الـشـهـرـ

توزيع شركة فرج الله وروماني ونظام